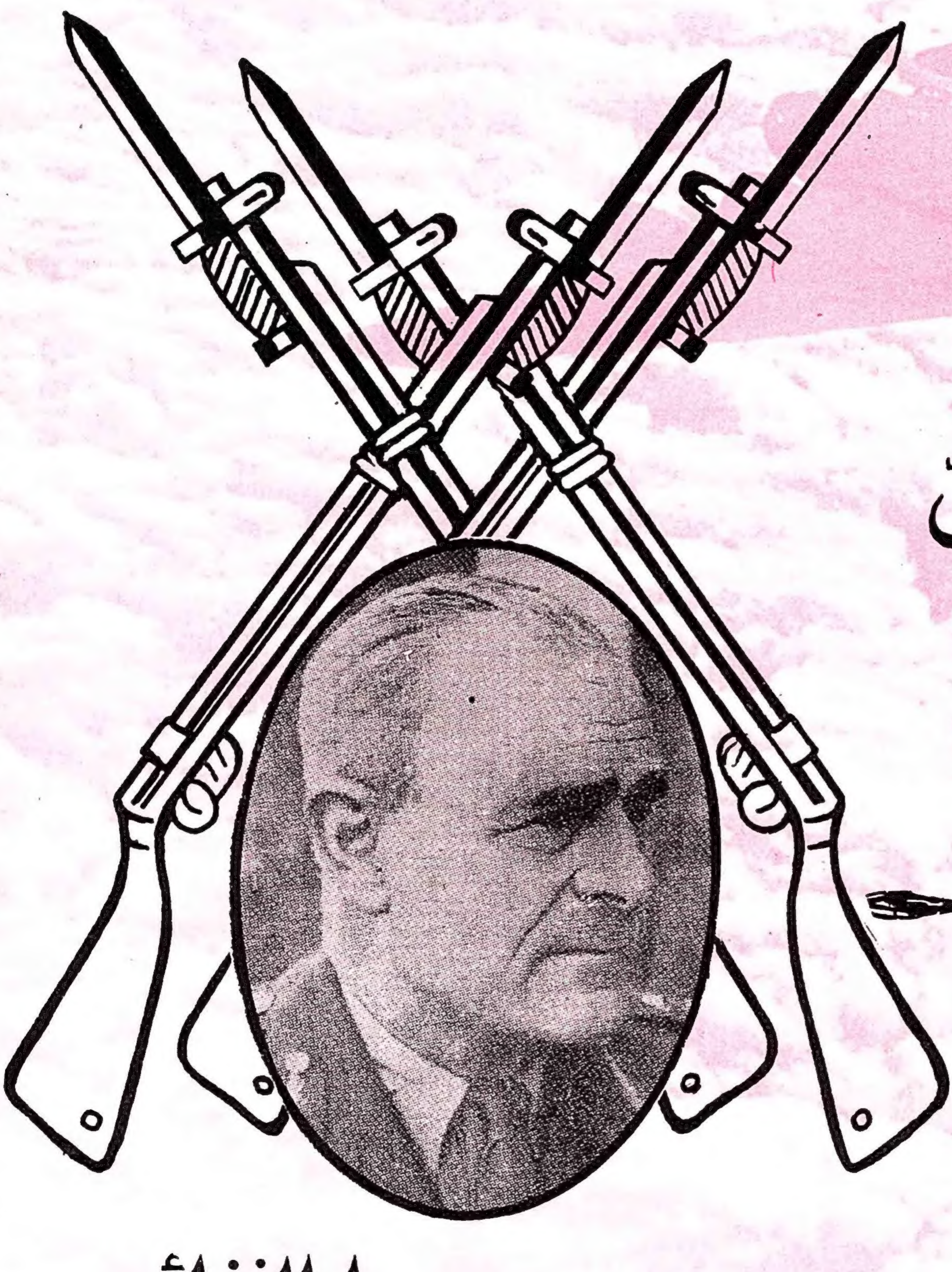
مشاهير قادة
الحرب العالمية الثانية

٣

ويفل



بسّام العسلي

دار النفائس

دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان ـ بناية الصباح
وصفي الدين ـ ص.ب ١٤/٥١٥٢
برقياً: دانفايسكو ـ ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

(٣)

مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية



ويفل

بسّام العسليّ

دار النفائس

الوجيز في حياة الماريشال (ويفل)

١٨٨٣ (٥ ـ أيار ـ مايو) ولد ويفل في مقاطعة أسكس (بإنكلترا).

١٩٠١ تخرج من الكلية العسكرية (ساند هورست) برتبة ملازم ـ وعين في الحرس الأسود.

١٩٠٣ انتقل مع وحدته التي حاربت البوير ـ من جنوب أفريقيا إلى الهند.

١٩٠٨ التحق بكلية أركان حرب ـ وكان ترتيبه الأول بين ٤٠٠ ضابط..

١٩١١ تخرج من كلية أركان حرب، ونقل إلى روسيا لتعلم اللغة الروسية..

١٩١٢ عين في المخابرات العسكرية ـ فرع روسيا ـ وتردد بعد ذلك على روسيا..

١٩١٤ عين وهو برتبة نقيب في هيئة أركان لواء المشاة التاسع الذي اشترك في معركتي المارن والأين على جبهة الغرب.

١٩١٥ عاد في إجازة إلى إنكلترا وتزوج من ابنة ضابط (وأنجب بعد ذلك ابناً وثلاث بنات).

١٩١٦ أصابته شظية قنبلة في عينه اليسرى، ففقـد البصر في هذه العين.

١٩١٧ نقل إلى فلسطين ليعمل مع اللنبي.

١٩٢٠ أعيد إلى إنكلترا؛ وهو برتبة مقدم (كولونيـل) فتولى قيـادة لواء، وعمل في القيادة، ووضع نظام الخدمة في الجيش.

١٩٣٣ أصبح برتبة عميد (ميجر جنرال) وعين قائداً للفرقة الثانية.

١٩٣٧ عين قائداً للقوات البريطانية في فلسطين للقضاء على الثورة الفلسطينية.

١٩٣٩ منح لقب السيد (سير)، وعين قائداً عاماً للقوات البريطانية في الشرق الأوسط ـ وكان مقرّه في القاهرة ـ.

١٩٤٠ وجه حملة إلى ليبيا لضرب الإيطاليين الذين هاجموا مصر.

١٩٤١ تمكن من القضاء على القوات الإيطالية في الحبشة وعلى ثورة العراق واحتل سوريا ولبنان.

١٩٤١ عين قائداً عاماً للقوات البريطانية في الهند.

١٩٤٣ عين نائباً للملك في الهند.

١٩٤٧ أحيل على التقاعد.

١٩٥٠ تـوفي. وكان من كبـار الكتاب العسكـريين، فكتب (حملة فلسطين) الذي صدر سنة ١٩٢٨، و(اللنبي) الذي صدر سنـة ١٩٤٠، وكتاب (القـائد والقيـادة) الذي صـدر سنة ١٩٤١، وكتاب (اللنبي في مصر) الذي صدر سنة ١٩٤٣.

المقدمة

كان حظه من الشهرة محدوداً؛ وكان نصيبه من الانتصارات في ميادين القتال قليلاً، فلم يرتفع به نجمه إلى مرتبة الشهرة التي وصل إليها (مونتغومري) أو(مونتباتن) أو سواهما من القادة الذين أبرزتهم بريطانيا في الحرب العالمية الثانية. ولم يقدر له أن ينافس كبار القادة الذين التمع نجمهم في دنيا الحرب ـ من أمثال رومل وغودريان وأيزنهاور وبرادلي وماك آرثر ـ رغم أنه لم يكن أقل منهم كفاءة قيادية؛ وقدرة على إدارة الحرب. وكان من نصيبه دائماً مجابهة الأزمات الصعبة؛ والظروف العسيرة، حتى إذا ما أمكن له إعداد الظروف المناسبة للتحولات الحاسمة في مسار الحرب؛ وحتى إذا ما استطاع بكفاءته إنقاذ المواقف من مهاويها المتردية؛ امتدت إليه يد القدر؛ فأبعدته عن مسرح الأحداث؛ وحجبت عنه فرصة التألق والاستحواذ على الشهرة والمجد.

كان ذلك عندما اشترك في محاولة قمع الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٧، وكان ذلك أيضاً عندما انتقضت الدنيا على رأسه مع بداية الحرب العالمية الثانية، فتقدمت القوات الإيطالية إلى مرسى مطروح

وباتت على أبواب قفزة واحدة للوصول إلى قلب مصر، فيما كانت قوات إيطالية أخرى تهدد مصر على بوابتها الجنوبية حيث احتلت القوات الإيطالية منطقة القرن الأفريقي وباتت تهدد بشكل خطير (طريق الهند). وفي هذا الوقت ذاته انفجرت ثورة العراق؛ وأصبحت سوريا ولبنان تحت سيطرة حكم الفيشيين الخاضعين لألمانيا النازية.

وقد استطاع هذا القائد تحقيق التوازن على مسارح العمليات جميعها؛ والسيطرة على المواقف كلها؛ بقوات كادت تكون رمزية، حتى إذا ما حدث التحول؛ وبات بالمستطاع تركيز الجهد كله ضد قوات المحور في شمال أفريقيا؛ امتدت يد القدر عن طريق رئيس الوزراء البريطاني - تشرشل - لتنقله إلى الهند؛ في وقت كانت فيه القوات اليابانية قد ابتعدت عن بلادها زهاء ثلاثة آلاف كيلو متر تقريباً وباتت على مسافة قصيرة من (الممتلكات البريطانية في جنوب شرق آسيا - الملايو وسنغافورة). وقد بذل جهده هنا أيضاً للسيطرة على الموقف؛ وإنقاذ الموقف المتدهور؛ واستطاع بجهد وعناء تجميد الموقف ما بين سنة ١٩٤١ و١٩٤٣، حتى إذا ما جاء التحول؛ أسندت القيادة إلى قائد آخر جاء ليقطف ثمار انتصارات تم التمهيد لها طويلاً؛ والإعداد لها كثيراً. ولا يعني ذلك أن بلاده (إنكلترا) قد تنكرت لجهوده؛ وأنكرت عليه كفاءته؛ فقد منحته لقب (سير) وعينته نائباً للملك في الهند؛ واعتمدت عليه في كثير من المواقف والأزمات؛ ولكن كم هو فارق كبير بين ممارسة عمل إداري في منصب رفيع؛ وبين قيادة قوات ضخمة وتحقيق

انتصارات مثيرة في ميادين القتال. فالانتصار في الحرب هو حلم من احترف حياة الجندية مهنة له؛ واختار حياة المصاعب على أمل اقتناص فرصة النصر في الأعمال القتالية.

ذلك هو القائد الإنكليزي (الفيلد مارشال ويڤل) الذي عرفته معظم العواصم العربية: القاهرة والقدس وعمان وبغداد ودمشق وبيروت، وعرفته المناطق العربية وعرفها، سواء عندما عمل مع (الجنرال اللنبي)، في الحرب العالمية الأولى، أو عندما تولى القيادة العليا للقوات البريطانية في المرحلة الأولى من الحرب العالمية الثانية.

إنه (النموذج الواضح والأمثل) لما يمكن أن يطلق عليه اسم ممثل (فن الحرب الإنكليزي) والذي لا يعتمد على القوة قدر اعتماده على المهارة في استخدام القوة؛ والضرب بأعنف قوة في الزمان والمكان المناسبين؛ وذلك بعد إعداد دقيق؛ وتمهيد طويل؛ ومزج مخططات الحرب بالمخططات الخداعية، والأعمال التضليلية؛ مع الاستخدام الماهر لأساليب الحرب النفسية والحرب السرية (الجاسوسية) بحيث تصبح جميع الظروف مناسبة ومؤاتية لاستخدام القوة؛ وبحيث تصبح ظروف النجاح شبه مضمونة. وليس ذلك فحسب؛ بل إن قيادته للحرب وإدارته لها هي نموذج (للنهج البريطاني) الذي أمكن له تشكيل أمبراطورية لا تغرب عنها الشمس استمرت لمدة زادت على أربعة قرون بقوات لا تكاد تتناسب إطلاقاً مع حجم هذه الأمبراطورية المترامية الأطراف. فقد تولى ويڤل قيادة قوات أسترالية ونيوزيلاندية وأفريقية ـ جنوب أفريقيا ـ وهندية وعربية ولم تكن القوات الإنكليزية بينها إلا قوات رمزية.

لقد كانت ظروف الحرب العالمية الثانية؛ المتحـوّلة بـاستمرار؛ والمتسارعة بشكل مذهل؛ تتطلب خروجاً على النهج الإنكليزي ـ المتمهل والمتأني ـ. ولقد أدرك رئيس الوزراء البريطاني تشرشل هذه الحقيقة؛ فبات يلح باستمرار على قائده (ويڤـل) بإنجـاز الأهداف المحدده بسرعة أكبر.

ولعل كثرة الإلحاح من جانب تشرشل؛ وكثرة التمهل من جانب (ويڤل) هي التي خلقت نوعاً من سوء التفاهم بين القيادة السياسية الاستراتيجية التي يمثلها تشرشل، وبين إدارة الحرب على مستـوى (ويڤل)، مما حمل تشرشل على اتخاذ قراره بإبعاد (ويڤل) إلى مسرح الهند (الثانوي) واستبداله بآخرين من طراز (مونتغومري). ولكن هل كان مونتغومري مختلفاً في نهجه وفي أسلوب تفكيره عن سابقه؟

إن تحليل أسلوب مونتغومري في التفكير ومتابعة نهجه في العمل، يؤكدان أنه كان مماثلاً لأسلوب (ويڤل) ونهجه إلى حد كبير.

وإذن فالقضية هي لعبة القدر التي شاءت إبعاد الأول (ويڤـل) عن الأضواء والشهرة وانتصـارات الحرب المثيـرة؛ وإضفاءها على الثاني (مونتغومري) الذي جاء ليقطف ثمـار جهود الأول؛ وليجني أرباح جهوده وأعماله.

وتبقى قصة ويڤل أطول من المقدمات، وأكثر تفصيلاً من القدرة على إيجازها في سطور.

إنها تجربة تاريخية تستحق التوقف عندهـا؛ لا سيما وأن معـظم أحداثها قد جرت على أرض عربية، وعسى أن تقدم هذه القصة ما هو مرجو من الفائدة والمتعة، والله أسأله التوفيق.

بسام العسلي

مما قيل في الفيلد ماريشال ويڤل

أصدر تشرشل قراراً بنقل الفيلد مارشال (ويڤل) من القيادة العليا للقوات البريطانية في الشرق الأوسط إلى منصب القائد الأعلى للقوات البريطانية في الهند، يوم ٥ تموز - يوليو - ١٩٤١ .
وقال في تفسير قراره هذا :

« . . . للمارشال ويڤل سجل مجيد؛ فقد دمر جيشاً إيطالياً تدميراً تاماً، وفتح الأمبراطورية الإيطالية في شرق أفريقيا، كما وقف وقفة رائعة أمام الهجمات الإيطالية والألمانية، علاوة على نجاحه في إدارة الحرب والسياسة في ثلاثة أو أربعة ميادين مختلفة في آن واحد ؛ منذ بداية العمليات . ولذلك فإني أعتبره أبرز القادة البريطانيين على الإطلاق. ومع ذلك؛ فقد شعرت أن التعب قد نال منه نتيجة للإجهاد المستمر الذي تحمله؛ ولذلك أصبح من الضروري وجود عين يقظة ويد غير مرهقة في هذا الميدان المهدد تهديداً خطيراً» (*).

* * *

(*) العمليات الحربية في شمال أفريقيا (٢/ص ٣).

جابهت القوات البريطانية، على جبهة الغرب، أياماً عصيبة عند بداية الحرب العالميـة الأولى (١٩١٤) وفي تلك الفترة كتب أحد أصدقاء (ويڤل) - الكابتن بوكانن - وصفاً للكابتن ويڤل جاء فيه: «لقد كانت تلك الأيام من شهر تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩١٤ - أياماً عصيبة؛ ولكن ويڤل لم يفقـد هدوءه لحـظة واحدة، وكـانت جميع تصرفاته توحي بالثقة. لقد كـان شديـد الاحتمال؛ ولم يكن يرحم نفسه مطلقاً؛ وقد وطد العزم على معرفة كل شبر من الجبهة التي كان يعمل بها، فكان يقطع كل يـوم عدداً من الكيلومتـرات - نهاراً وليلاً - في هذا السبيل».

* * *

وكتب الجنرال الألماني (كيتل) في مجلة (الصناعة الحربية الألمانية) في مطلع سنة ١٩٣٩: «لا يـوجد في الجيش البـريطاني في الـوقت الحاضر سوى جنرال - قائد - واحد يعتد به هو الجنرال ويڤل، أما الآخرون فإنهم لا يعرفون شيئاً عن الحرب الآلية - الميكانيكية - وقد درس هذا القائد موضوعها جيداً منذ سنة ١٩٢٨، وقد يصبح قريباً الشخصية العسكريـة البارزه في أي حـرب تنشب خلال السنوات الخمس القادمة».

* * *

وقال ضابط أميركي كبير عمل مع (ويڤل) في الهند:

«إن ويڤل هو أعظم قائد عرفته في حياتي»(*).

(*) أشهر قادة الحرب العالمية الثانية (١٣ و٢١ و٤٢)

مما قاله (ويڤل) في الحرب

«يجب على القائد المنتصر وهو يطارد عدوه؛ أن يضع في اعتباره أن هـذا العـدو يتزايد قوة كلما اقترب من قواعده؛ وأن يضع في اعتباره أيضاً أنه لا بد من مجابهة كثير من الموانع والعوائق وأعمال الإعاقة أثناء المطاردة».

وكتب في تعليقه على خطة الجنرال اللنبي للهجوم في فلسطين:

«لقد كانت خطة جريئة ولو أن العـدو كان أقـل منا في العـدد ودوننـا في الروح المعنـوية. وكـانت الخطة تقضي بقيـام الفرسـان بالسير لمسافة زادت على ٧٥ كيلو متراً، عبـر عدد من إلتـلال التي يسيطر عليها الأتراك؛ والتي لا يخترقها إلا طريقان غير معبدين. ولم يشهد التاريخ خطة تفوقها جرأة، يقوم بتنفيذها مثل هذا الحشد من الفـرسان ضـد قوات معـادية لا زالت قـوية وسليمـة. إن حـرب فلسطين لم تكن مجرد فرصة لإظهار فنون القيادة فحسب؛ بل إنها كانت أيضاً دليلاً مرشداً نحو طبيعة الأعمال القتالية في المستقبل. وستكون هذه الحرب هي آخر حرب تستخدم فيهـا الخيول، وإن كان ذلك لا ينفي عن تلك الأعمـال القتاليـة قيمتها وأهميتهـا من حيث إنها ستبقى برهاناً ثابتاً على الاستخدام الجيد لخفة الحركـة؛

وكانت أيضاً مثلاً رائعاً لما يحققه القائد من فوائد كبيرة عندما ينجح في إخفاء نواياه وخداع عدوه إلى أن يتمكن من توجيه ضربته النهائية والحاسمة بأقصى ما يستطيعه من القوة والمباغتة. ولقد كان للقوة الجوية أهميتها العظمى في شل حركة العدو. ويكمن النجاح في أساسه بالعناية الكبرى التي يتم بذلها لضمان الإمداد والتموين ولتأمين طرق المواصلات».

وقال لجنوده قبل الهجوم على الإيطاليين في ليبيا ـ سنة ١٩٤٠ :

«إن لنا التفوق في كل شيء ـ إلا العدد ـ فنحن أحسن من أعدائنا تدريباً؛ وأفضل منهم في الرمي وإصابة الهدف؛ ونمتاز عليهم في الأسلحة والمعدات؛ فوق كل هذا فنحن أوفر منهم شجاعة، وأقوى قناعة بعدالة القضية التي نحارب من أجلها».

وكتب في مقدمة مؤلفه عن ـ اللنبي ـ ما يلي :

«لقد تراكمت المشاكل فوق رؤوسنا وتزايدت تعقيداً؛ وأحاطت بنا الصعاب من كل جانب حتى من قبل أن تبدأ هذه الحرب؛ فسلبتنا الراحة؛ وعصفت بمصادر قوتنا. لقد حلت حياة المدن المترفة محل حياتنا الريفية الخشنة، وأصبحت الصلابة والشجاعة أقل قدراً مما كانت في العهود السابقة، كما أصبحت المهارة أعلى مقاماً من الفضائل والأخلاق النبيلة، وبات الحذر والحيطة في وسط القيادة بديلاً عن الجرأة والإقدام والحماسة، وحلت المتعة والمنفعة الشخصية محل قدسية الواجب. فلا بد لنا إذاً من استعادة سابق شجاعتنا وتضحياتنا في العمل، لنبني عالماً جديداً بدلاً من هذا العالم المتصدع البنيان».

«المباغتة من أمضى أسلحة الحرب وأقواها»

(ويڤل)

الفَصَل الأوَّل

١ ـ جندي بالوراثة.

٢ ـ في هيئة قيادة الجنرال اللنبي.

٣ ـ ويڤل والثورة العربية الفلسطينية ١٩٣٧.

٤ ـ الموقف على الجبهة العربية ١٩٣٩.

٥ ـ الهجوم البريطاني في (ليبيا).

٦ ـ الحرب في (القرن الأفريقي).

٧ ـ إجهاض الثورة العراقية.

٨ ـ تقويض حكم (الفيشيين) في سوريا.

٩ ـ تحولات حاسمة في اليونان.

١٠ ـ وداعاً يا مصر.

١١ ـ العودة إلى الهند.

١٢ ـ في مواجهة الهجمات اليابانية.

١ ـ جندي بالوراثة

ما زال توارث المـهنـة شائعـاً في معظم أقـطار العالم؛ وهنـاك عائلات مميزة بتوافر الكفاءات القيادية سواء في مجال السياسة أو في مجال الحرب؛ وهناك عائلات أخرى قد برز عـدد من أفرادهـا في مجالات الأدب أو الفن أو المهارات اليدوية، تتناقل مهـارتها جيـلاً عن جيل، وكابراً عن كابر. وتشجع الدول العظمى هـذا الاتجاه فتمنح الطبيب الناجح امتيازاً لأبنائه للتخصص في مجالات الطب؛ وتفسح الدولة المجال أمام العلماء والأدباء والفنانين لتوجيه أبنائهم نحو استثمار الإرث المتوافر لهم في هذه المجالات. وكذلك الأمـر بـالنسبة للعسكـريين؛ حيث تقـدم لأبناء العسكـريين النـاجحـين امتيازات لدخول الكليات والمعـاهد العسكـرية. وليس ذلـك إلا دليـلاً على مـا للوراثة من دور في تكـوين الفـرد ـ بحكم قـوانـين المورثات ـ ، وبحكم المبدأ القائل بأن العوامل الأساسية في تكون الفرد هي البيئة والوراثة .

وهكذا؛ ولد الطفل الذي أصبح معروفاً فيما بعد بـاسم الفيلد

مارشال ڤيكونت ويڤل ـ يوم ٥ أيار ـ مايو ـ سنة ١٨٨٣ في مقاطعة أسكس بانكلترا؛ حيث كان والده ضابطاً من ضباط حاميتها، حمل اسم (أرشيبالد غراهام ويڤل) ووصل إلى رتبة (ميجر جنرال)، وعاش طويلاً حتى بلغ ٩١ عاماً، وخلف ثلاثة أبناء.

ويعود اسم (ويڤل) في نسبته إلى إقليم (فوڤيل)[1] الفرنسي الذي انحدرت منه الأسرة في أصولها. وكان أشراف هذا الإقليم يلقبونه بلقب (دو فوڤيل) كناية عن الشرف؛ حيث تلحق (دو) نسبة للأصالة مثل (دوغول) و(دو مورفيل) و(دو لاتردوتاسيني). وكان كثير من أسرة ويڤل قد عملوا في بطانة الدوق (وليم الفاتح)[2] عندما قام بغزو انكلترا، ثم استقروا فيها نهائياً، واقتنوا فيها القرى ـ الضياع ـ واغتنوا، ثم أصبح اسمهم يحمل السمة الانكليزية على مر الأجيال، حتى إذا ما كان القرن الرابع عشر، حذفت منه سابقة (دو) وظهر اسم (ويڤل) لأول مرة في شخص

---

(١) فوفيل: (FAUVILLE - EN - CAUX) مقاطعة فرنسية في إقليم السين الأسفل؛ عاصمتها (هافر) في إقليم كوكس (CAUX) أحد أقاليم النورماندي ـ ما بين المانش وشمال نهر السين.

(٢) وليم (أوغليوم الفاتح) ويقال له (ابن الحرام)

GUILLAUME I LE CONQUERANT - OU - LE BATARD

ملك انكلترا ودوق النورماندي (١٠٢٧ ـ ١٠٨٧م) ولد في فاليز ـ فرنسا ـ وقاد جيشه ففتح انكلترا سنة ١٠٦٦ وانتصر على ملكها هارولد الثاني وقتله في معركة (هاستينغ ـ HASTING) قتل في روان ـ الفرنسية ـ عندما توجه لمحاربة ملكها فيليب الأول الذي حاربه وانتصر عليه وقتله. فتولى مكان وليم الفاتح في حكم انكلترا ابنه غليوم الثاني.

أستاذ في جامعة ونشستر (سنة ١٤٧٨). وظهر بعد ذلك من هذه العائلة عدد من كبار الأساتذة والعلماء ورجال الدين والأطباء والقادة الذين توافرت لهم كفاءة قيادية عالية؛ وموهبة قتالية، وقام بعضهم بمغامرات كثيرة، خلال الحروب الاستعمارية، وفي الصراعات التي عرفتها أوروبا طوال تاريخها.

هكذا؛ نشأ أرشيبالد بيرسيڤال ويڤل في بيئة عسكرية صارمة، ولهذا لم يكن غريباً؛ ولا من قبيل الصدفة؛ أن يحصل في سنة ١٨٩٦ على جائزة في مسابقة لاختيار الطلبة الذين ترشحهم المدرسة للالتحاق بجامعة (ونشستر). وقد التحق ويڤل بالقسم العسكري في الجامعة، ويظهر أن المشرف على الجامعة؛ أو الموجه؛ كان من أنصار عدم احتراف حياة الجندية؛ أو كان يرى فيها (مقبرة للمواهب) فأرسل رسالة إلى والد (ويڤل) جاء فيها: «إني أشعر بالأسف لإرسال ابنك إلى القسم العسكري؛ وأبادر إلى إعلامك أن هذا العمل الذي يدل على يأسك من مستقبل ابنك؛ ليس له حجة أو سبب، لأني أعتقد أن لدى ابنك الكفاءة المتوافرة حتى يشق طريقه بنجاح في سبل الحياة الأخرى».

ولم تكن مسألة (ويڤل) هي مسألة يأس من حالته؛ أو هي مسألة (قصور في إمكاناته وقدراته) بل إن الأمر على النقيض من ذلك؛ فالمسألة بمجموعها هي مسألة توجيه لهذه الإمكانات والقدرات نحو اتجاهها الصحيح. فقد عرف زملاء (ويڤل) أنه كان خلال دراسته في (ونشستر) شاباً هادئاً؛ ومتحفظاً، ويحمل دراسته وعمله على

محمل الجد والمثابرة، إلى جانب عناده الشديد وصلابته في التمسك برأيه؛ وتوافر بعض الشاعرية - الرومانسية - التي كانت تظهر في إقباله على الأدب والشعر، ورغبته في حفظ كثير من الشعر.

تخرج (ويڤل) من الكلية الحربية (ساند هورست) في شهر كانون الثاني - يناير - ١٩٠١، برتبة ملازم؛ فتم تعيينه في (الحرس الأسود) ولما يتجاوز الثامنة عشرة من عمره- وبذلك أصبح ثلاثة من عائلة (ويڤل) جنداً في القوات العاملة البريطانية في آن واحد - وكان من نصيب (ويڤل) الاشتراك في المرحلة الأخيرة من (حرب البوير)[1] التي كانت أعنف (حرب استعمارية) عرفها تاريخ الاستعمار البريطاني.

ولما انتهت الحرب هناك، أقيمت مباراة في كرة القدم - في جملة

---

(١) حرب البوير: (BOER - WAR) ١٨٩٩ - ١٩٠٢ هي الحرب التي وقعت بين المستوطنين الهولنديين في جنوب أفريقيا وبين القوات الاستعمارية البريطانية. وكانت قد اجتاحت إقليم الترانسفال TRANSVAAL في سنة ١٨٨٠ - ١٨٨١ مما حمل زعيم الثورة (بول كروجر - PAUL - KRÜGER) إلى إعلان استقلال جمهورية جنوب أفريقيا؛ ووقعت معارك ظافرة انتصر فيها الهولنديون مما أدى إلى توقيع (معاهدة بريتوريا في ٥ نيسان - أبريل ١٨٨١) اعترفت فيها بريطانيا باستقلال جنوب أفريقيا، إلا أن ظهور الذهب أثار شهية الاستعمار البريطاني الذي جدد هجومه في خريف سنة ١٨٩٩، ودارت معارك ضارية اضطرت بريطانيا لزج نصف مليون جندي تقريباً في هذه الحرب، التي برز فيها أسماء عدد من القادة البريطانيين من أمثال رائد حركة الكشافة بادن باول BADEN - POWELL والجنرال كتشنر KITCHENER الذي قضى بعدئذ على ثورة السودان. وانتهت الحرب بانتصار بريطانيا.

الاحتفالات بانتهاء الحرب ـ واشترك فيهاويڤل. .وقد أصيب أثناء هذه المباراة بكسر مضاعف في عظم الترقوة، وعظم الكتف، فظل بالمستشفى ـ بجنوب أفريقيا ـ طوال ثلاثة أشهر، ولما عاد بعدها إلى انكلترا، كان قد أصيب بعاهة مستديمة، إذ لم يعد باستطاعته أن يرفع ذراعه اليسرى إلى أعلى من مستوى الرأس.

انتقل (ويڤل) مع وحدته إلى الهند في سنة ١٩٠٣؛ والتحق بعد ثلاثة سنوات (١٩٠٦) للعمل ضابطاً للاتصال للمدفعية على الحدود الجبلية الهندية ـ الأفغانية. وقد أفاد من هذه الفترة كثيراً؛ واكتسب خبرة واسعة في الأعمال القتالية ـ الجبلية؛ حيث كانت مناطق الحدود هذه موطناً للاضطرابات الدائمة، والحركات الثورية.

عاد (ويڤل) إلى انكلترا سنة ١٩٠٨ ليلتحق بكلية أركان حرب في (كامبرلي) وكان يومها قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره، فكان أصغر بما لا يقل عن تسعة أعوام عن معظم الضباط الآخرين من زملائه الذين اتبعوا الدورة معه. وعندما تخرج من الدورة؛ حصل على الدرجة (١) بتفوق. وكان يرغب في الالتحاق بوحدة من الرماة المشاة في (الصومال)، غير أن والده، وقد بلغ مرحلة متقدمة من العمر؛ رغب في أن يحتفظ بابنه على مقربة منه في أخريات أيام حياته، لا سيما بعد أن قضى ابنه فترة غير قصيرة خارج الوطن. كما أن تخرجه بمرتبة التفوق من كلية أركان حرب كان يعطيه الحق للبقاء في انكلترا لمدة عامين.

وتدخلت (مصلحة الخدمة) ضد رغبات الأب والابن معاً، فقد رشحه مدير الكلية للسفر إلى (روسيا) لتعلم اللغة الروسية؛ تمهيداً لتعيينه في المخابرات.

وهكذا توجه (ويڤل) إلى روسيا، وعاش مع عائلة روسية في موسكو (سنة ١٩١١) عاد بعدها إلى انكلترا، ونجح في امتحان اللغة؛ وتم تعيينه - في فرع روسيا - في المخابرات العسكرية.

وقد أتاح له عمله هذا التردد على روسيا، حيث توجه إليها سنة ١٩١٢ لمشاهدة المناورات السنوية التي جرت في القفقاس (القوقاز)، والتي اشتركت فيها قوات فيلق قفقاسي كامل، ثم عاد في السنة التالية (١٩١٣) لمشاهدة المناورات الروسية الضخمة التي جرت تلك السنة في منطقة (كييف). وكانت تجربة مثيرة للضابط الصغير (ويڤل) أن يشهد مناورات ضخمة تشترك فيها جيوش كبيرة (بينما لم تكن بلاده تعرف المناورات الكبيرة لأكثر من فرقة واحدة).

وقد تعلم (ويڤل) كثيراً من مشاهدته لهذه المناورات حيث عكف على دراسة تحركات القوات الضخمة، ومناورات الجيوش الكبيرة؛ من خلال مشاهداته وملاحظاته لمناورات القوات الروسية.

وتفجرت الحرب العالمية الأولى، ودخلت انكلترا الحرب في شهر آب - أغسطس - ١٩١٤ بأن أرسلت حملة من قواتها إلى فرنسا. وأظهر ويڤل رغبته في الانضمام إلى قوات هذه الحملة، وترك عمله

في وزارة الحرب، غير أنه اصطدم بمقاومة لم يلبث أن تغلب عليها وحصل على الموافقة بالانتقال إلى فرنسا. ولكن ضرورات العمل في جهاز المخابرات اضطرته للتأخر قليلاً ـ لبضعة أسابيع ـ وأخيراً التحق ـ وهو برتبة نقيب ـ في هيئة أركان لواء المشاة التاسع. وقد اشترك هذا اللواء في معركتي (المارن) و(الآين)، حيث عمل في مقدمة الفرقة الثالثة لإقامة رأس جسر عند معبر هذين النهرين في (نانتوي) و(فايي). وقد نجح هذا اللواء في إيقاف هجمات الألمان في قطاع (لاباسيه)، على الرغم من الهجمات الألمانية العنيفة والمنظمة؛ وعلى الرغم أيضاً من ضعف الدعم الناري ـ المدفعية ـ الذي خصص لدعم لواء المشاة التاسع. وكان من نتيجة ذلك أن خسر اللواء قسماً كبيراً من قوته، فقد كان عدد أفراده في بداية القتال هو خمسة آلاف مقاتل؛ لم يبق منهم في تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩١٤ أكثر من ستمائة مقاتل. وقد جابهت الفرقة الثالثة ـ التي يشكل لواء ويقل أحد ألويتها ـ هجوماً عنيفاً قام به الألمان في (الإيبر)[١] بقوة ٣٩ كتيبة مشاة و٢٨ سرية فرسان تدعمهم مدفعية قوية. وكان نجاح كتائب الفرقة ـ ١٢ كتيبة ـ والمدعمة بمدفعية ضعيفة بالمقارنة مع المدفعية الألمانية؛ أمراً مثيراً للغاية؛ مع

---

(١) الإيبر: (YPRES) وفي اللغة الفلامنكية (IEPER) مدينة بلجيكية في (الفلاندر الغربي). وقد تعرضت المدينة لقصف المدفعية الألمانية الشديد والمستمر طوال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ مما أدى إلى تدميرها تدميراً شبه كامل. وهاجمها الألمان أربع مرات، غير أن القوات الإنكليزية نجحت في صد هذه الهجمات جميعها؛ وإحباطها.

ما اشتهر به الجندي الألماني من الروح الهجومية وشدة البأس في القتال(١).

عاش (ويڤل) على جبهة (الإيبر) التجربة القاسية لما عرف باسم (حرب الخنادق) خلال فصل الشتاء (١٩١٤ ـ ١٩١٥)، وما تتركه هذه الحرب في المقاتل من استنزاف وإرهاق جسديين وإحباط كبير للروح المعنوية. وقد حصل (ويڤل) في شهر نيسان ـ أبريل ـ ١٩١٥ على إجازة قصيرة قضاها في لندن، حيث عقد قرانه على ابنة العقيد (كولونيل) أوين كيرك، وهو الزواج الذي أنجب ثلاث بنات وصبياً واحداً (لم يلبث أن سار على نهج أبيه، فتعلم في ونشستر؛ وتخرج من ساند هورست؛ والتحق بالحرس الأسود).

المهم في الأمر هو أن أول ما شاهده (ويڤل) عند مغادرته للكنيسة، هو وزوجه، الاعلانات التي كان يتم إلصاقها على الجدران والتي تعلن هجوم الألمان (بالغازات

---

(١) لقد كان فشل الهجمات الألمانية هو برهان على تفوق النار الدفاعية على النار الهجومية وهو ما أشار إليه جندي إنكليزي في كتاب له بقوله: «كان الأعداء يظهرون ويبدؤون بالتقدم؛ وما أن يسيروا حتى يتم إيقافهم فوراً. لقد كان من المحال أن نخطىء إصابتهم بسبب وجود السترة الأمامية التي تستند إليها بنادقنا... وكان الهجوم ينتهي من قبل أن يبدأ. وكان باستطاعة عشرة من الرجال يحتلون خندقاً من الخنادق إيقاف خمسين جندياً بسهولة إذا ما حاولوا مهاجمة الخندق».

OLD SOLDIERS NEVER DIE (FRANK - RICHARD) LONDON - 1933. p. 36.

السامة)[1] على جبهة الإيبر. فقد ضاق الألمان ذرعاً بالجمود الذي سيطر على الجبهات، فظنوا أن باستطاعة (الغازات السامة) القضاء على (حرب الخنادق) وإعادة القدرة الحركية للقوات، ولم يكن الانكليز أقل ضيقاً بحرب الخنادق، فكتب اللورد كتشنر: «إني لا أعرف ما ينبغي عمله ـ إنها ليست حرباً»[2]. ولكن الانكليز لم يكونوا يتوقعون لجوء الألمان إلى استخدام الغازات السامة، ولهذا فقد بوغتت قواتهم مباغتة كاملة ـ وكذلك الأمر بالنسبة لحلفائهم الفرنسيين ـ وقد حاول (ويڤل) إلغاء إجازته؛ والالتحاق بلوائه، ولكن ظهر أن جبهة اللواء التاسع لم تتعرض لخسائر كبيرة. وأكمل ويڤل إجازته في لندن.

---

(١) استخدم الألمان غاز الكلور عند النتوء الشمالي ـ الشرقي من الإيبر، في نقطة اتصال القوات الإنكليزية بالقوات الفرنسية وذلك في الساعة الخامسة من صباح يوم ٢٢ نيسان ـ أبريل ـ ١٩١٥. وانتشر غاز أصفر مائل للخضرة رافق القصف المدفعي العنيف، واختنق كافة الجنود بجوار المنطقة المقصوفة، وانتشر الذعر، غير أن استخدام الغازات بكميات قليلة ساعد قيادة الحلفاء على معالجة الموقف.

(٢) اللورد كتشنر: **(LORD HORATIO HERBERT, KITCHENER)** جنرال بريطاني من أصل إرلندي **IRISH**، شغل منصب وزير الدفاع البريطاني (١٨٥٠ ـ ١٩١٦). رافق الجنرال البريطاني ولسلي في محاولته لإنقاذ الجنرال (غوردون: **GORDON**) الذي حوصر ثم قتل في الخرطوم أثناء ثورة المهدي في السودان (١٨٨٥). ثم أخضع ثورة السودان (١٨٩٦) ومنح لقب لورد على إثر ذلك، وأصبح بطلاً قومياً لانتصاره في معركة أم درمان. ثم عمل رئيساً لهيئة أركان القوات البريطانية في حرب البوير (١٩٠٠) ثم قائداً أعلى في الهند (١٩٠٢ ـ ١٩٠٩) ثم قنصلاً عاماً في مصر (١٩١١ ـ ١٩١٤) ثم وزيراً للحرب (١٩١٤ ـ ١٩١٦) قتل عندما اصطدمت سفينته بلغم أثناء سفره إلى روسيا.

عندما عاد (ويڤل) من إجازته، وجد أن قائد فرقته (الجنرال اللنبي) قد أصدر أمره إلى ألوية الفرقة الثلاثة ـ بما فيها لواءه التاسع ـ بالهجوم على (الهاغ) حيث دارت معركة ضارية عند مرتفع بيلاوارد، وخسرت الفرقة بانتهاء المعركة ١٤٠ ضابطاً و٣٤٠٠ جندي، كان نصيب اللواء التاسع منها (٧٣) ضابطاً من أصل (٩٦) ضابطاً، وكان ويڤل بين الجرحى الذين كانت جراحهم خطرة. وبينما كان يتم إخلاؤه في المساء، فتح الألمان نيران مدافعهم وبنادقهم الرشاشة بكثافة عالية، وانفجرت قنبلة بالقرب من (ويڤل) أصابت شظية منها عينه اليسرى، وأفقدته إبصارها، ونقل إلى انكلترا؛ حيث بقي فيها حتى شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩١٥. وعندما رجع إلى فرنسا، عين في المقر العام للقيادة، حيث بقي فيه طوال معركة (السوم)[1] التي استمرت خلال فصلي الصيف والخريف سنة ١٩١٦.

أرسل (ويڤل) إلى روسيا في شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩١٦، ليحل محل ضابط بريطاني رجع إلى لندن في إجازة طويلة لمدة ستة أشهر، واضطلع (ويڤل) بمهمته بنجاح. وكان في جملة

---

(١) السوم: (SOMME) مقاطعة في الإقليم الفرنسي بيكاردي PICARDIE الواقع على نهر السوم عاصمتها أميان AMIENS ومساحتها ٦٢٧٢ كيلومتراً مربعاً. وكان ملوك فرنسا في القرن الخامس عشر ـ وما قبل ـ قد دعموا التحصينات للدفاع عن حدودهم بإقامة مجموعة مدن أبفيل؛ وأميان؛ وبيرون؛ ورُوي؛ وكوربي؛ على مجرى نهر السوم.

الواجبات التي نفذها بنجاح، مقابلته لرئيس هيئة أركان حرب القوات الروسية ـ بناء على توجيه قيادته ـ وذلك بهدف إقناع القيادة الروسية بإرسال قواتها من شمال العراق لدعم القوات البريطانية التي كانت تتعثر في تقدمها من الجنوب نحو الموصل بقيادة (الجنرال مود)، وقد وافق رئيس هيئة الأركان الروسية على التدخل الروسي. وكادت المقابلة تصطدم بفشل، إذ اقترح الملحق العسكري الفرنسي الذي حضرالمقابلة رفع العلم الفرنسي على مدينة الموصل بعد استيلاء الروس عليها. وكان من حسن حظ (ويڤل) أن رئيس هيئة الأركان الروسي كان يجهل الفرنسية؛ واستطاع (ويڤل) تغطية الموقف بلباقة ومهارة. وعلى كل حال؛ فإن الثورة الروسية لم تلبث أن تفجرت، ووجد (ويڤل) وزوجته أنه لم يعد هناك ما يمكن عمله في مناخ الثورة المضطرب؛ فرجعا إلى انكلترا.

ما كاد (ويڤل) يستقر في لندن؛ حتى بوغت بإقدام رئيس هيئة أركان حرب الأمبراطورية (وليم روبرتسون)[1] على تكليفه بمهمة

---

(١) وليم روبرتسون (SIR WILLIAM ROBERT, ROBERTSON) فيلد مارشال بريطاني (١٨٦٠ ـ ١٩٣٣) دخل الجيش جندياً متطوعاً سنة ١٨٧٧. وأصبح سنة ١٩١٤ قائداً أعلى للقوات البرية البريطانية، ثم رئيساً لهيئة أركان حرب الأمبراطورية سنة ١٩١٥ ثم عضواً في مجلس الدفاع، وذلك لتقييد حرية عضو المجلس (كتشنر) مما سمح له بالوصول إلى منصب وزير الحرب، باعتباره المستشار الرئيسي لمجلس الوزراء في شؤون الحرب. وأصبح من مسؤوليته المباشرة توجيه السياسة الاستراتيجية للقادة ـ الجنرالات ـ وقد دعم السياسة الهجومية للحلفاء على الجبهة الغربية، مع تبني سياسة دفاعية على كافة الجبهات الأخرى، =

(ضابط اتصال) بين وزارة الحرب البريطانية من جهة وبين القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين (الجنرال اللنبي).

وجاء (ويڤل) إلى فلسطين؛ ورافق الجنرال اللنبي في المرحلة التي كانت فيها القوات العربية والقوات البريطانية تطارد القوات العثمانية. وعندما أنهى ويڤل مهمته رجع إلى لندن ليرفع تقريره إلى وزارة الحرب، وعندها كلفه (وليم روبرتسون) بحضور هيئة الحرب العليا التي كانت منعقدة في فرساي، حيث كانت تدور مناقشات حادة عن مستقبل (فلسطين) من جهة وعن مستقبل المنطقة العربية؛ بعد أن تقرر الغدر بوعود الحلفاء للملك حسين؛ والتنكر لها، وتقسيم (إرث الدولة العثمانية) بين دول الحلفاء المنتصرة (بريطانيا وفرنسا) وفرض الانتداب على فلسطين والأردن والعراق من جانب بريطانيا؛ وعلى سوريا ولبنان من جانب فرنسا. ولم يكن الخلاف بين قيادة الحلفاء على تقسيم البلاد العربية في (بلاد الشام) هو خلاف على المبدأ ذاته؛ من حيث فرض الاستعمار باسم (الانتداب)، وإنما كان الخلاف بشأن (خطوط الحدود)، وقد أمضى (ويڤل) في مؤتمر فرساي زهاء خمسة أسابيع، وكان دور العسكريين هو تنفيذ المخطط السياسي المتفق عليه بين القادة السياسيين الانكليز والفرنسيين (لويد جورج وماكما هون).

= وطالب بإجلاء قوات الحلفاء عن الدردنيل. وكانت علاقاته سيئة برئيس الوزراء (لويد جورج) الذي أبعده عن القيادة سنة ١٩١٩ بتعيينه قائداً للقوات البريطانية في ألمانيا المحتلة.

٢ ـ في هيئة قيادة الجنرال اللنبي

عاد (ويڤل) إلى لندن؛ بعد انتهاء (مؤتمر فرساي) حيث أمضى فترة قصيرة رجع بعدها إلى (فلسطين)، وهو الآن يحمل رتبة (مقدم) حيث تم تعيينه رئيساً لهيئة أركان حرب الفيلق العشرين ـ الذي كان بقيادة تشتوود ـ وعكف على دراسة مخططات حملة اللنبي في فلسطين؛ ومراحل تنفيذها؛ وما جابهته من عقبات؛ وما حققته من نجاحات. وكانت المقارنة واضحة أمامه بين تجربته مع حرب الثبات أو (حرب الخنادق) التي عاشها على جبهة الغرب، وبين تجربته مع (اللنبي) في (حرب الحركة). وقد تملكته الحماسة (لحرب الحركة) وأصبح من أنصارها لأنه اعتقد جازماً، بأنه لن يكون (لحرب الخنادق) أي مجال في الحروب القادمة، وأن تطور الأعتدة والوسائط القتالية سيعيد للمعركة حركتها وسرعتها؛ مما سيؤدي بالتالي إلى تغيير أساليب العمليات والتكتيك تبعاً لتغير الوسائط القتالية. وتكون لدى (ويڤل) اعتقاد بأن العوامل الاستراتيجية والتكتيكية التي تدخلت في أساس الحملة البريطانية؛ وأعمالها في فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، هي من العوامل التي لم تتح أي مجال للابداع في وضع الخطط، كما أنها لم تتح أي مجال للجرأة في تنفيذها. فكانت الأعمال القتالية للقوات البريطانية ـ بمجموعها ـ محرومة من الفضائل الحربية، فكان (ويڤل) يردد باستمرار: «يجب ألا تلتصق أوحال الفلاندرز بأذهاننا، وألا تؤثر على تفكيرنا». ولا ريب أنه وهو يعبر عن رأيه هذا؛ كان يحاول أن يطرد من تفكيره كل أساس لأساليب الحرب الجامدة (حرب الخنادق).

تعلم (ويڤل) فيما تعلمه من تجربة (اللنبي)، وهو يرقب أعماله عن قرب، طرائقه في الخداع والتضليل والتمويه. كما اكتسب منه خبرة عملية واسعة في حرب الصحراء وقيادة الجيوش التي تضم جنسيات مختلفة؛ وتتحدث بلغات متباينة؛ واقتبس عنه الكثير من أساليبه في استخدام الحزم للمحافظة على النظام والانضباط؛ وخلق روح معنوية عالية بين القوات؛ وأخذ عن (اللنبي) أيضاً نهجه في التحرر من قيود النظم القديمة؛ وهجره لأساليب العمل التقليدية الجامدة التي لا تتناسب مع التطورات المستمرة في فن الحرب: مثل تنكره لنظم حرب الخنادق وحرب المواقع الثابتة وتفضيله لحرب الحركة المميزة بالقدرة على الدهاء والخداع والمناورة وخفة الحركة، وهذا مما سيمكنه من استثمار ذلك كله عندما ستتاح له الفرصة بعد ذلك بعشرين عاماً لتولي القيادة العامة للقوات البريطانية في الشرق الأوسط.

أفاد (ويڤل) من انتهاء الأعمال القتالية في بلاد الشام، فحصل على إجازة قصيرة قضاها في لندن - حيث ولدت خلالها ابنته الكبرى - ولما عاد بعدها إلى القاهرة؛ عين رئيساً لهيئة الأركان العامة في قيادة الجنرال (اللنبي) حيث أمضى سنتي ١٩١٩ و١٩٢٠ وهو على اتصال مباشر مع (اللنبي)، وعاش تجربة الصراع السياسي في مصر خلال تلك الفترة.

كانت مصر قد قطعت شوطاً متقدماً في الصراع ضد الاستعمار البريطاني (ووصايته)، بقيادة الحركة الوطنية المصرية، وتشكل وفد

مصري منذ ١٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩١٨ للمطالبة باستقلال مصر. وحاول (اللنبي) السيطرة على الموقف؛ ووضع العوائق أمام الحركة الوطنية؛ فلما عجز عن ذلك؛ تم اعتقال سعد زغلول ورفاقه يوم ٨ آذار ـ مارس ـ ١٩١٩ وأبعدوا إلى مالطة. وعلى أثر ذلك بدأت ثورة الشعب المصري الوطنية الكبرى ضد الاستعمار الانكليزي. وحاول (اللنبي) الاعتماد على حكومات تدعم سلطته ونفوذه، غير أن هذه الحكومات لم تكن قادرة على الاستمرار طويلاً في حكم البلاد الثائرة، فكانت مدة حكم كل حكومة تتراوح بين شهر وبضعة أشهر. وجرت محاولات قمع الثورة بالقوة؛ فوقعت اشتباكات كثيرة كان من أهمها اقتحام الجنود الانكليز للجامع الأزهر في يوم ١١ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩١٩، إذ اعتبر (الأزهر) هو معقل الحركة الثورية ـ الإسلامية. ولما تعاظمت قوة الثورة؛ حاولت الحكومة الانكليزية استيعاب الثورة المصرية ـ سياسياً ـ فأرسلت من لندن (بعثة ملنر) لدراسة مطالب الشعب المصري؛ وذلك للالتفاف من حول قيادة الحركة الوطنية (سعد زغلول). ولكن الشعب المصري قاطع هذه البعثة (التي وصلت إلى مصر في شهر شباط ـ فبراير ـ ١٩٢٠)، مما اضطر السلطة البريطانية لإعادة سعد زغلول ورفاقه إلى مصر (في ٥ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٢٠). واستقبلت القاهرة والاسكندرية قدوم سعد باشا زغلول بانتفاضة شعبية عارمة، تأييداً له ضد حكومة (عدلي يكن) الذي حاول الحصول على دعم انكلترا، فسافر إلى لندن يوم ١٠ أيار ـ مايو، ولكنه فشل في جهوده، واستقال من الحكم. ولجأ

(اللنبي) من جديد لاعتقال (سعد باشا زغلول) يوم ٢٩ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٢٠ وابعاده في هذه المرة إلى جزيرة سيلان (حتى ١٧ ـ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٢٢) عاد بعدها ليؤسس (حزب الأحرار الدستوريين).

لقد عاش (ويڤل) هذه الأحداث كلها وهو في مقر القيادة في (القاهرة). ومن هذا المقر ذاته تابع ما كانت تنفذه المخططات البريطانية في المنطقة العربية، فقد اعترفت فرنسا رسمياً بوعد بلفور يوم ١٤ شباط ـ فبراير ـ ١٩١٨، وتبعتها إيطاليا في ٩أيار ـ مايو ـ وتشكل وفد من (القوميين العرب) في بلاد الشام، جاء إلى القاهرة للمطالبة بتحديد موقف انكلترا من هذا الوعد، فأعلنت بريطانيا تبنيها لهذا الوعد في ١٦ حزيران ـ يونيو ـ. وتبع ذلك اتفاق فرنسا وبريطانيا في (معاهدة باريس ٣٠ أيلول ـ سبتمبر) على تقسيم البلاد العربية وانتدابها.

وعاشت المنطقة العربية مرحلة هيجان مستمر واضطرابات دائمة، كان من أبرزها انطلاقة ثورة العراق في ٣٠ حزيران ـ يونيو ١٩٢٠ ضد الانكليز، وإقامة أمارة في شرقي الأردن (في شهر آذار مارس ـ ١٩٢١)، وقيام اللجنة الفلسطينية برفض الانتداب البريطاني (وتأكيد هذا الرفض من خلال المؤتمر العربي الفلسطيني الذي عقد في ٨ تموز ـ يوليو ـ ١٩٢١).

وهكذا؛ عرف (ويڤل) مشكلات العالم العربي (أو منطقة الشرق الأوسط كما أصبح يطلق عليها بعد تقسيمها وتفتيتها) منذ بداية

ظهور هذه المشكلات على أيدي سلطات الانتداب البريطانية، وتعلم من اللنبي أسلوب تعامله مع هذه المشكلات عسكرياً وسياسياً. وكان لهذه الخبرة المكتسبة أثر كبير في تكونه الفكري وتطوره. وقد شاهد (ويڤل) حتى الآن كل ما يمكن للجندي أن يتعرف عليه وأن يشاهده، فقد عاش تجربة الحرب على مختلف الميادين (الغربية والشرقية)، ومارس أعمال المخابرات (الجاسوسية) وهو في (لندن) وفي كل من (روسيا وفرنسا)، كما عمل مع كبار القادة؛ وأبرزهم اللنبي. وعرف من خلال اشتراكه في (مؤتمر فرساي) طبيعة المؤامرات الاستعمارية، وأساليب العمل في (السياسة ـ الاستراتيجية) لبلاده. ثم عاش في مصر نتائج السياسة ـ الاستعمارية، وطرائق تنفيذ هذه السياسة؛ وما يرافقها من ردود فعل متنوعة ـ تبدأ بالاحتجاج وتنتهي بالثورات المسلحة ـ ولقد تمت له هذه التجارب كلها؛ واستوعب الدروس المستخلصة منها؛ ولما يتجاوز الثامنة والثلاثين من عمره. وإذن فلا زال هناك مجال أمامه للإفادة منها؛ واستيعاب دروسها بعمق؛ ومتابعة تطوراتها بهدوء؛ مستخدماً في ذلك ما توافر له من المواهب التي عرف بها: طبيعة هادئة تميل إلى الصمت والتحفظ؛ وقوة ملاحظة مثيرة؛ وعقل متزن، وسعة اطلاع ومعرفة.

حمل (ويڤل) خبراته ومعارفه وتجاربه، وعاد إلى انكلترا في سنة ١٩٢٠؛ حيث تم تعيينه قائداً لأحد الألوية، ثم قائداً لإحدى الفرق الانكليزية في (ألدرشوت). ولقد اصطدم (ويڤل) منذ وصوله إلى وطنه بفكرة (تخفيض التسلح) وهي الفكرة التي تبنتها

الاتجاهات السياسية في العالم، وفي الدول العظمى خاصة، بعد التجارب القاسية في الحرب العالمية الأولى؛ باعتبارها نتيجة لسياسة (سباق التسلح).

وتصدى (ويڤل) لهذه الفكرة لأنه رأى أنه من غير المقبول أن تقدم بريطانيا على تخفيض تسلحها؛ فيما تتابع المصانع الألمانية عملها في انتاج الأسلحة، وأنه لا بد من إجراء أبحاث واسعة وعميقة في أنظمة الخدمة، وفي مدة الخدمة العسكرية؛ وفي أنواع الأسلحة وكمياتها، حتى لو كان مثل هذا التخفيض من جانب بريطانيا نسبياً ومحدوداً. وقاومه أصحاب فكرة: «عدم حاجة الدول ذات الامكانات الضخمة للاحتفاظ بجيش كبير في أيام السلم»، فرد عليهم بقوله: «قد تتعرض أمة بكاملها للفناء بضربة خاطفة في الحروب القادمة بحيث لا تتاح لها فرصة استثمار امكاناتها الضخمة ومواردها الواسعة وتنظيم جيش يدافع عنها». فكان ويڤل في طليعة المنذرين بما تضمره ألمانيا للمستقبل، ولم يكن وحده في هذه الحلبة؛ إلا أن صوته بقي قوياً وواضحاً في مواجهة نزعات (تخفيض التسلح).

بات باستطاعة (ويڤل) وقد استقر به المقام في بلده؛ بعد طول حل وترحال؛ أن يقف موقف المتأمل؛ وأن يتخذ موقف الباحث؛ من مجموعة التجارب التي عرفها، والتي عاشها؛ فانصرف لممارسة هوايته في (الكتابة العسكرية)، فأخذ بتقديم أبحاثه المختلفة إلى موسوعة المعارف البريطانية (أنسيكلوبيديا بريتانيكا)، فكان مما

قدمه لها بحث عن (الجيش)، وآخر عن (الحروب في روسيا)، وثالث عن (العمليات الحربية في فلسطين). وفي الوقت ذاته أخذ في اعداد كتابه الشهير (حملة فلسطين)[1] الذي صدر للمرة الأولى سنة ١٩٢٨ - ثم أعيد طبعه مرات عديدة، فقد اعتبر بأنه من أهم مراجع التاريخ العسكري لهذه الحملة. وأظهر (ويڤل) في كتابه هذا؛ شغفه العميق بالتاريخ العسكري؛ وقدرته على تحليل الأحداث؛ كما أظهر أن أكثر ما يهمه في أبحاثه التاريخية هو التركيز على (العامل البشري) ودوره في الحروب. وكذلك؛ فإن اهتمامه بالتجارب التاريخية لم يصرفه عن الاهتمام بالمتطلبات المباشرة، فقد عمل على الاضطلاع بأكبر قسط من كتاب (قوانين أو قواعد الخدمة في الميدان) وهو الكتاب الذي بقي المرجع الأول الرسمي في بريطانيا للتدريب والعمليات حتى الحرب العالمية الثانية.

ولم يكن اهتمام (ويڤل) بالنواحي العملية - التطبيقية - أقل من اهتمامه بالنواحي النظرية، فقد أمكن له خلال قيادته للواء المشاة السادس، ثم عندما تولى قيادة الفرقة الثانية (في ألدرشوت - وكان قد تم ترفيعه إلى رتبة عميد - ميجر جنرال سنة ١٩٣٣) العمل على تطوير التدريب تطويراً كبيراً؛ وأدخل عنصر الإثارة والتشويق في

---

(١) كتاب (حملة فلسطين)

THE PALESTINE CAMPAIGNS
(COL.A.P. WEVELL).
Constable and Co. L.T.D. LONDON,
3rd Edition. 5th Impression 1936.

وقد ترجمت هذه الطبعة إلى اللغة العربية - من قبل وزارة الحربية والبحرية - الجيش المصري - القاهرة - المطبعة الأميرية ببولاق - ١٩٣٨.

التدريب؛ لدفع الجنود من أجل بذل المزيد من الجهد.

ولما كان ويفل من أنصار الحرب الآلية - الميكانيكية - فقد لجأ إلى تدريب جنوده على الوسائط الحديثة وكان من أبرز جهوده في هذا المضمار إدخال ناقلة الجنود (البرن) التي صارت من أكثر العربات المدرعة البريطانية شهرة، والتي برهنت على فائدتها الكبرى في ميدان القتال الأفريقي - بعدئذ -.

بقيت أرض فلسطين تضطرم ناراً، بسبب الاستفزازات البريطانية الصهيونية المستمرة؛ وظنت القيادة البريطانية أن باستطاعة (ويفل) القضاء على الثورة العربية - الفلسطينية بالقوة؛ فعينت (الميجر جنرال ويفل) قائداً عاماً للقوات البريطانية في فلسطين وشرقي الأردن سنة ١٩٣٧. وكان (ويفل) يعرف أن المشكلة ليست مشكلة عسكرية، بقدر ما هي مشكلة سياسية؛ وقد حاول (ويفل) جهده واستطاع بمزيج من السياسة - والقوة العسكرية تهدئة الموقف مع نهاية العام ١٩٣٧.

٣ - ويفل والثورة العربية الفلسطينية ١٩٣٧

قد يكون من المناسب هنا التوقف قليلاً عند دور (ويفل) في إخماد الثورة العربية - الفلسطينية. كانت الثورة قد أقضت مضجع السلطة البريطانية، فأرسلت - كالعادة - لجنة لدراسة الموقف وتقديم المقترحات المناسبة، عرفت باسم (لجنة بيل) ونشرت تقريرها في ٧ تموز - يوليو - ١٩٣٧، وجاء فيه: «إن الروح القومية عند العرب هي شديدة القوة؛ كما هي الحال عند اليهود. وقد ظل

ما يطلبه الزعماء العرب من تأسيس حكومة ذاتية وطنية، وقفل باب الوطن القومي اليهودي ثابتاً ولم يطرأ عليه تغيير منذ سنة ١٩٢٠، وتتغذى الروح القومية عند العرب ـ كما هي عند اليهود ـ من النظام التعليمي؛ ومن نمو حركة الشباب» واقترحت اللجنة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، لكن العرب الفلسطينيين رفضوا التقسيم؛ وتابعوا ثورتهم. وهنا لجأت بريطانيا إلى أسلوبها التقليدي فلجأت إلى ملوك العرب (في الأردن والعراق ومصر والسعودية) للوساطة مع الحاج أمين الحسيني والقيادة الفلسطينية لإيقاف الثورة؛ مقابل تعهد بريطانيا بتغيير سياستها الارهابية ـ القمعية وتجاه الهجرة إلى فلسطين.

ووافقت القيادة الفلسطينية؛ وهدأت الثورة ـ نسبياً ـ غير أن سلطة الانتداب البريطانية أفادت من هدوء الموقف لزيادة استفزازاتها؛ وتصعيد أعمالها العدوانية، مما أدى إلى تصاعد أعمال الثورة الفلسطينية (وقتل حاكم الجليل ـ أندروز ـ في يوم ٢٦ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٣٧)، وقتل (حليم بسطا مساعد مدير الشرطة البريطاني) و(حاكم جنين مستر موفات في ٢٤ آب ـ اغسطس ـ ١٩٣٧)، مما حمل السلطات البريطانية على الاستنجاد بقائدها الميجر جنرال ويفل، تلميذ اللنبي، مع اعلان بريطانيا عن سحب مشروع (لجنة بيل) أو مشروع التقسيم.

ولقد رافق تعيين الجنرال ويفل، ضجيج إعلامي انفعالي بهدف ارهاب الثوار العرب؛ مع اتخاذ إجراءات تعسفية إرهابية، مثل

مطاردة كل عربي يلبس الكوفية والعقال والتنكيل به، باعتبار أن هذا الزي هو زي الثوار. فكانت النتيجة أن أصبحت الكوفية والعقال هي لباس كل عربي ـ فلسطيني ثائراً كان أو غير ثائر.

وامتد لهيب الثورة، وسيطر الثوار على مدينة الخليل؛ ومدينة القدس القديمة؛ ومدينة بئر السبع؛ وأطلقوا سراح المساجين، واستولوا على مراكز الشرطة وجردوا رجالها من السلاح، كما احتلوا طبريا وأريحا والخليل. وامتدت يد الثوار إلى (تل أبيب) فشنوا هجمات مباغتة في شهر كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٣٨، كما هاجموا عدداً من مخافر الشرطة في كل مكان من فلسطين. **ونشبت معركة شديدة في ضواحي الخليل اشترك فيها سرب من الطائرات البريطانية في مطاردة المجاهدين. ولجأ (ويفل) إلى استخدام الأرتال الآلية ـ الميكانيكية ـ المتحركة لمطاردة المجاهدين الفلسطينيين؛ ولكن هؤلاء هاجموا رتلاً بين القدس ويافا، وقتلوا قائده وأسروا جنوده. ولم تفلح الطائرات البريطانية التي طاردت الثوار في إيقاف العمليات.**

كانت قوات الجيش البريطاني تتابع أعمالها في تفتيش المناطق العربية ـ البيوت والمتاجر ـ بحثاً عن السلاح في كل مكان من فلسطين؛ مع ما كان يرافق ذلك من استفزازات مثيرة؛ فيما كان المجاهدون الفلسطينيون يبذلون المزيد من الجهد.

وتطورت أعمال الصدام بين المجاهدين العرب وبين قوات الجيش البريطاني في شهر آذار ـ مارس ـ ١٩٣٨، لا سيما في (منطقة

جنين) حيث دارت معركة ضارية يومي ١١ و١٢ / آذار ـ مارس ، مما اضطر القوات البريطانية لإقفال الطريق العام بين نابلس وطول كرم . وزج (ويڤل) بالطائرات ؛ واستخدم القطارات لنقل القوات. فدمر المجاهدون القطار، كما دمروا أنابيب البترول (من العراق) في منطقة (برج ابن عامر) بالقرب من ناصرة، وترافق ذلك مع وقوع اشتباكات في كثير من أنحاء فلسطين، فلجأت السلطات البريطانية لاعتقال أعداد كبيرة من العرب، وأعلنت عن جوائز مالية كبيرة لمن يرشد على أكثر من (٢١) زعيماً من زعماء الثورة (بما يتراوح بين ١٠٠ جنيه و٥٠٠ جنيه)، مع فرض غرامات مالية كبيرة على القرى العربية لمنعها من مساعدة المجاهدين ـ ولإفقار العرب من جهة ثانية ـ. ورد المجاهدون على ذلك بالمزيد من أعمال العنف؛ وبالمزيد من الهجمات ضد مراكز الشرطة والجيش البريطاني. ووجد (ويڤل) أن قواته لم تعد تحتمل الجهد المبذول، فأعلن في ٨ و١٧ و١٨ أيار ـ مايو ـ عن دعم الجيش البريطاني في فلسطين بثلاثة آلاف جندي إضافي.

قد يكون من الصعب الإحاطة بكافة الأعمال القتالية التي وقعت بين القوات البريطانية من جهة، وبين المجاهدين الفلسطينيين من جهة ثانية؛ فقد امتدت صفحة الصراع المسلح لتشمل فلسطين كلها. فقد نوع المجاهدون أهدافهم وطوروا أساليبهم باستمرار مما كان يضع (ويڤل) وقواته أمام مآزق متجددة باستمرار. فما تكاد القوات البريطانية تنتهي من إصلاح خط حديدي

في منطقة من المناطق حتى يكون المجاهدون قد دمروه في منطقة أخرى. وما تكاد أعمال اصلاح أنبوب البترول العراقي تشرف على الانتهاء حتى يظهر عمل تدميري جديد؛ ومع أن المجاهدين العرب قد ركزوا ضرباتهم ضد القوات البريطانية؛ إلا أنهم كانوا يهاجمون ما بين فترة وأخرى المراكز اليهودية؛ والمشاريع التي تقام باسم اليهود.

وكانت أعمال القمع البريطاني تساعد على تجديد التظاهرات وتصعيد الاضطرابات. وقد أفاد المجاهدون من تعاون المواطنين للحصول على المعلومات الدقيقة عن تحركات القوات البريطانية ونشاطاتها. وعلى سبيل المثال؛ فقد عملت السلطة البريطانية (في شهر تموز ـ يوليو) على محاكمة ١٩ عمدة ـ مختار ـ من مخاتير قرى نابلس بحجة امتناعهم عن مساعدة السلطة البريطانية على اعتقال بعض المجاهدين، فاجتاحت الاضطرابات مناطق نابلس والخليل والقدس. وأعقب ذلك وقوع معركة ضارية في منطقة نابلس، حيث حشد (ويڤل) قوات ضخمة في المنطقة ما بين نابلس وطول كرم؛ بهدف تطويق المجاهدين على سفوح الجبال الشرقية المواجهة لنهر الأردن. وبينما كان (ويڤل) وقادته؛ يشرفون على توزيع القوات على المنطقة للبدء بأعمال التطويق؛ بوغتوا بخروج المجاهدين من مخابئهم في قرى (بورين) و(صواره) و(عقبة) و(زعترة)، وقيامهم بشن هجوم عنيف على القوات البريطانية، فأصدر (ويڤل) أمره بمنع التحرك على الطرق العامة وحاصر أهل كل قرية في قريتهم؛ واستخدم المدفعية على نطاق واسع؛ كما استخدم الطائرات التي

أخذت في إلقاء قنابلها على منطقة عمل المجاهدين التي امتدت لمسافة خمسة عشر كيلو متراً. وأسقط المجاهدون إحدى الطائرات، كما أحرقوا (محطة المزرعة)، وهاجموا مكتب دار الحكومة في الخليل، واستمرت المعركة لأكثر من أربع وعشرين ساعة.

كان في جملة الأساليب التي اتبعها المجاهدون العرب؛ التوسع الكبير في استخدام الألغام والمتفجرات لعزل المستعمرات اليهودية؛ وحرمانها من الكهرباء، وكذلك لتدمير قوافل القوات البريطانية، ومثال ذلك ما حدث خلال شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩٣٨؛ عندما اصطدمت فصيلة من الجيش البريطاني بلغم في الطريق إلى الجهة الجنوبية الشرقية من قلقيلية؛ وما كاد يتم الانفجار حتى أطلق المجاهدون النار على الجنود من كمين قريب. وبدأت معركة عنيفة بين القوتين دامت لفترة طويلة، وتدخلت قوات بريطانية كبيرة، وتمكن المجاهدون من اسقاط طائرة بريطانية. وأعلنت القيادة البريطانية أنها قتلت ٤٧ من العرب خلال المعركة التي دارت بعد ظهر ١٩ آب ـ أغسطس ـ في (شعب ومجد الكروم وبين صفد وعكا وفي معركة قلقيلية). وجاءت بعدها معركة كبرى في (دير شرف) الواقعة على بعد كيلو مترات قليلة إلى الغرب من نابلس؛ حيث أسقط المجاهدون على أرض المعركة طائرة حربية وقتل جميع ركابها.

واستمرت أعمال العنف؛ رغم كل الجهود التي بذلها (ويفل) وقواته لتجريد العرب من أسلحتهم؛ وتدمير منازلهم؛ وإصدار

الأحكام القاسية ضدهم؛ ومثال ذلك ماحدث في سجن عكا يوم ٤ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٣٨ عندما تم إصدار حكم الإعدام على عربي لمجرد امتلاكه السلاح ـ وقد تمت محاكمته سراً ـ. وفي ١١ منه أصدر (ويڤل) موافقته على إعدام عربيين اتهم أحدهما بقتل انكليزي ـ المستر سباركس ـ وتم في ٢٦ منه إعدام ثلاثة من المجاهدين في سجن عكا؛ بتهمة علاقتهم بمصرع ضابط بريطاني. وصدرت مثل هذه الأحكام التعسفية في شهر شباط ـ فبراير ـ ١٩٣٨. وفي يوم ٢ آذار ـ مارس ـ أعدم ١٢ عربياً لاتهامهم بقتل أحد البريطانيين. وبلغ مجموع ما أصدرته المحاكم العسكرية في العام ١٩٣٨ أكثر من ألفي حكم شملت الشيوخ والشباب والنساء. وهدمت القوات البريطانية أكثر من خمسة آلاف منزل. وأعدم في سجن عكا وحده ـ شنقاً ـ ١٤٨ من المجاهدين. وزاد عدد المعتقلين على الخمسين ألفاً، مع استخدام كل أساليب الإرهاب، مثل قتل الشباب على مشهد من سكان القرى العربية ـ دون محاكمة ودون سبب (مثل ما حدث في قرية العزل) ـ بالإضافة إلى كي الأجسام وقلع الأظافر، وحرق اللحى والشوارب وتسليط الكلاب الجائعة على المواطنين العرب المتظاهرين ضد القمع الوحشي البريطاني.

مضت سنتان على ثورة العرب الفلسطينيين؛ وفشلت جميع الوسائط القمعية في اخضاعهم، وأخذت أصداء الثورة تتردد قوية في العالم؛ مما دفع بريطانيا لإرسال لجنة جديدة (برئاسة السير جون ودهيد) في ٢٧ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٣٨، ولكن العرب قاطعوا

اللجنة مقاطعة تامة. وتراجعت بـريطانيـا عن مواقفهـا السابقـة؛ فأعلنت في شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٣٨: «بأن بريطانيا قد أعادت النظر في تقرير لجنة التقسيم، وظهر لها أن صعاباً سياسيـة وإدارية ومالية عظيمـة، ينطوي عليهـا اقتراح إنشـاء دولة عـربية وأخـرى يهوديـة؛ وأصبح واضحـاً أن هذا الحل لن يكـون حـلاً عملياً. إن بريطانيا تسعى لخلق تفاهم بين العرب واليهود في سبيل إقامة السلام في فلسطين وهي في سبيل ذلك سوف توجه فوراً دعوة إلى الدول العربية وإلى الوكالة اليهودية وإلى عرب فلسطين لعقـد اجتماع في لندن حول السياسة الخاصة بفلسطين بمـا فيها الهجـرة اليهودية. وتحتفظ بريطانيا لنفسها بـالنسبة لتمثيـل عرب فلسـطين بحق رفض الـزعماء الـذين تعتبرهم مسؤولـين عن حملة الاغتيـال والعنف. وإذا لم تنجح هذه المبـاحثات، فسـوف تعلن بريـطانيـا السياسة التي يجب اتباعها».

وعقد مؤتمر المائدة المستـديرة في لنـدن يوم ٧ شبـاط ـ فبرايـر ـ ١٩٣٩، فيما كان الصراع مستمراً على أرض فلسطين، حيث وقع خلال شهر واحد (من ٢٠ كانون الثاني حتى ٢٠ شبـاط ١٩٣٩؛ يناير وفبراير) ٣٤٨ حادثة اغتيال بالرصاص و١٤٠ عملاً تدميـرياً و١٩٠ حادثة خطف و٢٣ انفجاراً وإلقاء ٣٢ قنبلة.

وأصبـح الصراع واضحـاً بـين (ويڤـل) وبـين (زعـماء العـرب الفلسطينيين)، فتولى (ويڤل) بنفسـه قيادة بعض العمليـات؛ مثل المعركة الكبرى التي وقعت بين عكـا وصفد في ٨ آذار ـ مـارس ـ

١٩٣٩ واشتركت فيها الطائرات البريطانية. وتبعتها موقعة أخرى بالقرب من مستعمرة جبعات، ومعركة ثالثة مع ثلاث مركبات مدرعة كانت متوجهة من القدس إلى نابلس. وكان المجاهدون قد سدوا الطريق بالحجارة؛ فلما نزل الجنود البريطانيون لإزالتها بوغتوا بالرصاص ينهمر عليهم من جانبي الطريق، وقتل معظمهم. ووقعت أكبر معركة يوم ١٣ آذار - مارس - واشتركت فيها ١٥ طائرة بريطانية مقاتلة، واستمرت طوال اليوم، وسقط عدد كبير من البريطانيين، كما استشهد عدد أكبر من المجاهدين.

ولما كانت بريطانيا قد أخذت في مواجهة احتمال الحرب في أوروبا، فقد حاولت تهدئة الثورة العربية الفلسطينية، وأصدرت (الكتاب الأبيض) في أعقاب انتهاء (مؤتمر الطاولة المستديرة في لندن)، وتعهدت فيه بمنح فلسطين استقلالها بعد عشر سنوات، وإيقاف الهجرة اليهودية بعد خمس سنوات، ووضع قيود على انتقال الأراضي إلى اليهود. وهنا بدأ اليهود (بالثورة للرد على الثورة العربية) ولكن اليهود أفادوا من الحماية البريطانية لهم للقيام بالأعمال الارهابية ضد المدن والقرى العربية.

وبينما كانت السلطة البريطانية قد نجحت في تجريد العرب من أسلحتهم تقريباً؛ كانت تفتح أبواب مستودعاتها لتسليح اليهود، مما أدى إلى استمرار الاضطرابات إلى أن تفجرت الحرب العالمية الثانية؛ فأوقفت بريطانيا - ويهودها - استفزازاتها وانتهت الثورة الفلسطينية.

لم تكن هذه إلا أسطراً قليلة جداً في (قصة ويڤل) مع (الثورة الفلسطينية) غير أنه لا زال للقصة وجه آخر؛ فإبان اشتداد الثورة الفلسطينية؛ ومع هيمنة شبح الحرب على أوروبا، استدعي (ويڤل) إلى لندن للتشاور معه بشأن تنظيم فيلق يهودي في فلسطين. فكان من رأي (ويڤل) أن العرب سيثورون جميعاً ضد بريطانيا إذا ما تم تنظيم جيش يهودي، وأنه ليس من مصلحة بريطانيا إثارة الاضطراب في المنطقة العربية التي ينتشر الجيش البريطاني فوقها؛ لا سيما وخطر الحرب جاثم فوقها. غير أن تشرشل ـ كما كتب في مذكراته ـ: «تحدى ويڤل؛ وكتب إلى الدكتور حاييم وايزمان؛ وسمح له بتنظيم ذلك الجيش، ولم يتحرك عربي واحد».

وفي الواقع فإن اعلان تشرشل عن تنظيم فرقة يهودية مسلحة بضباطها وجنودها وسلاحها وعلمها اليهودي الخاص، لم يكن إلا إبرازاً رسمياً لما سبق الإعداد له طوال سنوات متتالية، فقد عملت سلطات الانتداب البريطانية منذ البداية، على تعيين عدد كبير من اليهود في رحبات الجيش البريطاني ومطاراته وثكناته ومستودعات أسلحته. وأقامت أيضاً بعض المصانع اليهودية لانتاج المتفجرات والذخائر وسائر المتطلبات العسكرية. وجندت الآلاف من الشباب؛ ودربتهم؛ وسلحتهم؛ وأشركتهم في أعمال الحراسة وفي الأعمال القتالية ضد العرب، وعندما انفجرت الثورة الفلسطينية؛ عهدت إلى أحد ضباطها من اليهود الاختصاصيين (واسمه أورد ـ شارل

وينغيت)[1] بتنظيم (الفصائل الليلية) وتسليحها وتدريبها. هذا إلى جانب تعبئة جهاز الشرطة اليهودية وتدريبه وتسليحه للاستعانة به ضد العرب. واعتنت إدارة الانتداب البريطاني بتدريب اليهود- خاصة - على أعمال الجاسوسية؛ والاستخبارات وأعمال التخريب. ولهذا فإن اعلان تشرشل عن (تنظيم فيلق يهودي) بحجة الإفادة منهم للقتال ضد المحور، لم يكن إلا التغطية الرسمية لما كان قد تم انجازه فعلاً في مجال إقامة الدولة اليهودية.

ولقد أفاد (ويقل) من اليهود وتنظيمهم، غير أنه لم يكن هو المنظم لهم، بل لم يكن له رأي في تنظيمهم.

٤ ـ الموقف على الجبهة العربية ١٩٣٩

بدأت انكلترا ـ في وقت متأخر ـ بإعادة تنظيم جيوشها استعداداً لمواجهة احتمالات الحرب. وأصدر وزير الدفاع البريطاني

---

(١) أورد شارل وينغيت: (ORDE CHARLES WINGATE) جنرال بريطاني ١٩٠٣ ـ ١٩٤٤، اشتهر بتنظيمه وقيادته (للفصائل الليلية الخاصة) التي عملت ضد الثورة العربية الفلسطينية ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ والتي تحولت إلى (عصابات البالماخ) ثم تولى وينغيت تنظيم الثورة في الحبشة ـ أثيوبيا ـ ضد الإيطاليين سنة ١٩٤٠، ثم عمل على تنظيم وقيادة (مجموعة الاختراق العميق ـ والمعروفة باسم شينديت) ضد اليابانيين في بورما (١٩٤٣ ـ ١٩٤٤)، وقتل عندما اصطدمت طائرته في بورما. كان يكثر من تلاوة التوراة.
وللمزيد عن دوره في تنظيم القوات اليهودية ـ انظر (جيش العدوان الصهيوني ـ بسام العسلي ـ مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية ـ دمشق ١٩٧٩ ـ ص ٦٤ ـ ٦٧

(هوربليشا)[1] أمره باستدعاء (ويقل) من فلسطين؛ وعينه قائداً للمنطقة الجنوبية. وبذلك بات المجال مفتوحاً أمام (ويقل) لتسلم قيادة كبرى في حال نشوب الحرب. وحمل (ويقل) معه خلاصة تجربته في التعامل مع (الحروب الثورية)، وغادر فلسطين في سنة ١٩٣٩.

وكانت مباغتة سارة بالنسبة له عندما منحته الحكومة البريطانية لقب (سير) وهو اللقب الذي بقيت أسرته محرومة منه طوال ستمائة سنة من تاريخها. وكان ذلك مكافأة لما بذله (ويقل) في قضائه على الثورة العربية الفلسطينية، ولنجاحه في تجريد الشعب الفلسطيني من قدراته القتالية، مع قطع شوط بعيد في تنظيم القوات اليهودية وتدريبها وتسليحها.

ويظهر أن الفترة التي قضاها ويقل في فلسطين قد أثارت فيه انطباعات قوية عن أيام الفتح البريطاني لفلسطين؛ فشرع منذ عودته إلى إنكلترا في كتابة تاريخ حياة اللنبي، ونشر الجزء الأول

---

(١) هور بليشا: **(LESLIE, HORE - BELISHA)** سياسي بريطاني (١٨٩٣ - ١٩٥٧) شغل منصب وزير الدفاع، ورئيس المجلس العسكري من أيار - مايو ١٩٣٧ حتى حزيران - يونيو - ١٩٤٠. عمل على تعديل نظام التجنيد لتمديد مدة الخدمة؛ مع تمديد مدة الاحتياط حتى عمر ٣٠ سنة. وذلك بهدف زيادة حجم القوات المسلحة، كما عمل على تطوير الخدمات والامتيازات للمجندين. وطالب سنة ١٩٣٧ بتشكيل (وزارة إمداد وتموين) وهي الوزارة التي تشكلت سنة ١٩٣٩. اصطدم مع القائد الأعلى للقوات المسلحة (غورت)، فطلب إليه تقديم استقالته في مطلع ١٩٤٠، ولم تلبث الأحداث أن تجاوزته.

منه في سنة ١٩٤٠ تحت عنوان (اللنبي ـ دراسة في العظمة)(*).

وفي تلك الفترة من سنة ١٩٣٩، ألقى (ويفل) ثلاث محاضرات في جامعة (كامبريدج) عن القيادة؛ وقد امتازت هذه المحاضرات بالعمق، وبأسلوبها الأدبي، وبطرافتها، والأهم من ذلك؛ ببحثها في العامل الإنساني ودوره في الحروب.

ما كاد (ويفل) يشعر بالاستقرار في (لندن) حتى صدر قرار بتعيينه قائداً عاماً للقوات البريطانية في الشرق الأوسط. وكانت قيادته تشمل منطقة واسعة تمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالاً حتى بحيرة (فيكتوريا) جنوباً، ومن الحدود الغربية للسودان حتى خليج عدن، وتشمل أقاليم مصر والسودان وفلسطين وشرق الأردن والصومال البريطاني وقبرص. وكان يعاونه في عمله القائد العام للقوات البحرية في شرق البحر الأبيض المتوسط. وبقي الإشراف على البحر الأحمر والمحيط الهندي تابعاً للقائد البريطاني الأعلى لشرق الهند؛ والذي كان ممثله في القاهرة. فكانت القيادة العليا بهذا الشكل تضم ثلاثة من القادة لهم مسؤولياتهم المحددة؛ وهذه القيادة تابعة للجنة (هيئة رؤساء الأركان). ولهذه القيادة (هيئة تخطيط مشترك) و(مركز استعلامات ـ استخبارات ـ مشترك) يضم ممثلين من ضباط هيئات أركان القوات البرية والبحرية والجوية.

واجهت بريطانيا مأزقاً صعباً مع انفجار الحرب في أوروبا؛

(*) صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب سنة ١٩٤٣ بعنوان (اللنبي في مصر).

فقد تم توقيع الهدنة الفرنسية ـ الألمانية يوم ٢٢ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠، وتبعها توقيع الهدنة الفرنسية ـ الإيطالية يوم ٢٤ حزيران ـ يونيو ـ. ووقفت بريطانيا وحدها؛ وقد حوصرت قاعدتها (إنكلترا)، وبات لزاماً عليها مجابهة كل شيء وفي كل مكان.

وضغط البريطانيون على أسنانهم وهم يشاهدون الدنيا وقد انقلبت عليهم فجأة؛ وأظلمت؛ على ما تعيشه إنكلترا من شبه ظلام دائم ـ بسبب حرمانها من أشعة الشمس وضيائها ـ وبدأت الطائرات الألمانية والبحرية الألمانية في خنق إنكلترا. وكان أكثر ما يهم (بريطانيا) هو المحافظة على قواعدها الأساسية فيما وراء البحار ـ مستعمراتها ـ وكان البحر الأبيض المتوسط، وطريق الهند هو الرئة التي تتنفس بريطانيا من خلاله، ولكن هذا الطريق بات مهدداً تهديداً خطيراً بدخول إيطاليا الحرب. وكان تدمير الأسطول الفرنسي في ميناء (المرسى الكبير) في الجزائر يوم ٣ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٠؛ برهاناً على ما وصل إليه موقف بريطانيا من التدهور، وما وصل إليه الاضطراب في موازين القوى؛ إذ بات هناك انقطاع في الاتصال بين الأسطول البريطاني في غرب المتوسط والأسطول الآخر في شرق المتوسط. وكان لزاماً على بريطانيا تعزيز أسطولها الشرقي (في الإسكندرية)نظراً لأنه بقي الأسطول الوحيد الذي يملك القدرة على المناورة الواسعة؛ للمحافظة على الوجود البريطاني في (دلتا النيل) خاصة؛ وفي منطقة العالم العربي (الموصوف بالشرق الأوسط) من ناحية ثانية.

وكانت بريطانيا تعرف أن العالم العربي يتعاون مع (بريطانيا

العظمى) وهو مكره على هذا التعاون؛ وأنه ينتظر الفرصة المناسبة للعمل ضدها. وزاد الموقف خطورة احتمال تعرض مصر لتهديد إيطالي على الجبهة الغربية (من ليبيا)، فكان لا بد من حشد جيش كبير لمواجهة هذا التهديد. وكان على (الإنكليز) أيضاً نقل بعض القطعات والأسلحة والأعتدة إلى منطقة الشرقين الأوسط والأدنى (جنوب شرق آسيا)، إذ من المحتمل لهذه المنطقة الثائرة أن تتفجر بصورة مباغتة. وكانت (سوريا) قد أعلنت ولاءها ـ أو تبعيتها ـ لحكومة فيشي؛ وبالتالي لألمانيا. وظهرت بواكير خطيرة عن تحولات مثيرة على المسرح الداخلي في كل من العراق وإيران. وأسرعت بريطانيا فنقلت قوات مختلفة من الأقاليم الخاضعة للحكم البريطاني الأقل تعرضاً للتهديد (الهند وأستراليا ونيوزيلاندا)، ونشرتها في مناطق حقول البترول في جنوب إيران؛ وفي مصر، كما حولت (مالطا) إلى قاعدة بحرية وجوية قوية ودعمتها بالوسائط القتالية (منها عدد من طائرات الهاريكان).

تحركت دول المحور على الاتجاه المضاد، فقامت إيطاليا بانزال قواتها في عدد من موانىء ألبانيا يوم ٧ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٣٩، واحتلت البلاد دون مقاومة تذكر.

كان هتلر وموسوليني قد تقاسما مناطق النفوذ قبل بدء الحرب، فكان البحر الأبيض المتوسط والأدرياتيكي من نصيب إيطاليا.

وكان الوضع العام في نهاية شهر حزيران ـ يونيو ـ ١٩٣٩، يسمح باستغلال انهيار فرنسا لإلحاق الدمار بالمواقع البريطانية في أفريقيا. وتقرر القيام بالهجوم على مصر، إلا أن هذا الهجوم تأخر

بحيث إنه لم يبدأ إلا في ١٣ أيـلول ـ سبتمبر. وكان سبب التأخير هو أن (حوض البلقان) كان يشكل إغراء مثيراً لشهية الـدوتـشي ـ موسوليني ـ وقد جاء النجاح السريع في الحبشة، ليدفع الـدوتشي والقيادة الإيطالية على المبالغة في تقدير إمكاناتها. ورغم ذلك، أدرك الـدوتشي أنه قـد يحتاج لـدعم حليفته (ألمـانيا) من أجـل اجتيـاح (يوغوسلافيا). ولكن (هتلر) نصح (موسـوليني) في يوم ٧ تمـوز ـ يوليو ـ بألا تتسع الحرب في البلقان. ولم يأخذ (موسوليني) بنصيحة (هتلر)، كما لم يأخذ برأي (الماريشال بادوليو)[١] وتبـع رأي القادة الإيـطاليين في ألبـانيا الـذين أكدوا أنـه بالمستطـاع تحقيق المباغتـة بالهجوم على شواطىء الإيبر مما سيضمن الظروف المناسبة لتحقيق نصر سريع. وكـان الجيش الإيطالي في ألبـانيا يضم مـا بين ٥ و٩ فرق.

وهكذا اتخذ موسوليني قراره بالهجوم على اليونان يوم ١٥ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ، وبدأ الهجوم يوم ٢٨ من الشهر المذكور.

---

(١) بيتـرو بـادوليـو : (PIETRO - BADOGLIO) مـارشـال إيـطالي (١٨٦١ ـ ١٩٥٦) ولد في غرازانو مونفيـراتو GRAZZANO - MONFERRATO. شغـل منصب رئيس هيئة الأركان الإيطالي (١٩١٩ ـ ١٩٢١) ثم حاكـماً عامـاً في ليبيا (١٩٢٨ ـ ١٩٣١) فقائداً للحملة الإيـطالية عـلى الحبشة (١٩٣٥) وسمي نـائباً للملك في الحبشة ١٩٣٨. وعينه موسوليني رئيساً لهيئة الأركان العامة (١٩٣٩)، فقائداً أعلى للقوات الإيطالية (١٩٤٠). وعارض الحملة الإيطالية على اليونان؛ فأبعده موسوليني عن القيادة سنة ١٩٤١. وبعد اعتقال موسوليني في تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٣ عينه ملك إيطاليا رئيساً للحكومة، ففاوض الحلفاء على الصلح، ثم أعلن الحرب على ألمانيا. وترك السلطة بعد أن تنازل الملك عن العرش سنة ١٩٤٤.

وبوغت هتلر عندما علم بالهجوم في اليوم الثاني لوقوعه، وقد انخدع الألمان طوال أشهر متتالية بقدرة قوات حلفائهم الإيطاليين -البرية والبحرية- وقد أدى هذا الخطأ في التقويم؛ بالإضافة إلى غياب التنسيق الأولي بين ألمانيا وإيطاليا إلى انقاذ بريطانيا من مأزقها. وكان هذا الخطأ هو انحراف كبير عن السياسة الاستراتيجية لهتلر؛ إذ أنه بهذا الانحراف، قد خرق المبدأ الكبير الذي ضمن له انتصاراته الأولى؛ وهو سحق العدو الرئيسي، حيث ما أمكن له ذلك؛ بحشد كل القوى المتوافرة ضده. وقد أوضحت الحرب في اليونان ذلك كله، فبعد النجاحات الأولى التي حققها الإيطاليون، أخذت المقاومة اليونانية في التعاظم، مستفيدة من عطالة الإيطاليين عن الحسم بسبب سوء الأحوال الجوية. وقامت بريطانيا بدورها بدعم اليونان التزاماً منها بمعاهدتها التي وقعتها مع اليونان (ومع رومانيا) يوم ١٣ نيسان - أبريل - ١٩٣٩ - أي بعد اسبوع واحد من بدء اجتياح إيطاليا لألبانيا - وتعهدت بموجبها بريطانيا بتقديم الدعم عند تعرض اليونان لأي عدوان.

كانت القيادة البريطانية ترصد كل فرصة ملائمة لضرب الإيطاليين ودعم اليونان. وقد توافرت لديها المعلومات عن حشد القسم الأكبر من الأسطول الإيطالي في مرفأ تارنتو: (٦ سفن حربية وعدداً من الطرادات) تحت حماية سدود من المناطيد والشبكات والألغام. فقامت القوات الجوية البريطانية بهجوم مباغت في ليل ١١ تشرين الثاني - نوفمبر - على شكل موجتين من الإغارات التي نفذتها طائرات سيف البحر (سوورد فيش). وكان الفاصل الزمني

بحدود الساعة الواحدة بين الإغارتين، وعلى ارتفاع عشرة أمتار فقط من سطح البحر. وكان من نتيجة هذا الهجوم البريطاني الجريء أن تم إخراج ثلاث سفن حربية إيطالية خارج القتال مؤقتاً (أي خمسين بالمائة من قوة الأسطول الإيطالي مقابل طائرتين إنكليزيتين)، وإطلاق ١١ طوربيداً ـ نسيفة ـ فقط.

وشعرت المراكب الحربية الكبرى بقسوة هذا النجاح الذي تبع فشل الهجوم الإيطالي في اليونان، فشرعت في اللجوء إلى بعض موانىء الساحل الغربي، وخففت من ضغطها على القوافل الإنكليزية التي كانت تتجه إلى كريت واليونان.

وفي الوقت ذاته، وبعد أن أنهى اليونانيون استعداداتهم؛ انتقلوا إلى الهجوم في يوم ١٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وأمكن لهم خلال أسبوع واحد احتلال مدينتي (كورتيسا وليسكو فيتز)، وكان هذا العمل تحولاً رائعاً لمصلحة البريطانيين. وكان (هتلر) قد شعر به منذ يوم ٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ فطلب دراسة إرسال قطعات ألمانية لمساعدة الإيطاليين، لا بدافع دعم حليف فحسب، بل لأن القوات الجوية الملكية البريطانية باتت قادرة على قصف آبار البترول في رومانيا بالانطلاق من القواعد الجوية في اليونان.

وأبرز هتلر للدوتشي من جديد في حديثه معه يوم ٢٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ الآثار المؤسفة للعمل المبكر والسابق لأوانه في اليونان، ووعد بالمساعدة، إلا أنه لن يكون بالمستطاع تقديم هذه المساعدة قبل عام ١٩٤١، وفي هذه الفترة ستتيح لإيطاليا وقتاً كافياً للقيام بهجوم حاسم.

وكـان (هتلر) يتابـع جهده السيـاسي خلال ذلـك في محاولاتـه لاستدراج إسبانيا حتى تنحاز إلى جانبه، مع المحاولات للتفاهم مع يوغوسلافيا وتركيا؛ وتحويل انتباه الاتحاد السوفياتي عما كان يجـريه من استعدادات للهجوم على جبهة الغرب.

وهكذا كان يتم ببطء رسم الخطوط الأولى لسياسة استراتيجيـة في شـرقي البحـر الأبيض المتـوسط؛ وكـانت القـوات الألمـانيـة ـ الإيطالية تمتلك ما يكفيها من الوقت لإجراء استعداداتها؛ ووضع هـذه السياسـة ـ الاستراتيجيـة موضـع التنفيذ. وتمهيـداً لـذلـك خصصت ألمانيا مائة قاذفة قنابل للقيام بهجمات قوية وعنيفـة ضد الأهداف الاقتصادية وضد القوات البريطانية، من أجل مساعـدة القوات الإيطالية على مهاجمة (مـرسى مطروح) والاستيـلاء عليه بأسرع ما يمكن حتى يتم تحديد حرية عمل القـوات البريـطانية في مصر.

كانت (سوريا) قد أعلنت ولاءها لحكومة (فيشي) ولكن ألمانيـا أهملت مـطالبة (المـاريشال بيتـان)[1] بمنحهم حق الإشراف علـى

---

(١) فيليب بيتان: (PHILIPPE - PETAIN) ماريشال فرنسا (١٨٥٦ ـ ١٩٥١) من مواليد غوشي لاتور (بادوكاليـه) استطاع في سنـة ١٩١٦ تأمـين الدفـاع عن (فردان) وأصبح سنة ١٩١٧ القائد الأعلى لمجموعة جيـوش الحلفاء عـلى الجبهة الشمالية والشمالية الغربية، ومنح رتبة مارشال سنة ١٩١٨، ثم وزيراً للحـرب سنة ١٩٣٤ فسفيراً لفرنسا في إسبانيا (مدريد) سنة ١٩٣٩. وأصبح رئيساً للدولة الفرنسية خلال الاحتلال الألماني لفرنسا (١٩٤٠ ـ ١٩٤٤) وحكم عليه بالإعدام لتعـاونه مـع ألمانيـا فـي ١٥ آب ـ أغسـطس ـ ١٩٤٥ ثم خفف الحكم بـالنفي =

هذه المنطقة الهامة؛ واكتفت بإرسال لجنة هدنة إيطالية إليها، فأضاعت القيادة الألمانية ـ الإيطالية بذلك فرصة تنظيم حلف من الدول العربية مضاد لبريطانيا؛ وتحويل سوريا إلى قاعدة ضد القوات البريطانية؛ وذلك نظراً لعدم وجود سياسة استراتيجية متكاملة.

واكتفت ألمانيا في تلك الفترة بالتحريض الإعلامي ضد الاستعمار البريطاني؛ وضد السياسة البريطانة المؤيدة لليهود؛ مع التركيز على (العظمة الألمانية) والقوة الألمانية التي يستطيع (أصدقاء ألمانيا) الاعتماد عليها.

ولم تكن الجماهير العربية في حاجة لمثل هذا التحريض؛ فقد كانت مشاعر التعاطف مع ألمانيا التي (استعمرت فرنسا وقهرتها)، والتي تحارب (بريطانيا العظمى) بضراوة وعناد، هي مشاعر واضحة تماماً؛ مما دفع (بريطانيا العظمى وفرنسا الحرة) لإجراء بعض التعديل على سياستهما الاستعمارية التقليدية (العصا الغليظة)، والاستعاضة عنها بسياسة أكثر تساهلاً (سياسة الإغراء، أو الجزرة)، وتقديم الوعود بمنح الاستقلال للأقاليم الخاضعة للاستعمار (الانتداب) عند انتهاء الحرب.

وعلى كل حال؛ فإن الجماهير العربية؛ لم تكن قادرة على الاضطلاع بأعباء ثورة قوية في تلك المرحلة من الحرب؛ بعد أن تم تجريدها من الأسلحة ومن القيادات، عبر الثورات والانتفاضات المتتالية. ولم يكن هذا الموقف بعيداً عن أنظار القائد العام للقوات

= ـ الإبعاد إلى جزيرة يو (YEU) ـ مدى الحياة، بسبب كبر عمره، وتقديراً لخدماته السابقة لفرنسا.

البريطانية في الشرق الأوسط ـ الجنرال ويفل ـ الذي عبَّر عن تقديره للموقف (يوم ١٧ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٠) بقوله: «إني على يقين بأن ألمانيا لن تقبل هزيمة حليفتها إيطاليا، أو احتواءها في اليونان، وأنها ستجد بأن من واجبها القيام بالتدخل المباشر. واعتقد أننا سنرى قريباً جداً مساعدة جوية لإيطاليا. ومن المحتمل ألا تكون ألمانيا راغبة على الإطلاق بدفع بلغاريا إلى الحرب أو اجتياح يوغوسلافيا ـ في الوقت الحاضر على الأقل ـ إلا أن ذلك لا ينفي احتمال انزلاق ألمانيا إلى ذلك. إن ألمانيا تقف الآن على نقطة ارتكاز عملياتها في الخطوط الداخلة؛ على نحو ما كانت عليه في الحرب العالمية الأولى؛ وهي قادرة على التحرك بصورة أسرع لمهاجمة اليونان وتركيا، اللتين لا نستطيع دعمهما». وكان تقدير موقف ويفل مميزاً بدقته المذهلة وصحته الرائعة.

٥ ـ الهجوم البريطاني في (ليبيا)

بقيت (مصر) هي المرتكز الأساسي؛ وهي القاعدة الرئيسة؛ للدفاع عن المصالح البريطانية في منطقة العالم العربي (الشرق الأوسط).

وبالرغم من ذلك؛ فقد كانت القوات المتمركزة فيها؛ عندما تسلم (ويفل) القيادة؛ كافية لتأمين الدفاع عن الصحراء الغربية ـ ما بين دلتا النيل وليبيا ـ إذ لم يكن تحت تصرفه أكثر من ثمانية آلاف جندي؛ موزعة ما بين مركز القيادة؛ وبعض الوحدات المدرعة، ولواء من الفرقة الهندية الرابعة، وبعد إعلان الحرب؛

وصل لواء هندي آخر. ولم تتزايد قوات (ويڤل) قدرة إلا في شهر شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٠ عندما وصل لواء أسترالي، وآخر نيوزيلاندي. وارتفع عدد قوات (الشرق الأوسط) في فصل الربيع حتى ٣٦ ألف جندي مع بعض المدفعية.

ولما كانت المعاهدة المصرية ـ البريطانية تمنع حشد قوات جوية في مصر إلا إذا نشبت الحرب فعلاً؛ فإنه لم يكن في مصر حتى منتصف سنة ١٩٤٠ أكثر من عشرة أسراب؛ وكان من حسن حظ (ويڤل) أن إيطاليا لم تدخل الحرب فوراً؛ رغم أنها كانت قد حشدت في ليبيا (٢٩٠) ألف جندي وأكثر من (١٥٠٠) مدفع، و(٨٠٠) دبابة وأكثر من (١٥) ألف مدفع رشاش و(١٠) آلاف مركبة.

وكانت الطائرات الإيطالية أكثر عدداً، وأحدث طرازاً من تلك التي كانت متوافرة للجنرال ويڤل. وكانت هذه القوات قد حشدت في بداية الأمر لمواجهة احتمال قيام فرنسا بالهجوم من تونس على ليبيا، فلما زال هذا الخطر بانهيار فرنسا واستسلامها لألمانيا؛ صار باستطاعة القيادة الإيطالية توجيهها نحو مصر.

وكان رفض القوات الفرنسية في شمال أفريقيا وسوريا وجيبوتي للتعاون مع الحلفاء قد زاد من أعباء (ويڤل)، ووجد أنه غير قادر بما هو متوافر له من القوى والوسائط تأمين الدفاع عن جبهاته الواسعة، فسافر إلى إنكلترا، وطرح الموقف على رئيس الوزراء ـ المستر تشرشل ـ الذي اتخذ قراره بدعم (ويڤل) والمبادرة بإرسال الإمدادات، سواء عن طريق رأس الرجاء الصالح (الكاب) أو عن طريق البحر الأبيض المتوسط.

ولم تكن هذه الإمدادات على كل حال كافية؛ ولهذا فقد راهن كثيرون على أن (ويفل) سيكون خاسراً من قبل أن تبدأ المعارك والأعمال القتالية. أما (ويفل) فكان يرى أن هناك عاملين على الأقل قد يساعدانه: أولهما: أن الإيطاليين ـ في صيف ١٩٤٠ ـ قد لا يكونون على استعداد للبدء بهجومهم على الفور. وثانيهما: أن باستطاعته تضليل الإيطاليين وخداعهم عن معرفة الحجم الحقيقي لقواته، وذلك بالرغم من وفرة شبكات الاستخبارات ـ الجواسيس ـ في مصر؛ والمتعاونين معها. ولهذا فقد عمل على استثمار الوقت ريثما تصله الإمدادات وقوات الدعم، وأصدر أمره إلى وحدات قليلة بالانتشار على الحدود؛ والقيام بتظاهرات استعراضية وتحركات كثيرة ـ في الليل والنهار ـ مع الارتفاع بمستوى تدريب القوات لتأهيلها على القتال في الصحراء، والمسير الطويل، وإجراء المناورات والتمارين المستمرة؛ ورفع الروح المعنوية للجنود، وخلق التجانس بينهم من خلال حب تنفيذ الواجب؛ وحب الوحدة. فأمكن له بذلك القضاء على ظواهر التحسس بين أبناء الجنسيات المختلفة ـ والتي بلغ عددها ١٢ جنسية من قارات مختلفة ـ .

وعندما انتهى من هذه المرحلة، أمر قواته ، في شهر حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠ باختراق خطوط الأسلاك الشائكة التي وضعها الإيطاليون على الحدود الليبية؛ والقيام بإغارات استطلاعية على مراكز المراقبة الإيطالية، مع القيام بأعمال تخريبية لخطوط الاتصالات الهاتفية؛ ومهاجمة أرتال قوات العدو، وجمع المعلومات



دخول القوات الألمانية إلى (بن غازي) - ربيع سنة ١٩٤١

عن تحركات القوات المعادية ونشاطاتها. وقد استمرت هذه الأعمال بانتظام، وأمكن خلالها أسر كثير من الجنود الإيطاليين؛ وتدمير عدد من أرتال قواتهم، والاستيلاء على عدد من النقاط ثم الانسحاب منها عندما يتقدم الإيطاليون لاستعادتها؛ وذلك بهدف إفساح المجال أمام الطيران للتدخل، بينما كانت دوريات أخرى تعمل على تدمير خطوط أنابيب المياه الممتدة حتى البردية، والتي يبلغ طولها عشرين كيلو متراً.

وقد اقتنع الإيطاليون، بنتيجة هذا النشاط المكثف، أن للبريطانيين قوات ضخمة على خط الجبهة، ولم يدركوا أن ذلك العدد الكبير من الدبابات المنتشرة على البعد إنما هي هياكل

مركبات مدمرة قد غطِّيت بهياكل دبابات خشبية، وأن الآثار الكثيرة التي رسمتها سلاسل الدبابات على الرمال، ما هي إلا آثار عدد محدود من الدبابات التي كانت تتنقل باستمرار بين الدبابات الهيكلية.

وطبق (ويفل) الطريقة ذاتها لخداع القيادة الإيطالية وتضليلها عن معرفة ما هو متوافر لديه من الطائرات؛ فأمر بنشر الطائرات الهيكلية - الخشبية - على أرض المطارات والمهابط وإلى جوار الطائرات، بحيث اعتقدت القيادة الإيطالية أن لدى (ويفل) أعداداً تزيد على ما هو موجود لديها من الطائرات.

كان نشاط قوات (ويفل) يمتد على الصفحة الجغرافية للصحراء الغربية؛ والتي تمتد من الشرق إلى الغرب بعمق ٣٧٠ كيلومتراً تقريباً؛ في حين تمتد على جبهة ٢٣٠ كيلومتراً تقريباً من الشمال - على البحر حتى الجنوب - في الصحراء. وتتكون هذه الصحراء من قطاع ساحلي رملي يخترقه طريق واحد؛ وخط حديدي واحد ينتهي في مرسى مطروح وهو ميناء صغير، حشد للدفاع عنه وحمايته منذ حزيران - يونيو - ١٩٤٠ لواء مدرع إنكليزي. أما في الجنوب، فتظهر في أقصاه بعض التضاريس الصخرية، ويبلغ ارتفاع الهضبة الليبية في الغرب ١٦٠ متراً، ولكن يعترض الوصول إليها منطقة من الأراضي الوعرة - وممر حلفايا -. وتلتقي معظم نقاط المياه في الشريط الساحلي، مع بعض القرى القليلة: (سيدي براني؛ السلوم في مصر) و(البردية وطبرق في ليبيا) التي كان يحتلها الإيطاليون. أما المناخ فيها فهو حار في الصيف نهاراً، وبارد في

الليـل. أما في الشتـاء فالجـو بارد جـداً وممطر، وتهب الـرياح من الجنوب في فصلي الربيع والخريف، حاملة معهـا السحب الرمليـة التي تغطي وجه السماء؛ وتحجبها.

أصدر (موسوليني) قراره بتعيـين الماريشـال الشهير (غـرازياني) لقيادة القوات الإيطالية في ليبيا؛ وكلفه بالبدء بالهجوم على مصر. ولم يكن (رودولفـو غـرازيـاني ١٨٨٢ ـ ١٩٤١) غـزيبـاً عن جـو الصحـراء أو مناخهـا أو طبيعتها، فهـو الـذي تـولى قيـادة الحملة الإيطالية لفتح ليبيا؛ وهو الذي حارب (عمر المختار) سنوات طويلة إلى أن تمكن من الانتصـار عليه وقهـر المقاومـة الليبية، بـأساليب وحشية ستبقى أبداً نموذجاً (لحضـارة الغرب الصليبي المتعصب). وهو الذي شغل أيضاً منصب نائب الملك في الحبشة ـ أثيوبيا ـ سنة ١٩٣٦ قبل أن يتم تعيينه رئيساً لهيئة الأركان الإيطالية (١٩٣٩).

ولا ريب أن شهرة هذا الماريشال؛ وخبرته في الصحراء؛ ثم ما كانت تعلقه قيادة الحلفاء من أمل كبير في فتح مصر، هو الذي حمل (موسوليني) على اختياره لقيادة الحرب في ليبيـا. ولكن سرعـان ما تبين أن قيادة الحرب بجحافل ضخمة؛ وبوسائط قتالية متـطورة، ضد مقاومة لا تكاد تمتلك شيئاً من السلاح؛ إلا الإيمان، هي شيء آخر عن خوض القتال ضد قوات مقاتلة تمتلك على الأقل نوعاً من الوسائط القتالية الحديثة.

وهكـذا؛ فعندمـا وصل (غـرازياني) إلى ليبيـا، في نهايـة شهـر حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠ ، وجد أنه لا يزال أمامه متسع من الوقت لانتظـار وصول بقيـة متطلبـاته من الأسلحـة ومن المواد التمـوينية

والإمدادات، ولم يبدأ هجومه في يوم ٩ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٠ إلا بعد أن تلقى أمراً حاسماً من موسوليني ببدء الهجوم في هذا الموعد.

وانطلق غرازياني بقواته المكونة من سبع فرق وسبع كتائب من الدبابات و٣٠٠ طائرة. وكانت إدارة الاستخبارات الإيطالية تعلم بوجود فرقة مدرعة وفرقة هندية وفرقة نيوزيلاندية؛ إلا أنها أعطت كل فرقة من هذه الفرق ضعف قوتها الحقيقية. وقد حدد (غرازياني) هدف الهجوم بالاستيلاء على (مرسى مطروح) بأسرع ما يمكن، نظراً لأن هذا الميناء هو أول ميناء يقع في منطقة الاحتلال البريطاني في مصر؛ ونظراً لأن الاستيلاء عليه من شأنه تأمين قاعدة متقدمة لإمداد القوات، علاوة على ما يضفيه الاستيلاء على (مرسى مطروح) من تأثير معنوي باقتحام بوابة مصر الغربية.

ولقد أظهرت القوات الإيطالية خلال تقدمها ضعفاً كبيراً في إهمالها للقيام بحركة التفاف واسعة من الجنوب ـ للأرض الوعرة ـ، وعدم امتلاكها للخبرة في مناورات الصحراء على جبهة واسعة، وذلك من أجل قطع طريق انسحاب القوات البريطانية.

ومقابل ذلك؛ أظهرت القوات البريطانية كفاءة عالية خلال انسحابها إلى خطوط دفاعية متتالية أمام قوات متفوقة عليها تفوقاً كبيراً في عددها وفي وسائطها القتالية؛ وبذلك أنزلت بالقوات الإيطالية خسائر كبيرة؛ بدون أن تتورط معها في قتال حقيقي. وتمكنت القوات الإيطالية من احتلال (سيدي براني) يوم ١٦ أيلول ـ سبتمبر ـ فابتعدت بذلك مسافة مائة كيلو متر تقريباً عن قواعدها. وأصدر غرازياني أمره بالتوقف، ولم يحاول الاقتراب من

قاعدة البريطانيين المحصنة في (مرسى مطروح). وكان هذا التوقف غريباً حقاً، بحيث لم يتمكن أحد من تفسيره؛ ولو أن (غرازياني) تذرع للتوقف بحجة الضرورة لإصلاح الطريق الساحلي الوحيد؛ وتمديد خط للأنابيب من أجل جلب المياه.

ويظهر أن (ويفل) قد نجح في تحقيق الهدف من مناوراته الخداعية، وعملياته القتالية التأخيرية، بحيث أصبح (غرازياني) يعتقد عن يقين بأن خصمه يمتلك جيشاً قوياً، وأنه يعمل على استدراجه لكمين كبير قد أعده له في الصحراء، فتوقف في (سيدي براني) ريثما يكمل استعداداته؛ وريثما يعيد تنظيم قواته. ولكن هذا التوقف استطال أكثر بكثير مما يجب؛ وأفاد (ويفل) من فترة الهدوء لمضاعفة الهجمات الجوية؛ والتي بقيت رغم ذلك متواضعة جداً؛ بحيث أنها لم تتجاوز في معظم الأحيان حدود إرسال طائرة واحدة في كل طلعة. واعتبرت هذه الهجمات على تواضعها بأنها قد شكلت في تلك الفترة جهداً جباراً، نظراً لانشغال بريطانيا في مواجهة الهجمات الألمانية المستمرة على الأقاليم الجنوبية من إنكلترا. إلا أن بريطانيا استطاعت؛ رغم ذلك؛ أن ترسل إلى (ويفل) ما بين شهر أيلول ـ سبتمبر ـ وشهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ (٢١٣) طائرة ـ منها ٨٧ طائرة هاريكان و٨٥ طائرة بلينهايم ـ. وقامت البحرية في الوقت ذاته بزرع الألغام أمام (بنغازي)، كما قصفت بعض المراكز الساحلية التي تحتلها القوات الإيطالية.

قام (غرازياني) بتوزيع قواته ونشرها في عشرة من المعسكرات، على جبهة عرضها (٤٥) كيلومتراً وعمقها (٥٥) كيلومتراً، وذلك

انتظاراً لوصول ما طلبه من الدعم والإمدادات. ولكن استخبارات (ويڤل) اكتشفت وجود ثغرة بين المواقع الإيطالية، بلغ عرضها أكثر من عشرين كيلو متراً (بين نيبيغا ورابيا) وتمكنت من تحديد نقطة ضعفها على الواجهة الخلفية؛ ومخرجها المخصص للدبابات. وخلافاً لهذه المعطيات الدقيقة؛ كانت المعلومات غير مؤكدة فيما يتعلق بحجم القوات الإيطالية وعدد أفرادها؛ بحيث إنها انتقصت من عددها وأهميتها؛ في حين بلغت هذه القوات ست فرق في المنطقة الأمامية وفرقتين في المنطقة الخلفية ـ المؤخرة ـ.

حشد (ويڤل) على الجبهة الغربية كل ما هو متوافر لديه من القوات: الفرقة الهندية الرابعة والفرقة المدرعة السابعة ومجموعة من (١٨٠٠) مقاتل. كما قام باتخاذ إجراء غاية في الإقدام؛ إذ سحب من عدن والسودان ودلتا النيل كل القوات الجوية ـ باستثناء طائرتين فقط ـ فأمكن له جمع ٤٨ طائرة قتال و١١٦ طائرة قاذفة قنابل وسربين مختلطين من طائرات الاستطلاع والطائرات المطاردة، ثم أخذ في الإعداد لمعركته القادمة. ولما كانت المسافة ما بين قاعدة الانطلاق والخطوط المتقدمة للجبهة تزيد على ١٦٠ كيلو متراً، فقد أقام مستودعين في منطقة تبعد ستين كيلو متراً إلى الغرب من (مرسى مطروح)، ونظم حراسة مشددة عليهما، وأمر بنقل ما يكفي لإمداد القوات لمدة خمسة أيام من المحروقات والذخائر، والمواد التموينية، مع تخزين ما يكفي القوات من المياه لمدة يومين ـ وذلك بمعدل وسطي هو ليترين من الماء للفرد وأربعة ليترات لكل مبرد من مبردات المركبات ـ وخصص لهذا الواجب (٣٠٠) مركبة نقل

وثلاث سرايا صيانة.

لم تكن الدبابات البريطانية قد واجهت بعد حرب الصحراء؛ ولم يكن لدى المشاة من وسائط النقل إلى المركبات المدرعة (برن) ورشاشاتها ومدافعها الهاون. وقد اعتمد (ويڤل) على تغطية نقاط ضعفه بالتسلح والقوى؛ باللجوء إلى الارتفاع بمستوى قواته من حيث التدريب والروح المعنوية؛ بالإضافة إلى خطط الخداع والتمويه وإخفاء التحضيرات لتحقيق المباغتة، مع إطلاق الشائعات عن إرسال قوات إلى اليونان، والقيام بتظاهرات عن إرسال هذه القوات بصعود الجنود إلى السفن في وضح النهار وتحت عيون جواسيس المحور وعملائه، ومغادرة هذه السفن لمدينة الإسكندرية، ثم عودتها في الليل؛ وإفراغ السفن من حمولتها بشكل سري، وتوزيع القوات قبل طلوع الفجر، ومضاعفة أعمال الازعاج ضد معسكرات القوات الإيطالية؛ لإشغال الإيطاليين من جهة عما كان يجري من استعدادات؛ ولحملهم من جهة أخرى على الاعتقاد، عندما يقع الهجوم الحقيقي؛ بأنه من الأمور الاعتيادية التي تمارسها القوات البريطانية باستمرار.

واحتفظ (ويڤل) لنفسه بتحديد موعد الهجوم، بحيث لم يبدأ بحشد القوات على مستوى المستودعات الأمامية إلا في يوم ٦ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٠.

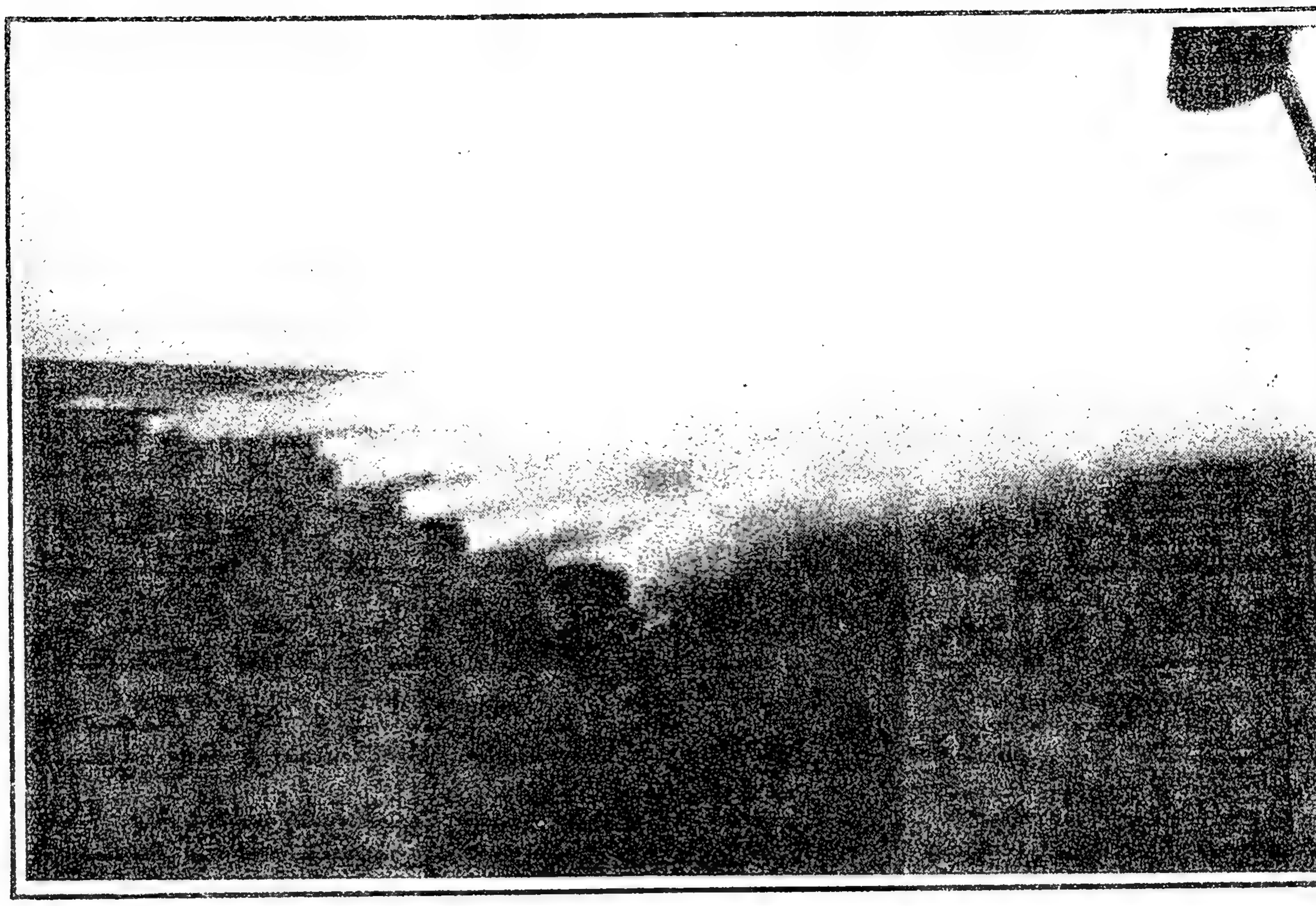
وظنت الوحدات البريطانية للوهلة الأولى أنها بصدد إجراء تمرين من تمارينها الشاقة التي باتت قد اكتسبت عادة الاضطلاع بها وتنفيذها؛ ولم تدرك أن الهدف من تحركها هو شيء آخر غير التمرين

إلا بعد أن احتلت مواقع الهجوم في يوم ٧ كانون الأول ـ ديسمبر ـ .

وأثناء ذلك كان (ويڤل) قد أنجز خطة تنسيق للتعاون بين قادة القوات البرية والبحرية والجوية؛ لتعمل وللمرة الأولى في إطار خطة متكاملة لتبادل الدعم، بحيث كان على القوات البحرية واجب ضرب مواقع الإيطاليين من البحر، ودعم القوات البرية خلال تقدمها؛ فيما كان واجب القوات الجوية هو تمهيد الطريق أمام تقدم الدبابات والمشاة، وتدمير القوات الجوية الإيطالية.

وعندما اطمأن (ويڤل) إلى اكتمال استعداداته؛ مضى لمتابعة خطته الخداعية. وكان من المعروف أن (الملك فاروق) من هواة الصيد؛ وأنه يمارس هذه الهواية في رحلات منتظمة؛ وفي اليوم السابق المحدد للهجوم؛ أعلن في ضجيج إعلامي أن (ويڤل) سيرافق (جلالة الملك فاروق) في رحلة من رحلات الصيد. وشوهد (ويڤل) وهو برفقة الملك، وعاد (ويڤل) ليلاً إلى (القاهرة) وانطلق منها للجبهة؛ ليرافق القوات عند انطلاقتها. وقام بجولة على الجنود في مواقعهم؛ وتحدث إليهم؛ وأظهر لهم أهمية العملية التي هم بصدد تنفيذها، كما أكد لهم تفوقهم في التدريب والروح المعنوية على خصومهم الذين سيقابلونهم عما قريب.

تقدمت القوات البريطانية على ضوء القمر الخافت نحو المواقع الإيطالية في ليل ٩ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٠. وما كاد ينبلج ضوء الفجر حتى ارتفعت الطائرات البريطانية القاذفة للقنابل تحت حماية الطائرات المقاتلة؛ فدمرت مئات الطائرات الإيطالية وهي لا تزال جاثمة في قواعدها في سيدي براني والسلوم وكابوتزو وبردية،



صورة جوية للقوات الألمانية أثناء تقدمها نحو المخيلة) في ربيع سنة ١٩٤١



مدفعية الميدان الألمانية، وهي تعمل لإحباط محاولة الجنود البريطانيين للخروج من المخيلة ـ ربيع سنة ١٩٤١

ثم عادت لتحمل شحنة ثانية من القنابل لتلقيها على القوات البرية الإيطالية في سيدي براني. وظهر الأسطول البريطاني بحذاء الشاطىء؛ وأخذ يمطر المدفعية الإيطالية بقذائف مدافعه الثقيلة.

وقد سمحت المسيرات الأولية التي تم تنفيذها في الليل بانضباط رائع، بوصول جزء من القوات المدرعة حتى مسافة عشرة كيلومترات إلى الجنوب الغربي من (معسكر نيبيغا) في مؤخرة القوات الإيطالية. وقد بوغت بذلك القطاع الشمالي الغربي من المعسكر في الساعة ٧,١٥ من فجر يوم ٩ كانون الأول ـ ديسمبر ـ عندما انطلقت قذائف (٧٢) مدفعاً دفعة واحدة، فيما قامت الدبابات باختراق المعسكر ودخلته، وأمكن الاستيلاء على المعسكر بعد أقل من أربع ساعات، وأسر ألفي جندي إيطالي مقابل خسارة ٥٢ جندياً بريطانياً. وهوجم معسكر آخر تحت ستار عاصفة رملية كانت تحجب كل التحركات، ولكن هذا المعسكر قاوم لمدة أطول. ثم سارت الفرقة المدرعة جنوب البحر نحو (بقبق)، ولم يأت المساء حتى تمت محاصرة حامية (سيدي براني). واستمرت المعارك طوال يوم ١٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ وفي يوم ١١ منه انتهى كل شيء وخسر الإيطاليون في سيدي براني (٤٠) ألف أسير تقريباً؛ و٣٧ دبابة و٢٣٧ مدفعاً؛ وخسر البريطانيون مقابل ذلك ٦٢٤ رجلاً.

لقد بوغت (ويڤل) ذاته بهذا النصر السريع والحاسم، فقد كان كل ما يرجوه هو أن ينفذ عملية استطلاع بالقوة لمعرفة قدرة الإيطاليين؛ ووضع في اعتباره مسبقاً إمكان الانسحاب فوراً من

المعركة إذا ما اصطدم بمقاومة عنيـدة؛ أو إذا ما ظهـر له احتمـال الفشل، وذلك من أجل المحافظة على قدرته القتالية، وعلى الروح المعنوية لجنوده. ولكن ما إن ظهر له انهيار الروح المعنوية للجنـود الإيطاليين؛ وما إن أعاد دراسة مواقعهم على الخارطة؛ حتى تبين له أن قواته التي لم تفقـد بعد شيئـاً من قدرتهـا القتاليـة؛ قادرة عـلى استثمار هذا النصر؛ والقيام بمطاردة سريعة وحاسمة، لتدمـير ما يمكن تدميره من الجيش الإيطالي الكبير؛ وأصدر أمره بمتابعة التقدم نحو الغرب.

ولما لم يكن ويڤل قد أعد مخططات دقيقة ومحكمة لتطوير الأعمال القتالية ـ على نحو ما فعله للاستيلاء على سيدي براني ـ فقد زاد من اعتماده على قواته الجوية التي باتت مسيطرة تماماً في الجو؛ لإجراء عمليات تطويق متتالية للقوات الإيطالية في كل من كابوتزو وبردية وطبرق وبنغازي، فيما كان خصمه (غرازياني) يتخبط في نظريـات الحرب العالمية الأولى ـ حرب المواقع ـ فينظم دفاعه عن كل شبر من الأرض، فكلفه هذا الجهل بحرب الصحراء خسارة الكثيرين من جنوده في كل معركة من تلك المعارك. وظهر بوضوح فشل نظريات المعاقل المنعزلة في الصحراء فشلاً ذريعاً إذ إن هذه المعاقل الدفاعية تستـطيع الصمـود في وجه قـوات خفيفة تقـوم بإغـارات مبـاغتـة (مثل هجمات العـرب الليبيين أثناء ثورتهم)، ولكنهـا لا تستطيـع الصمود في مواجهة الهجمات القوية للمدرعات؛ واحتمال القصف الكثيف للمدفعية والطيران.

لقد ظهر بوضوح أن الأسباب التي أدت لهزيمة الإيطاليـين بمثل

تلك السرعة في (سيدي براني) إنما تعود إلى خمول قادة الفرق الإيطالية الأمامية؛ وتكاسلهم؛ وعدم إفادتهم من المعلومات التي أرسلتها إليهم قواتهم الجوية عن قيام القوات الانكليزية بالاستعداد للهجوم، كما تعود إلى التهاون بالخصم والانتقاص من جرأته وإقدامه، هذا بالإضافة إلى تخلف الوحدات المدرعة الإيطالية تقنياً؛ وعدم تكيفها مع حرب الصحراء. ولقد أفاد (ويڤل) من ذلك كله فدفع قوات فرقتيه: الأستراليه السادسة والمدرعة السابعة (جرذان الصحراء) لتطوير التقدم؛ مستفيداً من استيلائه على السلوم في يوم ١٦ كانون الأول ـ ديسمبر ـ لتأمين المتطلبات الإدارية والتموينية لقواته. ولقد اضطر (ويڤل) لإيقاف تقدمه قليلاً ريثما يتمكن من إمداد قواته بالمياه والوقود والذخائر، وتقريب قواعده الجوية من جبهة القتال.

بدأت الفرقة الأسترالية السادسة هجومها على (بردية) يوم ٣ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤١، وأمكن لها في يوم ٥ منه الاستيلاء على المدينة بعد معارك ضارية، وأسرت (٤٠) ألف جندي إيطالي وغنمت (٤٠٠) مدفع و(١٣٠) مركبة مدرعة ولم تخسر سوى ٤٥٦ رجلاً. وتبع ذلك في يوم ٦ كانون الثاني ـ يناير ـ إلقاء الحصار على (طبرق) وبدأ قصفها بالقنابل؛ ولكن الحامية الإيطالية استمرت في مقاومتها حتى يوم ٢٢ منه؛ حيث اقتحمها الأستراليون وخسروا (٢٠٠) جندي فقط، فيما تم أسر (٣٦) ألف جندي إيطالي و٢٣٦ مدفعاً.

كانت نية (ويڤل) الاكتفاء بالتقدم حتى طبرق؛ ولكن الانتصار الرائع الذي أمكن تحقيقه بثمن لا يكاد يذكر، دفعه إلى استثمار هذا النصر قدر المستطاع، فدفع جيشه الصغير نحو (درنـة) التي احتلها يوم ٣٠ كانون الثاني ـ يناير ـ. وعندما أفادت التقارير بأن الإيطاليين يستعدون لإخلاء (برقة) والانسحاب بما بقي من قواتهم إلى طرابلس، أرسل (ويڤل) قواته المدرعة عبر الصحراء لقطع طريق الانسحاب. ووقعت معركة تصادمية خسر فيها الجيش الإيطالي (٢٠) ألف جندي وقعوا في الأسر؛ بينما لم تكن القوات المدرعة التي خاضت المعركة تزيد على ثلاثة الآف جندي ومعهم ٣٢ دبابة كروزيدر لا أكثر، هذا فيما كانت القوات الأسترالية تتابع تقدمها نحو (بنغازي) حيث تم الاستيلاء عليها يوم ٧ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤١، وتبع ذلك الاستيلاء على العقيلة في ١٠ منه. ووصلت القوات البريطانية بذلك إلى حدود ولاية طرابلس؛ وظهر أنه لم يكن هناك ما يستطيع إيقاف (ويڤل) عن التقدم حتى طرابلس واجتياحها، وتدمير ما بقي من القوات الإيطالية. فقد تم للجنرال (ويڤل) خلال شهرين فقط احتلال منطقة تعادل في مساحتها مساحة انكلترا وفرنسا، وأسر (١٣٣) ألف جندي إيطالي ـ منهم ١٩ قائداً ـ جنرال ـ و١٣٠٠ مدفع مع كميات هائلة من الأعتدة المتنوعة والمواد التموينية المختلفة. وقدرت خسائر (غرازياني) بثلثي موارده وأعتدته تقريباً.

لقد جاء نصر (ويڤل) في مرحلة كانتِ بريطانيا خلالها في أشد

الحاجة لبارقة من أمل في النصر؛ فالهزائم تنزل بساحتها في كل مكان؛ والحصار يكاد يخنقها وهي في جزيرتها؛ وقنواتها مع أمبراطوريتها الواسعة تكاد تتعرض للاختناق، فلا عجب إن اهتزت (انكلترا) طرباً لهذا النصر الكبير وغير المتوقع؛ ولا عجب إن تناقلت أجهزة الإعلام في الدنيا كلها أنباء هذا النصر. واعتبرت (انكلترا) أن (الجنرال ويڤل) هو بطل من أبطالها الوطنيين الكبار؛ وقائد من أعظم قادتها. كما أن الصحافة المعادية لانكلترا (مثل الصحافة الألمانية) لم تنكر على (ويڤل) كفاءته وقدرته، وأشارت إلى انتصاره بكثير من التقدير والإعجاب. ولكن مقابل ذلك؛ فإن هذا النصر على جحافل الإيطاليين استثار القيادة الألمانية؛ ولم يعد باستطاعة (هتلر) ترك حرية العمل العسكري لحليفه (موسوليني) ولقادته الهزيلين الضعفاء؛ ولقواته المنهارة، فقرر العمل بسرعة لحسم الموقف؛ سواء على جبهة أفريقيا؛ أو على جبهة اليونان.

وأدرك (تشرشل) نوايا خصمه (هتلر) فكتب في يوم ٦ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤١ ما يلي: «ربما استطعنا بالحظ والجرأة تحقيق نجاح سهل ومرموق على الساحل إلا أنه ينبغي أن نضع في اعتبارنا الأهمية البالغة لاستيلاء المانيا على فالونا ـ في ألبانيا ـ والمحافظة على الجبهة اليونانية».

وتقدم تشرشل إلى اليونان يوم ١٣ كانون الثاني ـ يناير ـ بعرض لدعمها ببعض القطعات الانكليزية، إلا أن اليونان رفضت هذا العرض في محاولة منها لتجنب الصدام مع ألمانيا. وعندما سقطت

طبرق في يد (ويڤل) يوم ٢٢ كانون الثاني ـ يناير ـ، شعر تشرشل أنه بات يمتلك المزيد من حرية العمل العسكري. فقد زال القلق الذي كان يهيمن عليه من تدهور الموقف على الجبهة الليبية، وصار بوسعه نقل ثقل العمليات إلى اليونان، لاسيما بعد أن أدركت اليونان أنها باتت مهددة بشكل جدي بالتدخل الألماني، فقبلت الدعم البريطاني.

ودرس تشرشل الموقف مع (ويڤل) ومع قادة البحر والجو، وتم اتخاذ الإجراءات لإرسال حملة بريطانية إلى اليونان. وتم سحب حوالي (٥٠) ألف جندي من قوات (ويڤل) في شمال افريقيا، وأرسلت إلى اليونان مع بداية شهر آذار ـ مارس ـ ١٩٤١. ولم يبق أمام (ويڤل) إلا التوقف عن كل تحرك، وخابت آماله في امكانات التقدم نحو (بنغازي).

٦ ـ الحرب في (القرن الأفريقي)

لم تعرف بلاد الحبشة (أثيوبيا) أي نوع من أنواع الاستعمار عبر تاريخها الطويل؛ وبقيت السلالة الحاكمة تتوارث الحكم منذ ظهور المسيحية؛ بل ومن قبل ذلك؛ حتى الأزمنة الحديثة، حيث أدت المنافسة الاستعمارية الغربية إلى ظهور دولة (مثل إيطاليا) حاولت أن تحصل على نصيبها من مغانم العالم، فأخذت في استعمار القطر الأكثر قرباً من بلادها؛ والذي لم تمتد إليه يد الاستعمار بعد (وهو ليبيا)، ثم طورت استعمارها فوصلت إلى القرن الأفريقي، وأخذت في اجتياح أقاليم الحبشة (أثيوبيا) في يوم ٢ تشرين الأول

ـأكتوبرـ ١٩٣٥. وخاضت قوات الحبشة صراعاً مريراً ضد الغزاة الإيطاليين إلا أنها لم تتمكن من الصمود طويلاً في وجه آلة الحرب الإيطالية الحديثة، وانتصرت إيطاليا مع مطلع سنة ١٩٣٦، وتمزقت قوات الحبشة شر ممزق، وهرب الأمبراطورـ هيلا سيلاسي ـ إلى لندن. وإذ أخذ الاستعمار الغربي شكل حرب صليبية بين المسلمين والمسيحيين في الأقطار الإسلامية التي امتدت إليها يد الاستعمار الغربي، فإن الاستعمار هنا ـ في الحبشة ـ أخذ شكل صراع مذهبي بين دين أو مذهب الغرب ـ الكاثوليكية ـ وبين المذهب التي اعتنقته الحبشة منذ ظهور المسيحية ـ وهو الأرثوذكسية ـ ولهذا لم يكن غريباً أن تنفجر ثورة كبرى في الجبال الواقعة إلى الغرب من (غوجام) طوال سنتي ١٩٣٧ و١٩٣٨. وحققت الثورة نجاحات كبرى رغم تمزق الجيش الأثيوبي ورغم غياب الأمبراطور الذي كان يحتل مكانة روحية ـ دينية ـ متوارثة.

ولقد استثارت أحداث هذه الثورة تفكير الاستعماريين الغربيين ـ الفرنسيين والبريطانيين ـ الذين لم يتقبلوا بسهولة فكرة ظهور منافس جديد يحتل إقليماً إلى جوار أقاليمهم المحتلة، فأخذوا في انتظار الظروف المناسبة للحصول على توازن في القرن الافريقي ـ ولو على أيدي الثوار الأرثوذكسيين، إذ ظهر واضحاً في بداية سنة ١٩٣٩ أن التوازن في القوى بات في مصلحة القوات الإيطالية.

تعتبر الحبشة ـ أثيوبيا ـ إقليماً من أكثر أقاليم العالم قسوة في شدة

ارتفاع درجة الحرارة؛ كما تتميز الحبشة بكثرة الجبال المنتشرة فوق مساحتها التي تزيد على مساحة فرنسا وإيطاليا معاً، حيث تمتد بطول ١٤٠٠ كيلو متر تقريباً فيما يبلغ عرضها ١١٥٠ كيلو متراً تقريباً؛ ولم يكن عدد سكانها - عندما استعمرها الإيطاليون - يزيد على ١٥ مليوناً من المواطنين. وقد قدرت القوات الإيطالية في الإقليم - مع بداية الحرب العالمية الثانية - بحدود (١١٣) ألف جندي إيطالي و(٢٦٠) ألفاً من المتطوعين - المرتزقة - ومن أبناء البلاد.

وكان لدى هذه القوات من الوسائط القتالية (٤٠٠) مدفع ميدان، و(٢٠٠) دبابة خفيفة، و(٢٠) ألف مركبة نقل كبيرة، و(٢٢٤) طائرة. وقد نظمت هذه القوات والوسائط على شكل أفواج مستقلة زاد عددها على (١٦٠) فوجاً من المشاة، و(٢٥) مجموعة مدفعية، و(٢٤) سرباً من الطائرات القاذفة، و(٤) أسراب من الطائرات المقاتلة مع فرقتين من الجنود البيض احتفظت بهما القيادة العليا - احتياط عام في قبضتها -.

كانت قوات الحلفاء تضم حوالي عشرة آلاف جندي فرنسي وثمانين ألف جندي انكليزي، إلا أنها كانت منتشرة وموزعة على مساحات شاسعة تحيط بأفريقيا الشرقية - الإيطالية. ومن ناحية أخرى؛ فإن العزلة التي كانت تحيط بالإيطاليين؛ وقلة ما لديهم من مخزون الوقود، وعجلات المركبات؛ والنقص في (وحدات الصيانة) والعجز عن تحقيق هذه المتطلبات والحصول عليها بسرعة، كل ذلك أضعف من قدرة الإيطاليين وحد من إمكاناتهم.

كان موسوليني يغامر في خوض غمار حرب أراد لها أن تكون قصيرة الأمد وحاسمة. وهذا هو سبب ما تضمنته تعليماته إلى القوات الإيطالية في شرق أفريقيا (القرن الأفريقي) والتي أرسلها في شهر آذار ـ مارس ـ من العام ١٩٤٠ إلى (دوق أوستا) الذي كان يشغل منصب نائب ملك إيطاليا في الحبشة ـ أثيوبيا ـ وقائد القوات الإيطالية؛ **وقد نصت تلك التعليمات على إعداد (مخطط دفاعي استراتيجي) يهدف إلى قطع الطريق الرئيسي لمواصلات بريطانيا مع الهند عبر البحر الأحمر؛ والهجوم مع قوات إيطاليا في ليبيا للاستيلاء على مصر.** وكان نقص الوسائل والامكانات لدى قيادة الحلفاء (ويفل) قد فرض بدوره أيضاً اتخاذ الموقف ذاته في بداية الأمر، والاعتماد على (سياسة استراتيجية دفاعية).

انطلقت القوات الإيطالية لتنفيذ المخطط الاستراتيجي، مستفيدة من فشل الفرنسيين الأحرار ـ الديغوليين ـ في جيبوتي عندما حاولوا السيطرة على الحكم في ١٥ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٠ مما أفسح المجال أمام عمل القوات الإيطالية بحرية. فتوجهت قوة إيطالية إلى الصومال ضمت ٢٦ كتيبة ضد ٥ كتائب تنتمي إلى جنسيات مختلفة؛ واحتلت هذه المستعمرة البريطانية فيما بين ٥ و١٩ آب ـ أغسطس ـ. ولم تقع في كل مكان سوى بعض الحوادث المحلية المحدودة؛ مما أتاح للبريطانيين فرصة تنظيم جهاز إداري وجهاز عسكري بالتعاون مع جنوب إفريقيا، وإعداد مخطط للعمل ضد الإيطاليين بصبر وطول أناة ـ **أو كما قال ويفل: «خطة لعملية خارقة صبورة على الطريقة الانكليزية».**

لقد حدد (موسوليني) سياسته الاستراتيجية (الدفاعية) على أساس شن حرب حاسمة وقصيرة الأمد، فوقع الدوتشي في الخطيئة التي وقع فيها (هتلر) ذاته؛ ولم يحسب حساباً، للصبر البريطاني؛ المدعوم بدول الكومنولث؛ بشكل تجاوز حدود الطاقة البشرية. ولقد كانت نتائج هذه الخطيئة النفسية ثقيلة الوطء في (ليبيا) وأشد وطأة في (القرن الأفريقي) الذي بات معزولاً تماماً عن إيطاليا. ولو أن الإيطاليين التزموا (باستراتيجية دفاعية ـ حقيقية) لكان واجباً عليهم التوقف عند حدود إرسال قوات جوية وبحرية ضد القوافل البريطانية في البحر الأحمر؛ لمنع وصول الإمدادات إلى (بور سودان) و(مونباسا). وقد كان من الغريب حقاً عدم استثمار الإيطاليين للمزايا التي ضمنها لهم وجودهم في موقع جانبي من البحر الأحمر؛ مما برهن على قصورهم في التكيف مع العامل (الجيو ـ استراتيجي) الذي كان متوافراً لهم. وبالإضافة إلى ذلك؛ فقد كان الاهتزاز العنيف للمواقع الإيطالية في اليونان وليبيا وأريتريا والصومال؛ بسبب فشل القوات الإيطالية في تحقيق أهدافها، قد انعكس بقوة على صفحة الحبشة ـ أثيوبيا ـ حيث أخذت المقاومة الداخلية تتزايد صعداً في اتساعها وضراوتها ضد قوات الاستعمار الإيطالي. ولقد ارتكبت القيادة الإيطالية أخطاء لا يمكن فهمها، منها على سبيل المثال، عدم تدمير (مرفأ كيسمايو) والمستودعات الهائلة للبترول في (مقديشو)، وكذلك عدم تنظيم دفاع قوي لحماية مرفأ (بربرا) ضد عمليات الانزال.

وما إن أدرك (ويڤل) نقاط الضعف المختلفة لخصمه، وأولها

التردد والبطء في التفكير والعمل؛ حتى شرع في استثمارها فوراً لمصلحته؛ واستند إليها لتحقيق نجاحه. ولقد كانت الأعمال القتالية المحتملة تتضمن كثيراً من المجازفات ـ أو المقامرات ـ المتتالية، إلا أن (ويڤل) كان على استعداد لقبول هذه المجازفات واحتمال نتائجها؛ طالما أنه لم تتح له ظروف أفضل منها لبلوغ أهدافه.

وكان (ويڤل) قد طلب إلى ضباط هيئة أركانه منذ شهر تموز ـ يوليو ـ ١٩٣٩ دراسة إمكانية البدء بإشعال نار ثورة داخلية في أثيوبيا. ثم أصدر أمره في شهر أيلول ـ سبتمبر ـ باستدعاء (العقيد ساندفورد) وهو ضابط إنكليزي خدم في المنطقة لأكثر من خمسة عشر عاما؛ وله خبرة واسعة في شؤونها؛ وكلفه بهذه المهمة. وكانت فكرة الثورة وحجتها تتمثل بالشعار التقليدي المعروف (التحرر الوطني)، وهو الشعار القديم والأبدي ذاته، والذي كانت رفعته بلاد الغال قديماً ضد انكلترا، ثم رفعه الأفارقة للثورة ضد روما، ورفعته اسبانيا ضد (نابليون بونابرت) ورفعته البلاد العربية ضد الدولة العثمانية.

وفي اليوم التالي لإعلان إيطاليا الحرب، أي في يوم ١١ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠، تم توجيه الرسائل إلى الزعماء الأثيوبيين، وهي تتضمن الوعود بارسال الدعم اللازم والأسلحة والأموال لتطوير أعمال الثورة. وتبع ذلك وصول أمبراطور الحبشة ـ أثيوبيا ـ إلى عاصمة السودان ـ الخرطوم ـ في يوم ٣ تموز ـ يوليو ـ حتى يبقى على

مقربة من الأحداث؛ وحتى يعطي وجوده الرصيد المعنوي للثورة. ولم يلبث (العقيد ساند فورد) أن انطلق لتنفيذ أول مهمة في يوم ١٢ آب ـ أغسطس ـ وهي المهمة التي حملت الرقم الرمزي (١٠١). ودخل (ساند فورد) إلى أثيوبيا سيراً على قدميه وتبعه في يوم ٣١ آب ـ أغسطس ـ مبعوثون آخرون. وبدأت المعركة (الأثيوبية) على شكل (حرب شعبية) وأخذت الأحداث في التسارع.

أفادت القيادة الإيطالية من ميزة ما تمتلكه من التفوق في القدرة البشرية وفي الوسائط القتالية، فنظمت مجموعة من العمليات الهجومية التي تم تنفيذها بنجاح رائع من الناحية التعبوية ـ التكتيكية؛ غير أن هذه العمليات كانت معدومة القيمة من الناحية الاستراتيجية، فقد أمكن لهم بواسطة هذه العمليات احتلال (كسلا وغلبات وكورموك) على الحدود الجنوبية للسودان، واحتلال (موايال) على الحدود الكينية؛ وذلك في مطلع شهر تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٠، كما تمكنوا من احتلال (بربرا) عاصمة الصومال البريطاني في ١٩ آب ـ أغسطس ـ على نحو ما سبقت الإشارة إليه.

وقام البريطانيون بهجوم مضاد، هدفه استعادة (غلبات) من قبضة الإيطاليين، غير أن هذا الهجوم انتهى بالفشل الذريع، وهذا مما زاد (ويقل) قناعة بصحة رأيه عن قيمة (الحركة الوطنية الأثيوبية) وأهميتها لاضعاف موقف الإيطاليين؛ وإفقادهم توازنهم؛ وحرمانهم من حرية العمل العسكري، ريثما تتاح الفرصة للانتقال

إلى مرحلة زج القوات النظامية ضد الإيطاليين.

وفي تلك الفترة أخذت الامدادات في الوصول إليه، لا سيما تلك التي جاءت من الهند ومن جنوب أفريقيا؛ فمكنته على وضع مخططه لتنظيم هجوم بالقوات المقاتلة ـ العسكرية ـ إلى جانب الدعم للثورة الأثيوبية؛ وتنسيق عملياتها مع عمليات القوات النظامية.

كانت الفكرة الأساسية التي تم الاستناد إليها لوضع مخطط المعركة الأثيوبية؛ والتي كانت تتم إعادة بحثها ودراستها من أجل تكييفها مع تطورات الأعمال القتالية ومع الأحداث المستجدة، هي توجيه ضربة متلاقية بالقوات النظامية (أو حركة الكماشة كما يحب البعض تسميتها) بحيث ينطلق أحد جناحيها ـ أو فكها الأول من الشمال ـ من السودان ـ عبر أريتريا، فيما ينطلق الجناح المقابل ـ أو الفك الثاني للكماشة ـ من كينيا في الجنوب ـ عبر الصومال ـ وبحيث يلتقي الجناحان في وسط أثيوبيا، إلى الشمال من العاصمة (أديس أبابا). وكان على قوات الثورة قبل تنفيذ هذه العملية وأثناءها، توجيه ضربات قوية ومباشرة إلى قلب الإقليم؛ مع تأمين المنطقة الغربية من أثيوبيا بكاملها.

وقد وضع (ويڤل) وهو يعد مخططه هذا؛ ما اكتشفه من نقاط ضعف في الشؤون الإدارية للقوات الإيطالية؛ وما عرفه فيها من تدهور الروح المعنوية؛ وما تعانيه من القلق المستمر. وكان الانتشار الكبير للقوات الإيطالية على سطح الصفحة الجغرافية للإقليم



الأثيوبي، هو أفضل عامل يمكن استثماره لضمان النجاح سواء لأعمال القوات النظامية؛ أو حتى لنجاح الأعمال الثورية.

بدأت الفرقة الأفريقية الميكانيكية ـ الآلية ـ الحادية والعشرين

هجومها من الجنوب؛ بقيادة الجنرال كوننغهام ، وذلك في يوم ١٠ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤١ . ونجحت قوات هذه الفرقة باحتلال مدينة (مقديشو) عاصمة الصومال ـ الإيطالي ـ يوم ٢٥ شباط ـ فبراير ـ بعد أن اجتاحت في تقدمها خلال الأيام الثلاثة الأخيرة فقط مسافة ثلاثمائة كيلو متر تقريباً، ثم تابعت قوات الفرقة تقدمها على طريق بلغ طوله ألف كيلو متر تقريباً. وكان ثلث هذا الطريق جيداً ومساعداً على التحرك؛ فيما كان ثلثاه الباقيان في حالة رديئة. وكانت الوثبة الأولى من هذا التحرك تتلخص بقطع المسافة ما بين (مقديشو) و(دير داوا) على أن يتم التحرك بعد ذلك بواسطة الخط الحديدي الواصل ما بين (جيبوتي) و(أديس أبابا). وقد تم تنفيذ عملية ثانوية أخرى إلى جانب هذه العملية الرئيسة؛ فقد انطلقت قوات من (عدن) وقامت بالانزال البرمائي على شاطىء مدينة (بربرا) وبذلك تمت استعادة السيطرة على الصومال البريطاني؛ واسترداده من أيدي الإيطاليين. وقد تم تنفيذ هذه العملية في يوم ١٦ آذار ـ مارس ـ وبذلك أمكن تأمين طريق مستقيم ومباشر لتقدم فرقة (الجنرال كوننغهام) نحو الشمال؛ وأصبح الطريق مفتوحاً للتقدم إلى (أديس أبابا).

وأخذت القوات الإيطالية بالانسحاب؛ واصطدمت القوات المتقدمة من الفرقة الأفريقية الميكانيكية (فرقة كوننغهام) مع قوات المؤخرة الإيطالية التي كانت تعمل على حماية الانسحاب؛ ووقعت بعض الاشتباكات. كما اضطرت قوات الفرقة الأفريقية للتمهل في تحركها بسبب ما كانت تتطلبه أعمال إصلاح الطرق وتمهيدها؛

وبالرغم من ذلك، فقد تمكن لواء شرقي أفريقيا الثاني والعشرين من احتلال النطاق الخارجي للعاصمة في يوم ٥ نيسان ـ أبريل ـ ودخلت القوات إلى المدينة في اليوم التالي؛ وبذلك تم تحرير العاصمة بعد أن سارت هذه القوات مسافة ١٤٠٠ كيلو متر تقريباً خلال اثني عشر يوماً. وتمكنت القوات البريطانية ـ خلال ثمانية أسابيع ـ من شق طريقها ما بين كينيا وأديس أبابا ـ عبر إقليم اعتبر من أكثر أقاليم العالم صعوبة ووعورة، وأوفرها اتساعاً ـ وكانت المسافة التي تم تجاوزها قد زادت على (٢٣٠٠) كيلو متر. واعتبرت هذه المناورة بمثابة ظاهرة خارقة من ظواهر الحركة الميكانيكية ـ الآلية للقوات البرية؛ والتي تم تنفيذها بمهارة عالية، بحيث أمكن تحقيق المباغتة وتدمير مجنبات القوات الدفاعية الإيطالية ومؤخراتها. وكان التنظيم الإداري ـ اللوجيستيكي ـ هو العامل الحاسم فيما تم تحقيقه من نجاح.

هذا بالنسبة للهجوم الجنوبي؛ أما بالنسبة للهجوم الشمالي فقد اصطدم بعقبات أكبر. فقد انطلقت الفرقتان الهنديتان الرابعة والخامسة لتنفيذ عملياتهما الهجومية (بقيادة الجنرال ميلات). وأمكن لهما في يوم ١٩ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤١ الاستيلاء على مدينة (كسلا) في جنوب السودان؛ وطرد القوات الإيطالية منها. ولكن عملية مطاردة القوات الإيطالية لم تلبث أن توقفت تماماً بعد يوم ٣ شباط ـ فبراير ـ بسبب اصطدام القوات البريطانية بالمواقع الدفاعية المحصنة التي نظمها الإيطاليون حول (كيرون) في (أريتريا الإيطالية)، وبدأت بذلك مرحلة من حرب الإبادة التي استمرت

حتى يـوم ٢٧ آذار ـ مارس ـ حيث انتهى الصراع باستيلاء القوات البريطانية على (كيرون). وانطلقت وحدات الفرق الهندية لمتـابعة تقدمها وتم لها احتلال عاصمة أريتريا ـ مـدينة أسمـرا ـ في يوم ١ نيسان ـ أبريل ـ . ولم تلبث هذه القوات أن استولت على (ماساو) وفيها الميناء الرئيسي للإقليم عـلى البحر الأحمـر ؛ وتم تدمـير ستة زوارق طوربيد (يوم ٨ نيسان ـ أبريل) . وبذلك زال تهديد السيف الذي كان مسلطاً على رقبة بريطانيا ، لقطع طريق مواصلاتها الهام مع الهند .

وكـان هذا هـو الهدف الأول الـذي أمكن تحقيقه من الهـدفين الاستراتيجيين المحددين للمعركة الأثيوبية. أما الهدف الثاني فهـو القضاء على القوات الإيطالية. وللوصول إلى ذلك؛ تابعت الفرق الهندية تقدمها نحو الجنوب، فيما كانت قـوات (كوننغهـام) تتابـع تقدمها نحو الشمال. وتم للقوتين المتلاقيتين تحقيق اللقاء فيما بينهما عند (أمبا ألاغي) وتم الإطباق على (دوق أوستا) في (أديس أبابا).

ولقد تحقق هذا الهدف في يـوم ١٩ أيار ـ مايـو ـ، ولم يبق من أصل الجيش الإيطالي الذي كان يبلغ تعداده في حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠ حوالي الثلاثمائة والخمسين ألفاً إلا عدداً قليلاً من القوات والحاميات التي بقيت في مواقعها المنعزلة حتى شهر أيار ـ مايو ـ من سنة ١٩٤٥ . وهكذا؛ فبعد فترة أربعة أشهر من الأعمال القتاليـة للقوات النظامية؛ أمكن القضاء عـلى الكتلة الرئيسـة من القوات الإيطالية؛ وضرب الحصار على ما تبقى من الحاميات المنعزلة حول

(غوندار) بالإضافة إلى عدد قليل من الفرق التي بقيت في مواقعها في الجنوب؛ فوق أرض منطقة (غاللا ـ سيدامو).

لقد كان للأعمال التخريبية التي قامت بتنفيذها (منظمات المقاومة الأثيوبية) والتي قام بالتخطيط لها وتنظيمها وتنفيذها داخل الإقليم كل من القائدين الانكليزيين (ساند فورد) و(وينغيت) دور أساسي وحاسم في الكارثة التي نزلت بالقوات الإيطالية. وقد تم تنفيذ تلك الأعمال التخريبية طوال الفترة ما بين شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٠ وشهر نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤١. وإقراراً بالواقع؛ فقد كانت منظمات المقاومة موجودة على الأرض الأثيوبية؛ وكانت تشكل تهديداً قوياً للقوات الإيطالية منذ صيف سنة ١٩٤٠ ـ وحتى ما قبل ذلك ـ، وهذا ما يفسر اهتمام (دوق أوستا) بالمحافظة على الأمن، وتركيزه لكافة الجهود من أجل إقرار النظام.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الوضع غير المستقر لم يكن بعيداً عن أنظار القيادة الإيطالية العليا في روما، وقد ظهر ذلك في حديث وزير الخارجية الإيطالية ـ الكونت شيانو ـ عندما قابل هتلر في يوم ١٢ آب ـ أغسطس ـ ١٩٣٩، إذ قال له ـ بما يشبه النبوءة ـ: «على الرغم من الهدوء المخيم على الحبشة ـ أريتريا ـ فإن هذا الهدوء هو ظاهري وسطحي. ومن المحتمل في حال نشوب حرب عامة؛ أن تقوم بعض الطائرات البريطانية بإلقاء المنشورات على أرض الحبشة؛ لتقول بأن العالم قد نهض في وجه إيطاليا، وأن

أمبراطور الحبشة ـ النجاشي هيلاسيلاسي ـ قد عاد لقيادة الثورة واستعادة ملكه على الإقليم؟»

وهذا هو ما حدث بالضبط. فلقد عمل الإيطاليون على دعم وجودهم فوق أرض الحبشة؛ وتثبيته؛ بواسطة توزيع عدد كبير من الحاميات المتفاوتة في حجمها والمختلفة في قوتها، والتي تم نشرها على امتداد الطرق القليلة؛ وعند الممرات الهامة؛ وفي المحطات الموجودة في الإقليم. كما بذلت القيادة الإيطالية في الوقت ذاته جهوداً سياسية كبيرة لإثارة الفرقة بين القبائل المختلفة؛ وإذكاء روح العداء فيما بينها؛ لإشغالها بنفسها عن الاستعمار الإيطالي وأجهزته. غير أن ضعف الجهاز الإداري الإيطالي لم يساعد القيادة على تحقيق أي نجاح سياسي عميق. كما أن اتساع الإقليم، وعدم توافر وسائط النقل الملائمة؛ قد جعلا أمر القيام بالعمليات العسكرية الفعالة مجرد أمل لا مجال لتحقيقه. ولذلك كانت الثورة قادرة على نشر دعايتها؛ وتوسيع أفق عملها، وهذا هو ما يوضح سبب الانهيار الذي تعرضت له القوات الإيطالية عندما انطلقت القوات النظامية بهجومها من الشمال ومن الجنوب؛ مدعومة بقوات الثورة.

لقد سبقت الإشارة إلى أن (العقيد ساندفورد) قد دخل الحبشة ـ أثيوبيا ـ يوم ١٢ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٠ سيراً على قدميه؛ لإشعال نار الثورة؛ وتنظيمها؛ وتوجيه أعمالها. وبعد ذلك بأيام قليلة؛ قام (ويڤل) باستدعاء (الرائد أورد وينغيت) من فلسطين، وكلفه بالتوجه إلى (غوجام) بمهمة إثارة الحماس للثورة، وتوجيه

أعمالها القتالية؛ وتشكيل قاعدة قوية تكون مقراً للأمبراطور ـ هيلاسيلاسي ـ ثم العمل بعد ذلك على توسيع قاعدة الثورة.

وقد تم تنظيم (نواة الثورة) من ستة أفواج من الأثيوبيين ـ الفارين من الحكم الإيطالي واللاجئين إلى السودان ـ بالإضافة إلى فوج من القوات السودانية. وتم تشكيل وحدات خاصة أطلق عليها اسم (مراكز العمليات)، بحيث يتكون كل مركز من ضابط إنكليزي ومن خمسة رقباء ـ صف ضباط ـ من الإنكليز أيضاً، ومن بعض المتطوعين من الأثيوبيين. وكانت مهمة (مراكز العمليات) هذه هي العمل على تنظيم الأنصار وتدريبهم وتسليحهم وتجهيزهم ثم قيادتهم في المعارك. وقد اخترق الأمبراطور هيلا سيلاسي (وبرفقته وينغيت) الحدود الأثيوبية يوم ٢١ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤١، وارتفع علم (أسد يهوذا) من جديد فوق الأرض الأثيوبية للمرة الأولى منذ سنة ١٩٣٥، وقامت وحدة أثيوبية بأداء التحية للعلم، ولم تصل بعد ذلك إلى الحدود الأثيوبية أي وحدات نظامية.

أطلق (وينغيت) على تنظيماته اسم (قوات جدعون) تحويراً لاسم (قوات الجدناع) اليهودية التي كان قد نظمها من قبل في فلسطين، وأمسك بقيادتها؛ وبدأ العمل. وكانت أكبر صعوبة واجهته منذ البداية هي مشكلة نقل الإمدادات، فوق منطقة اعتبرت من أكثر مناطق أفريقيا وحشة وقفراً؛ ولمسافة تسعمائة كيلو متر تقريباً. وقد تم استخدام آلاف الجمال لعملية النقل، غير أن

الجمال هلكت جميعاً بسبب خطأ في حساب الحمولة . فقد كانوا يعتقدون أن باستطاعة الجمل الواحد حمل ١١٥ كيلوغراماً تقريباً (٢٥٠ ليبرة) ونقلها فوق هذه المساحة المقفرة؛ والتي لا يتوافر فيها العلف اللازم للحيوانات.

وعلى كل حال؛ فقد أمكن تجاوز الصعوبات؛ وبدأ العمل؛ وسرعان ما أعطت الأعمال الثورية نتائجها المثمرة، فاتسع نطاق الثورة. وظهر خطأ تقدير القيادة الإيطالية للموقف، إذ أنها أفرطت في تقدير قوة الثورة وأهميتها، فأصدرت أوامرها تلقائياً بسحب قواتها، وكان ذلك يعني تحرير المنطقة الواقعة إلى الغرب من (غوجام).

ودخل الأمبراطور (هيلاسيلاسي) بلدة (دانفيلا) الواقعة بين العاصمة القديمة (غوندار) وبين العاصمة الجديدة (أديس أبابا)، وذلك يوم ١٨ شباط ـ فبراير ـ وفي هذا الموعد؛ كانت القوات النظامية قد انطلقت في تقدمها من الصومال إلى أريتريا وأصبحت على مقربة من الحدود الأثيوبية.

استطاع (وينغيت) بعد ذلك أن يرغم الإيطاليين على إخلاء (بوداي) وأن يحملهم على التراجع عن العاصمة وذلك بواسطة مجموعة من العمليات المرنة والصغرى مثل الإغارات الليلية ونصب الكمائن والأعمال التخريبية المختلفة، والهجمات المباغتة وأعمال الإعاقة ضد تحرك القوات والأرتال الإيطالية. وتمكنت (قوات جدعون) من تمهيد الطريق أمام الأمبراطور لدخول (دابرا ـ

ماركوس) يوم ٦ نيسان ـ أبريل ـ وهو اليوم الذي سقطت فيه العاصمة (أديس أبابا) في قبضة القوات النظامية.

قامت (قوات جدعون) بعد ذلك فحررت منطقة (غوجام) بكاملها خلال الأسابيع الستة الأخيرة؛ ونجحت في طرد القوات الإيطالية التي كانت تضم ١٦ فوجاً من أبناء المستعمرات وأربعة أفواج من قوات (القمصان السوداء) واستولت على كمية كبيرة من المدفعية والأعتدة. وقد أفادت (قوات جدعون)، التي بلغ عدد أفرادها (٣٥) ألف مقاتل، من الدعم الجوي الذي قدمته لها الطائرات البريطانية، كما أفادت من الدعم الكبير الذي قدمه الثوار الأثيوبيون؛ والذي كان له دور كبير فيما تم إحرازه من النجاح.

تابعت (قوات جدعون) أعمالها بعد تحرير العاصمة أديس أبابا، فتعاونت مع القوات النظامية لمطاردة الجيش الإيطالي باتجاه (أمبا ـ ألاغي)، مع الاستمرار في تحريض القبائل على الثورة؛ وزجها للعمل في شمال (بحيرة تانا) وذلك بهدف حصار الحاميات الإيطالية والقيام بكافة الأعمال التي تزعج هذه الحاميات وتتهددها في أمنها.

كانت قيادة الحركات الوطنية الأثيوبية تصطدم بصعوبات كبرى من جراء الانقسامات القبلية والمنافسات السياسية. فكان من أبرز الأعمال الناجحة التي حققها (وينغيت) هي نجاحه في التوفيق بين تلك المتناقضات؛ وإيجاد أهداف كبرى يمكن لها استيعاب تلك الخصومات أو المنافسات؛ وبذلك، وبفضل الأعمال الثورية

المقترنة بتدخل القـوات النظاميـة؛ عاد الأمبـراطور هيـلاسيلاسي منتصـراً إلى بلاده، وأصبحت أثيـوبيا هي أول بلد تم تحـريره من الاحتلال الفـاشي . ويمكن بعد ذلك تثمين أو تقويم الدور الذي اضـطلعت به (قـوات جدعـون) وأعمالهـا من خـلال تصـريحين بريطانيين، جاء في أولهما: «**تزيـد نسبة الانتصـارات التي حققتها قوات وينغيت من حيث أهميتها زيادة كبيرة على ما حققته الجيوش النـظامية في عمليـاتها الهجـومية عـلى أجنحـة الجيش الإيـطالي**».

وثانيهما: «**لو أمكن توفير الدعم الجوي اللازم لقوات جدعـون، أثناء المعركة الأثيوبية، لاستطاعت هـذه القوات بـالتأكيـد تحقيق النصر الحاسم على الخمسة والثلاثين ألفاً من الإيطاليين المسلحين بصـورة جيدة والمتمـركـزين في ـ غـوجـام ـ ولتمكنت أيضـاً من احتلال العاصمة ـ أديس أبابا ـ قبل وصول الجيوش النظامية إليها بوقت طويل**».

لقد تم تحقيق الأهداف الرئيسة للمعركة الأثيوبية بصورة نهائية في منتصف العام ١٩٤١، وهي الأهداف التي تلخصت بتدمير القسم الأكبر من القوات الإيطالية في شرقي أفريقيا (القرن الأفريقي)، وإزالة التهديد الذي كان قائماً على البحر الأحمر. وكانت النتائج المبـاشرة لهذا النجاح، توافر الإمكانات لتنظيم مصر بعيداً عن كل ما يتهدد أمنها، والإفادة منها لإعداد القوات ضد الجبهة الغربية (مع ليبيا). كما بات باستطاعة القطع البحـرية الأميـركية الـوصول إلى البحـر الأحمر بعيداً عن كل خطر من أخطار الحرب وذلك لنقل الإمدادات وقوات الدعم، وكان ذلك مما خفف من الأعباء الثقيلة التي كانت

تنوء تحت ثقلها الناقلات والبواخر البريطانية.

تم دحر آخر الـوحدات الإيطالية التي كانت متمركزة في (غاملا ـ سيدامو) في الفترة ما بين نيسان وتموز (أبريل ـ يوليـو) من العام ١٩٤١. أمـا الوحـدات الإيطاليـة التي كـانت مـوجـودة في إقليم (غوندار) فقد تأخر دحرها حتى شهري تشرين الأول وتشرين الثاني (أكتوبر ـ نوفمبر)، وبما أن معظم القوات البريطانية النظامية قد تم سحبها إلى مصر بعد تحرير (أديس أبابا) مباشرة، فقد زادت قيمة وأهميـة الدعم الـذي كان يقـدمه الأنصـار الأثيوبيـون إلى (قوات جدعون)، والتي لم تعد إلا قوات قليلة وقع عليها عبء ثقيـل هو تصفية بقية القـوات الإيطاليـة؛ والقضاء عليهـا. وقد قـام هؤلاء الأنصـار بتقديم خـدمات لا تـوصف لقوات جـدعون وقـائـدهـا (وينغيت) إذ كانت تقوم بنشر الدعايـة ـ الحرب النفسيـة ـ وهي التي تحصل على المعلومات، علاوة على اضطلاعها بأعباء العمليات القتـالية من إغـارات ونصب للكمائن وتسلل إلى داخـل المـواقـع الدفاعية الإيطالية وأعمال إعاقة لمنع القوات الإيطالية من التحرك إلخ...

لم تكن (المعركة الأثيوبية) هي أول حملة يقترن فيها عمل القوات الثورية بعمل القوات النظامية؛ ولعل أقرب تجربة عاشها (ويڤل) وتعلمها؛ هي تجربة (اللنبي) عندما استثمر ظروف الثورة العربية الكبرى بقيادة أمير مكة (الشريف حسين) ونسق بينها وبين عمـل قواته النظامية التي انطلقت من مصر، فعبرت سيناء، واشتركت في

إخراج الأتراك العثمانيين المسلمين من بلاد الشام كلها.

ولعل تجربة اللنبي التي استوعبها (ويڤل) بعمق هي التي أوحت له بمخطط (المعركة الأثيوبية).

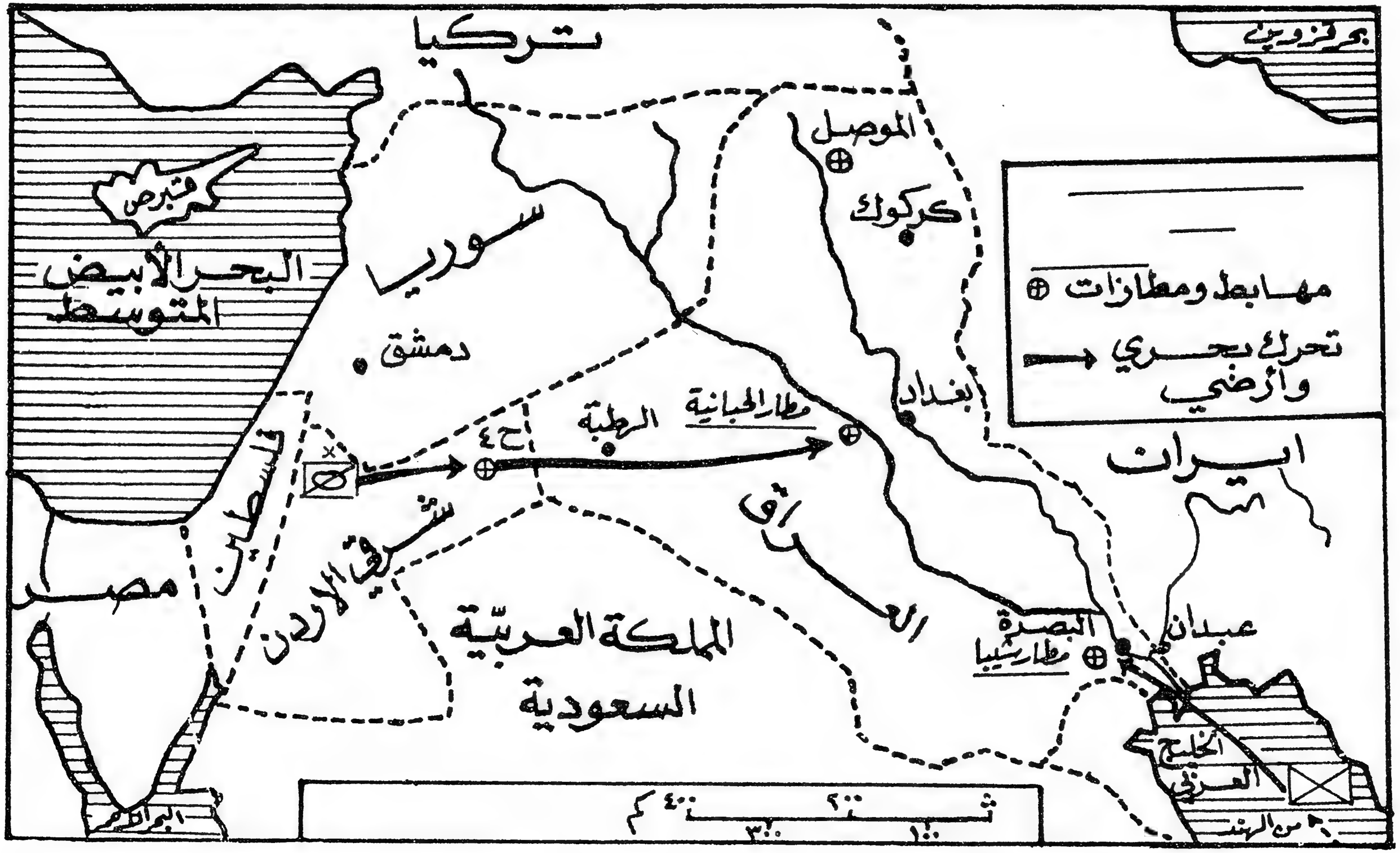
وبالرغم من هذا التشابه بين (الثورة العربية) و(الثورة الأثيوبية)، فلقد كان للجنرال (ويڤل) دوره الأساسي والكبير في مجال التنسيق بين العمل السياسي والعمل العسكري؛ وقد بات معروفاً ذلك الدور السياسي الذي اضطلع به (ويڤل) وجهاز قيادته في مجال إجراء الاتصالات المسبقة مع القادة السياسيين الأثيوبيين ومع زعماء القبائل؛ وجمع المعلومات الضرورية ثم استثمار هذه المعلومات خلال مرحلة التمهيد للثورة؛ بحيث يتم تحويل المشاعر العدائية والعواطف المتوثبة إلى عمل إيجابي ثوري. ولقد تم تنفيذ هذا العمل خلال فترة طويلة جداً، بينما لم يستغرق تنفيذ الأعمال القتالية أكثر من شهرين؛ أو حتى أشهر قليلة، وذلك يعني بداهة أن التحضير الدقيق للثورة؛ والإعداد المسبق لها؛ هو أكثر مشقة، وأشد صعوبة من إدارة الأعمال القتالية الثورية ذاتها. هذا من ناحية؛ ومن ناحية ثانية؛ فقد ظهرت كفاءة (ويڤل) في مجال تنسيق الأعمال القتالية الثورية والأعمال القتالية للقوات النظامية، سواء من حيث التوقيت الزمني؛ أو من حيث التعاون على مسرح العمليات.

ولقد برهنت تجارب الحرب العالمية الثانية جميعها؛ على أن الثورة الداخلية والتدخل الخارجي هما عملان متكاملان يجب لهما أن

يسيرا معاً؛ في الإطار الزمني. ولقد أدى تجاهل هذا العامل في بعض الأحيان إلى نتائج سيئة للغاية. فقد تعرضت قوات المقاومة الفرنسية إلى مذابح رهيبة على أيدي الألمان، لأنها انطلقت في ثورتها العامة قبل إنزال قوات الحلفاء في النورماندي، نتيجة سوء فهم إشارة انطلاقة الثورة التي انطلقت من (لندن) سنة ١٩٤٤. وكذلك فإن تأخير الثورة، يحرم القوات النظامية التي تتدخل من الخارج من الدعم الحقيقي الذي يساعدها على النجاح خلال المرحلة الصعبة من بداية الأعمال القتالية.

ولا ريب أن النجاح الكبير الذي حققه (ويڤل) على مسرح العمليات الأثيوبي إنما كان ثمرة للحساب الدقيق في تنسيق عمل قوات الثورة مع القوات النظامية.

وهناك أيضاً عامل لا يقل عن الأول أهمية وهو اختيار الشعار المناسب للثورة (أو هدف الثورة) بما يتناسب مع ميول السكان وعواطفهم واتجاهاتهم الفكرية. فلقد كان (ويڤل) يعرف أن (أثيوبيا) عامة تضمر العداء للاستعمار الإيطالي؛ وأن التحرر من هذا الاستعمار هو الهدف الذي يمكن له توحيد الجهود كلها. ولهذا فقد تم رفع راية (التحرر الوطني) بأيد أثيوبية ـ على رأسها الأمبراطور ذاته ـ مما ساعد على حشد السكان جميعهم في خندق واحد؛ رغم تباين اتجاهاتهم واختلاف ميولهم. وجاء النصر النهائي تتويجاً للشعار الذي تم طرحه عند بداية الثورة. وهنا أيضاً قدمت التجربة التاريخية للجنرال (ويڤل) عوناً كبيراً؛ فلقد كان شعار



الشرق الأوسط - نيسان عام ١٩٤١

(التحرر الوطني) أو (التحرر القومي) هو من أكثر الشعارات البراقة التي تستثير المشاعر، وتحرض النفوس للعمل؛ وتدفع الرجال لتنكب مخاطر الثورة وخوض الصراع المسلح.

٧ ـ إجهاض الثورة العراقية

كان العراق قد حصل على نوع من الاستقلال الذاتي عندما انفجرت الحرب العالمية الثانية؛ عبر صراعه الطويل والمستمر ضد قوات الانتداب البريطاني. وكان في جملة القيود التي فرضتها بريطانيا على العراق ـ في معاهدتها معه ـ بأن لبريطانيا الحق في حالة الحرب استخدام مطارين من المطارات مع حق المرور بكافة الوسائل اللازمة لقواتها. وكان المطار الأول يقع في (الحبانية) على بعد تسعين كيلومتراً تقريباً إلى الجنوب الغربي من بغداد. أما المطار الآخر فهو مطار (سن الذبان ـ أوشيبا) الواقع على بعد ثلاثين كيلومتراً إلى الغرب من البصرة. وأصبح العراق يمثل ضرورة حياتية ذات أهمية خاصة بالنسبة لبريطانيا ـ في سنة ١٩٤٠ ـ من أجل الوصول إلى الهند، وذلك بسبب الحاجة إلى أرض العراق الواسعة؛ وما بها من مطارات وقواعد وطرق للمواصلات وعقد مواصلات للخطوط الجوية. هذا بالإضافة إلى وجود حقل النفط في كل من الموصل وكركوك؛ وحاجة بريطانيا إلى هذه المادة التي لا غنى عنها للمجهود الحربي.

كان السيد رشيد عالي الكيلاني على رأس حكومة العراق في ـ بغداد ـ وكان يمثل طموح العراق الوطني للتحرر من القيود

البريطانية؛ وكان العراق قد قطع علاقاته الدبلوماسية مع ألمانيا في بداية الحرب ـ بضغط من بريطانيا ـ غير أنه لم يقطع علاقاته مع إيطاليا؛ وقد قرر (رشيد عالي الكيلاني) تغيير خط سير السياسية العراقية استجابة للتطلعات العراقية خاصة؛ والعربية عامة؛ والتي كانت ترغب في تسديد بعض ديون (بريطانيا الاستعمارية) وما ألحقته بجسد الأمة العربية من جراحات عميقة؛ لا سيما في فلسطين.

وكان لدى العراق أربع فرق مسلحة؛ فرقتان منهما في بغداد بالإضافة إلى لواء ميكانيكي ـ آلي ـ مدعم بثلاثين دبابة، وفوجا مشاة منقولين بمركبات النقل العسكرية (كميون)، وستون طائرة مقاتلة حديثة نسبياً.

وكان (رشيد عالي الكيلاني) وجهاز القيادة يعتقدون بأن هذه القوى قادرة على دعم التبديل المرغوب فيه في اتجاه السياسة العراقية.

وكان هذا التبديل يقضي بمنع القوات البريطانية من تجاوز الحدود العراقية؛ واستخدام القوة إذا ما تطلب الأمر. . وكان هذا التبديل يشكل تحدياً خطيراً لبريطانيا خلال تلك الفترة التي كانت فيها القوات البريطانية لا تزال غارقة في اليونان وفي أفريقيا الشرقية (القرن الأفريقي)، وأفريقيا الغربية (ليبيا). ولهذا ثارت ثائرة بريطانيا؛ وأخذت في شن حرب إعلامية ـ نفسية ـ ضد الحكم العراقي متهمة إياه بالانحياز للمحور، والتنكر لمعاهدته مع

بريطانيا، مما يعتبر بمثابة إعلان حرب على بريطانيا.

وشرعت السلطة البريطانية (بقيادة ويڤل) بإعادة تنظيم أمورها في العراق؛ وحشد أنصارها؛ واستثارة الرأي العام ضد (رشيد عالي الكيلاني) وحكومته.

ولم تقف ألمانيا الهتلرية مكتوفة الأيدي، غير أن كل ما فعلته لم يتجاوز حدود مجابهة الحرب الإعلامية البريطانية ضد العراق بحرب إعلامية مماثلة (من صوت يحيا العرب الذي كان يصدر عن برلين بواسطة المذيع يونس البحري)، مع قيام بعض الطائرات الألمانية بقذف بعض النشرات الإعلامية التي تبرز (قدرة ألمانيا) والوعود بأن العرب يستطيعون الاعتماد على ألمانيا.

كانت القيادة البريطانية في العراق بقيادة مارشال الجو (هنغ سمارت) تتكون من سرب قاذفات قنابل ٢٤٤ ويضم (٣٠) طائرة في مطار (سن الذبان ـ أوشيبا) كما كانت المدرسة الرابعة لتدريب الطيارين في مطار (الحبانية) تضم (٨٠ طائرة) معظمها للتدريب ومن النماذج التي أصبحت قديمة؛ وألغي استخدامها؛ بالإضافة إلى (١٨) عربة مدرعة قديمة. ولم يكن باستطاعة هذه القوات؛ وقد أصبحت شبه محاصرة، أن تفعل شيئاً. ولهذا فإن (سمارت) وقف عاجزاً أمام موقف لم يكن لديه استعداد ـ أصلاً ـ للتعامل معه.

وشرع (ويڤل) في دراسة الموقف. وتم وضع مخطط لزج قوات آلية ـ ميكانيكية ـ يتم إرسالها من (فلسطين) لاحتلال الحبانية؛ والتقدم إلى بغداد؛ مع إنزال لواء هندي عن طريق خليج البصرة

لـلاستيلاء عـلى مطار (سن الـذبان). ولكن هـذه القوات لم تكن كافية؛ كما أن بعد المسافة؛ وطول الطريق البـري والبحري، من شأنه إرغام القوات على قضاء فترة زمنية طويلة في التحرك؛ مما قد يجعـل وصولهـا إلى أهدافهـا في وقت متأخـر جداً، وبـذلك تفقـد العملية أهميتها؛ مما قد يعرض المخطط بكامله للفشل. وبالإضافة إلى ذلـك؛ فإن قـوات الإنزال البحـري في البصـرة قـد تصـطدم بالقوات العـراقية، ممـا يفرض بـالضرورة تنفيـذ الأعمال القتـالية بسرعة كبرى؛ ولو كان ذلك بقوات قليلة، مما حمـل (ويڤل) عـلى اللجوء للنقل الجوي؛ فأرسل في يوم ١٧ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤١ قوة مكونة من أربعمائـة جندي وضـابط ـ من قوات اللواء الملكي البريطاني الخاص ـ تم إنزالها ـ بالطائرات ـ على أرض مطار (سن الـذبان) وشـرعت فوراً بـالعمل لمسـاعدة اللواء الأول من الفـرقة الهندية العاشرة، للنزول على أرض خليج البصرة. وكان على هذه القوة بعد إنجاز مهمتها أن تتحرك جواً مرة ثانية؛ للانتقال إلى مطار الحبانية، حيث كان الموقف يتزايد تدهوراً. وظهر بوضوح أن أي انتصار للثورة العراقية سينتشر بسرعة ليتجاوز حدود العراق، فقد كانت جماهير الشعب العربي في الـوطن العربي تتـرقب بتحفز كـل خطوة يتخذها (رشيد عالي الكيلاني) الذي قفز بصورة مباغتـة إلى مرتبة الأبطال الوطنيين ـ القوميين ـ [١].

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن ثورة العراق حظيت بالدعم المعنوي الهائل للجماهير العربية التي أعلنت ـ في كـل قطر ـ عن استعـدادها للعمـل مع الثـورة والانضمـام إلى =

أصدر (رشيد عالي الكيلاني) أمره بتطويق (مطار الحبانية) بأحد عشر فوجاً؛ ومعهم ٥٠ مدفعاً، وأوقف تدفق البترول عبر أنبوب كركوك ـ حيفا، ومنع دخول أي قوات بريطانية جديدة إلى العراق بعد أن تبينت له بوضوح النوايا العدوانية للقيادة البريطانية. وقامت قوات عراقية بمهاجمة مركز القوات البريطانية في الرطبة، الواقعة على مسافة متساوية من الحدود السورية ـ الأردنية ـ السعودية، مما اضطر القوات البريطانية إلى الانسحاب من الرطبة إلى محطة (ح ـ أو إتش ٤) داخل الحدود الأردنية. وفي هذا الموقف المتدهور؛ وبعد أن أصبح مارشال الجو (سمارت) معزولاً عن القوات الضعيفة المكلفة بالدفاع؛ وعلى مسافة تفصله عنها بمقدار خمسمائة كيلومتر تقريباً، في هذا الموقف، اتخذ سمارت قراره بالهجوم ـ على اعتبار أن الهجوم هو أفضل وسيلة لديه للدفاع ـ. وكان رئيس الوزراء البريطاني (وينستون تشرشل) قد أصدر تعليماته لمواجهة الأزمة وأمر باستخدام القوة والضرب ـ إذا ما اقتضى الأمر ـ على أن تكون الضربات قوية وحاسمة قدر المستطاع.

وتحرك (ويفل) للعمل بسرعة. وبدأت الطائرات القاذفة للقوات الجوية الملكية، والطائرات المقاتلة، بالإقلاع من مطار الحبانية؛ والهجوم على مواقع القوات العراقية ومطاراتها ومعسكراتها

= صفوفها، وقد تجسد ذلك بانضمام عدد من ضباط الجيش السوري الذي كان خاضعاً لحكومة بيتان ـ فيشي ـ إلى الثورة، وقيامهم بدور جيد في الأعمال القتالية (مثل العقيد محمود الرفاعي والرائد عصام مريود وسواهما).

بالإضافة إلى الإغارات على الطرق العراقية والأرتال المتحركة على الطرق. وتم في اليوم الأول (*) إسقاط ٣٥ طناً من القنابل؛ وقامت الطائرات البريطانية بأكثر من ٢١٠ طلعات من أجل إسقاط هذه الكمية من الممكن.

وحدثت أثناء ذلك اشتباكات جوية أظهر فيها الطيارون العراقيون بطولات رائعة؛ لا سيما فوق قاعدة (سن الذبان ـ شيبا). غير أن تفوق القوات الجوية البريطانية فرض وجوده؛ وأمكن عملياً وضع القوات الجوية العراقية خارج القتال. وبذلك أصبح باستطاعة وحدات المشاة البريطانية التي كانت قد وصلت عن طريق الجو؛ أن تبدأ هجومها على القوات العراقية ـ بدعم من القوات الجوية ـ مما اضطر القوات العراقية إلى التراجع؛ والانسحاب إلى قواعدها.

قامت القوات البريطانية خلال ليل ٥ / ٦ أيار ـ مايو ـ بعملية استطلاع بالقوة؛ وأخذت بعض الأسرى، وقامت بجمع معلومات، فتبين أن القوات العراقية قد خسرت أكثر من (٥٠٠) جندي من الشهداء خلال الاشتباكات الأرضية، وعمليات القصف الجوي، فيما زاد عدد الجرحى على ألف وخمسمائة جريح؛ بالإضافة إلى وقوع (٤٠٠) أسير في قبضة القوات البريطانية؛ وتدمير ٧٥ مركبة للقوات العراقية، وهذا مما حمل القوات العراقية

(*) يوم ٢ أيار ـ مايو ـ ١٩٤١.

على التخفيف من ضغطها المباشر على القوات البريطانية.

ولكن؛ ومع هذا التحول ظهر عامل جديد في الموقف. فقد تحرك الألمان على ما زعمته المصادر البريطانية ـ ولو أن هذا التحرك جاء في وقت متأخر جداً؛ وبشكل ضيق ومحدود، فهبطت أول طائرة ألمانية في مطار الموصل يوم ٨ أيار ـ مايو ـ ثم قامت ثلاث طائرات يقودها الطيارون الألمان بالإغارة على مطار الحبانية، وأنزلت بالقوات البريطانية بعض الخسائر.

وظهر للجنرال (ويڤل) أنه بات من الضروري التحرك بسرعة أكبر؛ إذ أن التدخل الألماني ـ المباشر ـ قد يساعد العراقيين على إعادة تنظيم قواتهم بسرعة، لمتابعة الصراع بفاعلية أكبر؛ وبقوة أكثر؛ مما يعيد للجيش العراقي قدرته القتالية العالية؛ وروحه المعنوية المتوثبة التي أظهرها خلال المعارك السابقة. وفي هذه الفترة؛ لم يكن باستطاعة القوات الهندية مغادرة البصرة بعد أن تدخل الفيضان فاحتجزها في مواقعها؛ ومنعها من كل تحرك؛ مما حرمها من القدرة على التدخل في الوقت المناسب.

وكان باستطاعة (ويڤل) تكليف اللواء الآلي ـ الميكانيكي ـ القادم من فلسطين ـ والذي كان يضم قوات المنظمة الصهيونية الإرهابية (أرغون زفاي ليومي) بتنفيذ هذه المهمة والاضطلاع بها بصورة جيدة؛ نظراً لكونه من التنظيمات الخفيفة الحركة نسبياً ـ ولكن هذا اللواء كان ملزماً على السير لمسافة ستمائة كيلومتر تقريباً فوق الأراضي الصحراوية؛ من أجل الوصول إلى العراق. ومرة

أخرى لم يبق إلا النقل الجوي وسيلة يمكن بواسطتها تنفيذ مخطط الهجوم بأقصى سرعة ممكنة.

قامت سرية من اللواء (إيسيكس) الأول بالتحرك جواً؛ ووصلت أرض المعركة في الساعة الرابعة صباحاً، وانضمت إليها قوات أخرى، وبدأ السباق للوصول إلى (الحبانية) من جديد. وقد قامت القوات الميكانيكية ـ الآلية ـ بحركة التفاف واسعة نحو الجنوب؛ وذلك لتجنب الصدام مع المواقع الدفاعية العراقية. وفي الوقت ذاته؛ تم دعم الحامية الإنكليزية المدافعة عن المطار باثنين من أفواج المظليين، كان الفوج الأول من قوات لواء (إيسيكس الأول)، أما الفوج الثاني فهو فوج (غوركا الرابع) بالإضافة إلى لواء البصرة. وكان وصول هذه القوات في يوم ١٨ أيار ـ مايو ـ بالإضافة إلى الاتصال الذي تم مع عناصر استطلاع اللواء المتقدم من فلسطين، قد جعل بالإمكان القيام بالهجوم على بغداد، وتم البدء بتنفيذ ذلك على الفور؛ وبدون تأخير. ولم تلبث أن اقتحمت ثلاثة أرتال بعض خطوط القوات العراقية في يوم ١٩ أيار ـ مايو ـ فيما قامت سرية من مظليي لواء (إيسيكس الأول) بمساندة هجوم هذه الأرتال؛ وذلك بالهبوط على مقربة من القوات العراقية ـ وإلى الخلف منها ـ وقد تم إنزال سرية المظليين هذه بمهمة منع وصول النجدات العراقية المتحركة من بغداد.

وابتدأت بذلك مرحلة المعارك العنيفة على أبواب العاصمة العراقية، والتي استمرت لمدة عشرة أيام؛ واشتركت فيها الدبابات

العراقية، كما ساهمت بها الطائرات الألمانية، ـ بعددها المحدود ـ . ولم يكن ميزان القوى والوسائط متكافئاً؛ أو متعادلاً ؛ فقد استطاع (ويڤل) زج قوات متفوقة تفوقاً كبيراً على القوات العراقية ـ لا سيما في القوى الجوية والقوى المدرعة ـ . ورغم ما أظهره العراقيون من تصميم كبير وعناد في القتال، إلا أن الموقف لم يكن في مصلحتهم، وأخذت قواهم في التناقص تدريجياً؛ وأخذ النقص في الذخائر والإمدادات يضغط عليهم بكل ثقله، حتى إذا ما كان يوم ٣١ أيار ـ مايو ـ ظهر واضحاً أن الصراع قد وصل إلى نهايته؛ واضطر رشيد عالي الكيلاني لمغادرة العراق؛ واللجوء إلى إيران.

ودخل البريطانيون إلى بغداد يوم ١ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤١ فيما كانت العاصمة تشيع أبناءها في ثياب الحداد، ممن أسقطتهم قنابل البريطانيين على أبواب بغداد. وهيمنت على الوطن العربي غمامة قاتمة حزناً على فشل الثورة العراقية. ولم تكن مشاعر العرب خافية على القوات البريطانية، رغم محاولات التمويه عليها، تحت ستار من الضجيج الإعلامي بانتصار الديمقراطية البريطانية على الفاشية الألمانية.

لم تصل الحرب ضد العراق حتى نهايتها بعد؛ فما زال أمام القوات البريطانية واجب هو ضمان الحماية لحقول البترول في كل من الموصل وكركوك؛ وكان لزاماً تنفيذ هذا الواجب؛ أو المهمة؛ بأسرع ما يمكن، فبدأ رتل ميكانيكي ـ آلي ـ بالتحرك نحو الشمال، وقد سبقه منذ يوم ٢ حزيران ـ يونيو ـ فوج من المظليين ـ هو الفوج

الثاني من لواء غوركا الرابع ـ . وقد ساعد الحظ هذا الفوج فتمكن من اعتقال عدد من الطيارين الألمان، مع الاستيلاء على طائراتهم الجاثمة على أرض مطار الموصل، وبذلك وصلت القوات البريطانية إلى تحقيق أهدافها كاملة. وقد تم لها ذلك بفضل الإفادة من المرونة، والسرعة اللتين ضمنتاهما قدرة النقل الجوي. ولقد أمكن خلال هذه العمليات التحرك فوق مناطق شاسعة؛ كما أمكن زج قوات من مسافات بعيدة عن مسرح العمليات. وقد تطلب ذلك إعداداً مسبقاً لفترة طويلة؛ وهذا يعني ببساطة أن (ويڤل) كان قد وضع في اعتباره إمكان العمل على مسرح العمليات بصورة مسبقة. وفي الوقت ذاته، فقد جاء زج مجموعات صغيرة من المظليين لكسب الوقت وحسم الصراع بسرعة. وقد برهنت هذه المجموعات على أهميتها وفائدتها عند التعامل مع القوات النظامية أو مع القوات الثورية؛ وذلك بشرط أن يتم استخدام هذه المجموعات في الزمان والمكان المناسبين، وبالتنسيق مع القوات البرية، أو كتلة القوات الرئيسة التي تتحرك على الطرق البرية.

لقد اكتسب (ويڤل) رصيداً معنوياً هائلاً بنتيجة الانتصار السريع والحاسم على قوات الثورة العراقية؛ ذلك أن هذا الانتصار قد حرم الألمان من استثمار الثورة العراقية وتوجيهها ضد البريطانيين لا في العراق وحده؛ بل في المنطقة بكاملها. ولهذا لم يكن غريباً أن تشغل الثورة العراقية وتطوراتها اهتمام العالم؛ لا سيما خلال المراحل الحاسمة منها خلال العشرة الأيام الأخيرة من شهر أيار ـ مايو ـ ١٩٤١ عندما كانت تدور أعنف المعارك والأكثر

ضراوة على أبواب بغداد. ولا ريب أنه لو تم تنسيق أعمال الثورة بصورة مسبقة مع إمكانات التحرك الألماني، سواء عن طريق سوريا التي كانت خاضعة لحكم (الفيشيين)، أو عن طريق تقديم مساعدات بالقوات الجوية؛ لكان بالمستطاع إجراء تحولات في غير مصلحة بريطانيا. وقد اعتبرت ثورة العراق؛ وما وصلت إليه من نتيجة مؤلمة ـ بالنسبة للثوار العراقيين خاصة ـ بمثابة برهان جديد على عجز قوات الثورة عن تحقيق نصر حاسم ما لم تتلق دعماً خارجياً قوياً من شأنه تحقيق نوع من التوازن بالقوى مع القوات المعادية التي يمكن لها أن تتصدى للثورة؛ وأن تحاول إحباطها. ويمكن اعتبار نتائج هذه الثورة ـ من الناحية المدرسية ـ مكملة لما تحقق على المسرح الأثيوبي من نتائج بفضل تنسيق الأعمال الثورية مع أعمال القوات النظامية.

وهناك عامل لا يمكن تجاهله في هذا المضمار، وهو أن الوجود البريطاني في المنطقة طوال الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، قد ساعد (ويڤل) والقيادة البريطانية على الإفادة من القاعدة السياسية؛ وقاعدة شبكات الاستخبارات ـ الجاسوسية ـ التي تم تنظيمها طوال هذه الفترة.

٨ ـ تقويض حكم (الفيشيين) في سوريا

لم يكن تاريخ سوريا في عهد الاستعمار الفرنسي ـ الانتداب ـ إلا مجموعة من الثورات والعصيان وأعمال التمرد والإضرابات وأعمال العنف التي أدت في ٨ تموز ـ يوليو ـ ١٩٣٩ إلى تشكيل

(حكومة مديرين) تحت إشراف سلطة الانتداب مباشرة، وأعقب ذلك إعلان الحرب في يوم ٢ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٣٩، فتعرضت سوريا لموجة ضغط رهيبة لم تتخلص منها إلا في حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠؛ عندما اجتاحت القوات الألمانية فرنسا، وقهرتها، وتشكلت حكومة فيشي التي عينت (الجنرال دانتز) مندوباً سامياً في سوريا(*).

ولم تظهر ألمانيا اهتماماً بسوريا في بداية الأمر؛ إلا أنها رأت المنطقة بوضوح أكبر عندما انفجرت الثورة العراقية يوم ٣ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤١، حيث أخذت تفكر بمساعدة الثورة عن طريق إرسال بعض الأسلحة إليه ـ إلى دانتز ـ .

وقبلت حكومة (فيشي) يوم ٦ أيار ـ مايو ـ إرسال أسلحة من مخزونها في سوريا، كما وافقت على مرور أعتدة حربية عبر سوريا إلى العراق، وأقامت قاعدة جوية في شمال سوريا لتكون محطة وسيطة للطائرات الألمانية القادمة من (رودس). وكان من المفروض أن يربح العراق خمسة عشر يوماً من الوقت ـ على الأقل ـ لإكمال استعداداته؛ لكن (الجنرال ويڤل) أخذ المبادأة بالعمليات منذ شهر نيسان ـ أبريل ـ وأمكن له القضاء على ثورة العراق ـ وإجهاضها ـ على نحو ما سبق عرضه في الفصل السابق.

(*) عين الجنرال دانتز مندوباً سامياً عن حكومة فيشي في سوريا يوم ١٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٠. وبدأ بممارسة عمله في دمشق من يوم ٢٩ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٠ حتى ١٥ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤١.

ولكن زوال التهديد العراقي لم يبعد الخطر عن (بريطانيا العظمى)، إذ أن بقاء سوريا تحت حكم (الفيشيين)، لا سيما بعدما ظهر من خلال الثورة العراقية؛ قد بات يشكل خطراً مقيماً وثابتاً؛ وذلك على الرغم من عدم قيام السلطة الفرنسية في سوريا بنشاط كبير أو واضح ضد البريطانيين.

كان من المفروض أن يتحرك زعيم فرنسا الحرة (الجنرال ديغول) لضم سوريا ووضعها تحت قيادته؛ وبذلك يمكن ضمان الموقف لمصلحة (بريطانيا) غير أن دعاية الفرنسيين الأحرار (الديغوليين) في سوريا، كانت ضعيفة؛ ولم يستجب أحد لنداءات ديغول؛ فكان لا بد من اللجوء إلى العنف من أجل توطيد الموقف وإقراره في اتجاه ملائم للسياسة الاستراتيجية البريطانية. ولكن بريطانيا لم تكن تمتلك الوسائل الضرورية للقيام بهذا العمل، بسبب انشغال قواتها على جبهات اليونان وليبيا والحبشة ثم العراق. وكان لزاماً على القائد العام (الجنرال ويفل) عدم بذل كل اهتمامه للأمور العسكرية فحسب، بل كان لزاماً عليه الاهتمام بانعكاسات الأمور العسكرية على الدبلوماسية والسياسة، لا سيما في هذه المنطقة من العالم حيث اكتسبت العلاقات فيها، بنتيجة الدور الاستعماري ذاته، شكلاً معقداً للغاية، زاد من تعقيدها التناقضات التي جاءت بها الحرب والتي قسمت فرنسا إلى قسمين: الفيشيين المدعمين ـ أو التابعين ـ لألمانيا الهتلرية، وأولئك الذين حملوا اسم (الفرنسيين الأحرار ـ بقيادة الجنرال ديغول)، والذين خضعوا لبريطانيا ـ أو



«ديغول» و«ويڤل» في القاهرة

باتوا تابعين لها ـ. ولم يكن من السهل على (الجنرال ويڤل) التعامل مع زعيم الفرنسيين الأحرار (الجنرال ديغول) نتيجة ما عرف عن ديغول من العناد، والاعتداد بالنفس.

كان لدى المندوب السامي ـ دانتز ـ في سوريا جيش ضم ٢٥ ألف جندي نظامي، و٢٠ ألف جندي محلي ـ متطوع ـ و١٠٠ دبابة؛ وهي قوة لا يستهان بها؛ لا سيما في وقت لم يكن لدى (ويڤل) أي قوات احتياطية يتصرف بها للعمل ضد (الفيشيين في سوريا). ولهذا فقد استبعد ـ مؤقتاً على الأقل ـ القيام بأي تدخل عسكري ضد سوريا، كما أن المعلومات التي قدمها إليه الفرنسيون الأحرار (الديغوليون) عن إمكانات انضمام إخوانهم الفرنسيين

إليهم بمجرد دخولهم إلى سوريا؛ لم تمنحه الثقة الكافية للإقدام على مغامرة غير محسوبة، فبات ينتظر تطور الأحداث على جبهة العراق، حتى إذا ما أمكن له الوصول إلى نتيجة مرضية؛ شرع على الفور بالاستجابة لطلب الحكومة البريطانية التي كانت تلاحقه باستمرار للتدخل في سوريا، ونظم قوة مختلطة ضمت لواءين أستراليين و٣ كتائب فرسان ـ خيالة ـ ولواء هندياً و٦ كتائب من قوات فرنسا الحرة (الديغوليين) مع بعض الدبابات، و٣ أسراب من القوة الجوية الملكية البريطانية.

وتحركت قوات هذه الحملة للعمل في سوريا يوم ٨ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤١ ، أي بعد ثمانية أيام فقط من انتهاء الأعمال القتالية في العراق. وكان التحرك يحمل نوعاً من المجازفة ـ أو حتى المقامرة ـ غير أن (ويڤل) قبل تحمل نتائج هذه المقامرة؛ نظراً لما برز له من الخطر المتواجد في سوريا؛ وقد شجعه على ذلك انصراف هتلر خلال تلك الفترة عن التفكير باستثمار موقف هذا القطر في قلب الوطن العربي، بسبب انصرافه انصرافاً تاماً لتلبية متطلبات عملية غزو روسيا (خطة بربروسا).

لم تكن المعارك التي دارت في سوريا هي من (المعارك المشرفة) كما زعمت دوائر الحلفاء. فقد وقعت معارك ضارية (لا سيما بين الأخوة الفرنسيين هؤلاء التابعين لحكومة فيشي، وأولئك التابعين لزعامة ديغول)، ووقعت على أبواب دمشق الجنوبية (منطقة القدم) أعنف الاشتباكات وأشدها ضراوة، وانتهت بانتصار الحملة



الجنرال «كاترو» في «سوريا» في حديث مع الجنرالين البريطانيّين «أوكنلك» (إلى اليسار) و«ويلسون».

البريطانية، وتم توقيع اتفاقية الهدنة يوم ١١ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤١، وقبل ١٥ بالمائة فقط من الفرنسيين في سوريا الانضمام إلى إخوانهم من قوات فرنسا الحرة (الديغوليين). وانتهت بذلك الحملة التي استمرت لمدة خمسة أسابيع؛ خسر البريطانيون خلالها ٣٣٠٠ جندي، وخسرت قوات فرنسا الحرة ١٣٠٠ جندي، فيما خسر الفرنسيون الفيشيون (قوات دانتز) حوالى ٦ آلاف جندي، وفقد سلاح الجو الملكي البريطاني ٢٧ طائرة من طائراته.

كان الجنرال الفرنسي ـ كاترو ـ على رأس.(قوات فرنسا الحرة) التي عملت مع قوات (ويڤل) عند اجتياح سوريا. وقد أذاع (كاترو) بياناً في يوم ٨ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤١ أعلن فيه استقلال سوريا ولبنان.

ولما عين (الجنرال كاترو) مندوباً سامياً لحكومة فرنسا الحرة في

سوريا ولبنان (*) أدلى بتصريح يوم ٢٨ أيلول ـ سبتمبر ـ أكد فيه من جديد استقلال سوريا وسيادتها التامة؛ وعين السيد تاج الدين الحسني رئيساً للجمهورية السورية بصورة غير دستورية. وكان مجرد هذا التعيين انتهاكاً للسيادة السورية إذ أنه أكد بقاء القبضة الفرنسية هي المهيمنة. وبالرغم من ذلك فقد اعترفت خمس دول باستقلال سوريا منها (بريطانيا العظمى) (**) وبذلك باتت بريطانيا وهي معترفة باستقلال سوريا مما سيكون له دوره بعد انتهاء الحرب؛ ووقوع أزمة بين سوريا ولبنان من جهة وفرنسا من جهة ثانية.

وتجدر الإشارة إلى أن سوريا مثلها كمثل بقية الأقطار العربية؛ لم تظهر تعاطفاً حقيقياً مع الحلفاء (البريطانيين والفرنسيين الأحرار)، ولهذا لم تعلن الحرب على دول المحور (ألمانيا) إلا في وقت متأخر عندما اشترط ميثاق هيئة الأمم المتحدة دخول عضوية هذه الهيئة بإعلان الحرب على المحور (ألمانيا واليابان) قبل أول آذار ـ مارس ـ

(*) عين الجنرال كاترو مندوباً سامياً في سوريا ولبنان من ١٥ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤١ حتى ٧ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٣ وهو أول مفوض سام لقب نفسه (مندوباً عاماً).

(**) كانت هذه الدول ـ وتواريخ اعترافها كما يلي:

١ ـ المملكة المصرية	اعترفت بتاريخ ١٩٤١/١٠/٥.
٢ ـ المملكة العربية السعودية	اعترفت بتاريخ ١٩٤١/١٠/٥.
٣ ـ بريطانيا العظمى	اعترفت بتاريخ ١٩٤١/١٠/٢٧.
٤ ـ اليونان	اعترفت بتاريخ ١٩٤١/١١/٤.
٥ ـ بلجيكا	اعترفت بتاريخ ١٩٤١/١٢/١٠.

١٩٤٥. وكانت قضية انتصار الحلفاء قد ظهرت واضحة، فصدر المرسوم ٢٠١ تاريخ ٢٦ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٥، الذي أعلنت فيه سوريا الحرب على دول المحور.

المهم في الأمر هو أن (سياسة ويڤل) واجتياحه لسوريا قد وضع المنطقة العربية بكاملها تحت الهيمنة البريطانية. وبذلك صار باستطاعة القائد الأعلى للقوات البريطانية في الشرق الأوسط أن يوجه الأحداث في المنطقة من مقره (في القاهرة). وقد أفاد (ويڤل) من ذلك، إذ بات باستطاعته توجيه الجهد كله نحو الجبهتين اليونانية والليبية، وهما الجبهتان اللتان باتتا في هذه الفترة وهما تشهدان تحولات حاسمة ضد مصلحة بريطانيا وسياستها.

٩ ـ تحولات حاسمة في اليونان

توقف (ويڤل) عن تقدمه في (ليبيا) عندما كانت كل التوقعات تشير إلى أنه لن يتوقف قبل وصول قواته إلى (بن غازي)، وكان سبب توقفه هو نقل ثقل العمليات إلى اليونان. فقد قرر هتلر في ١٣ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٠ تنفيذ مخطط عمليات (ماريتا) لاجتياح البلقان واليونان بالتعاون مع حليفه (موسوليني). وقد خصص لتنفيذ هذه العملية خمسة فيالق و١٨ فرقة ضمت فرقتين جبليتين وفرقة ميكانيكية ـ آلية ـ وأربع فرق مدرعة من الجيش الثاني عشر (بقيادة الجنرال فون ليست). ولم تكن هذه القوات إلا جزءاً مما كان متوافراً لألمانيا الهتلرية من القوات، غير أن هتلر كان يحتفظ ببقية قواته لتنفيذ مخططه لعمليات بربروسا (اجتياح روسيا)،

٨ - الواقع السوقي لليونان و "كورنيث"



الذي حدد موعد البدء بتنفيذه بيوم ١٥ أيار - مايو - ١٩٤١ ، ولهذا فقد قرر تصفية قضية البلقان قبل هذا الموعد.

وكان على (بريطانيا العظمى) مجابهة التحديات في كل مكان؛ في وقت لم تكن قد أعدت نفسها لمثل هذه المجابهة. وكانت تأمل في أن تقف كل من يوغوسلافيا وتركيا إلى جانبها؛ ولكن تركيا امتنعت

عن التدخل، بينما كانت حكومة (الأمير بول) في يوغوسلافيا تميل إلى جانب المحور (برلين ـ روما) حيث وقع الأمير بول حلفاً ثلاثياً مع المحور يوم ٢٥ آذار ـ مارس ـ ولكن انقلاباً وقع في بلغراد بعد يومين فقط (يوم ٢٧ـآذار ـ مارس) لم يعترف بهذه المعاهدة. ولم تلبث قوات المحور أن اجتاحت اليونان ويوغوسلافيا في آن واحد يوم ٦ نيسان ـ أبريل ـ .

كانت خطة اجتياح يوغوسلافيا بسيطة للغاية؛ ومتوافقة مع الطبيعة الجغرافية للإقليم؛ فقد انطلقت بعض القوات الإيطالية والألمانية من (تريستا) ومن شمال ألبانيا، محاذية لساحل (دالماسيا) واتجهت الواحدة لملاقاة الأخرى. وزحفت المجموعات المتمركزة في النمسا وفي هنغاريا وفي رومانيا إلى (لايباخ وزغرب وسيراجيفو وبلغراد ـ التي احتلت يوم ١٣ نيسان ـ أبريل). ومن بلغاريا اتجه فيلقان ألمانيان إلى (أوسكوب وموناسير). وكان الجيش اليوغوسلافي الذي جرت تعبئته متأخرة والذي كان يضم ٣٠٠ ألف مقاتل تقريباً، كان تسليحهم رديئاً، عاجزاً عن حماية هذه الجبهة الواسعة، فتمكنت القوات الألمانية ـ الإيطالية من إنجاز واجباتها حتى يوم ١٧ نيسان ـ أبريل ـ دون أن تجابه مقاومة تذكر.

كان الوضع الأولي في اليونان مختلفاً؛ فقد كانت الفرق اليونانية في ألبانيا (وعددها ١٣ فرقة) تستند بجناحها الأيمن على بحيرات منطقة (أوخريدا). وكانت هناك ثلاث فرق في مقدونيا وبعض حاميات الحصون، قد احتلت مواقع حصينة ـ من حيث طبيعتها

الجغرافية - (وراء نهر نستوس وفي مضيق روبل). أما أقصى الجناح الأيسر لهذه القوات فكان يستند إلى (فيليس). وقد دعم هذا الخط الدفاعي بأبراج إسمنتية؛ وحواجز مضادة للدبابات، والأسلاك الشائكة والتحصينات الميدانية التي حولته إلى ما يشبه (خط ماجينو) ولو بشكل مصغر، وقد سمي هذا الخط باسم (خط ميتاكساس ،أو خط نستوس).

كان فيلق الحملة البريطانية المسمى (مجموعة ويلسون) ينتشر على بعد ١٢٠ كيلومتراً تقريباً إلى الجنوب الغربي من (خط ميتاكساس). وكان لا يزال يجلب وحداته على أحد المواقع بين كتلة جبل (الأولمب) يميناً و(فلورينا) يساراً؛ ماراً بمدينة (إيديسا). ولم يكن في الموقع يوم ٦ نيسان - أبريل - ١٩٤١؛ إلا الفرقة النيوزيلاندية وجزء من الفرقة الأسترالية السادسة وفرقتان يونانيتان ولواء مدرع. وكانت القوات الجوية الملكية البريطانية تضم ٩ أسراب، منها ٤ أسراب مقاتلة؛ أي ٨٠ طائرة؛ بالإضافة إلى بضع عشرات من الطائرات اليونانية؛ مقابل ثمانمائة طائرة ألمانية وثلاثمائة طائرة إيطالية.

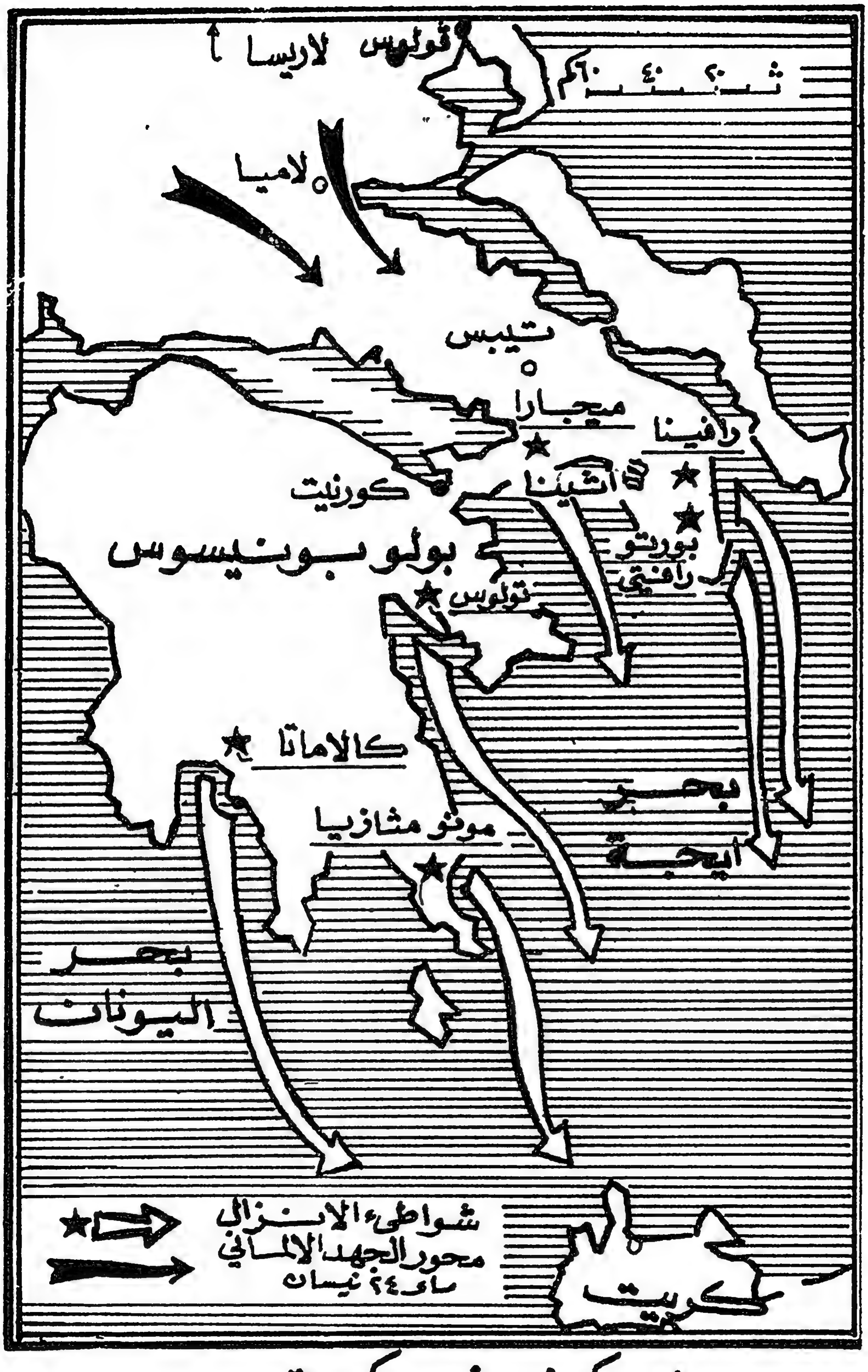
لقد سارت عملية نقل القوات البريطانية من مصر وليبيا بصورة بطيئة؛ بسبب تكوين هذه القوات من جهة؛ وبسبب الطبيعة الجغرافية لمسرح العمليات من جهة ثانية.

فالمعروف أن الجبال تغطي شبه الجزيرة اليونانية؛ وهي جبال تنفرج في الداخل عن بعض السهول مثل (لاريسا وتريكالا

وطيبة)، وتتخللها بعض الوديان السحيقة ذات الجوانب القائمة، ويخترق خط حديد (أثينا ـ سالونيك) أحد هذه الوديان، وهو خط كان أعجز من أن يلبي متطلبات الجيوش اليونـانية؛ أو يستجيب لاحتياجاتها. وكانت هناك أيضاً بعض الـطرق الجيدة التي تصلح لسير المـركبـات؛ ولكن بـاتجـاه واحـد؛ وطـرق أخـرى صـالحـة للعربات، ومسالك أو دروب لحيوانات الجـر. وكانت الـوحدات والأرتال البريطانية القادمة من الصحراء؛ تجد نفسها في بلد مختلف تماماً؛ فلا مجال لحرية المناورة كما كـان وُضعها في ليبيـا. ولا يمكن القيام بالحركات الواسعة أو السريعة؛ وكان لا بد لكل شيء من أن يأتي من المؤخرات.

ولحـل هذه المشكلة؛ تم تنـظيم سبـع (مستـودعـات ميـدانيـة للتمـوين) ضم كل مستـودع منها مـا يكفي لسبعة أيـام من المواد التموينية المختلفة، كما تم إنزال ما يكفي من الأغذية لمدة شهرين تقريباً (٥٨ يوماً)، وما يكفي من الوقود والزيوت لمدة (٣٨) يوماً، وكذلك ما يكفي من مخزون الأعتـدة والمهمات لمـدة (٧٠) يومـاً، بالإضافة إلى (١٤) ألف طن من الأعتدة الهندسية وذلك في يوم ١٦ نيسان ـ أبريل ـ . وقد تم إنزال كل هـذه الإمدادات تحت أنـظار ومراقبة أفراد السفارة الألمانية (التي بقيت حتى هـذا التاريـخ تحت ستار الحياد الوهمي لليونان) في حين كـان على الجنـرال (ويلسون) قائد قوات الحملة البريطانية أن يتنكر؛ وأن يلبس الثياب المدنية؛ لتفتيش واستطلاع المواقع التي ستتمركز فيها قواته.

أخذت الأحداث على مسرح اليونان بـالتسارع ـ عـلى نحو مـا



٩ - كورنيث وكريت

جرت في يوغوسلافيا ـ فقد اخترقت القوات الألمانية (خط ميتاكساس ـ أو خط نستوس) في الفترة ما بين ٦ و٩ نيسان ـ أبريل؛ ثم قامت بالالتفاف عليه من الغرب، كما تم الاستيلاء على (سالونيك). ووجدت القوات الألمانية أمامها (وادي موناسير) الفسيح والمؤدي إلى (فلورينا)، فاندفعت خلاله عبر الثغرة بين الجيش اليوناني ومجموعة ويلسون.

لم يعد أمام مجموعة ويلسون ـ اعتباراً من هذه اللحظة ـ إلا القيام بأعمال الانسحاب على مراحل متتالية. وبدأت المرحلة الأولى من هذا الانسحاب يوم ١٠ نيسان ـ أبريل ـ إلى خط جبل الأولمب ـ سرفيا ـ بحيرة برسبا، حيث احتلت هذا الخط يوم ١٤ منه. ولكن القوات الألمانية ما لبثت أن نجحت في اختراق جبال الالياكمون العليا (منطقة كاستوريا)، مما وضع خطوط المواصلات اليونانية والإنكليزية تحت تهديد القوات المهاجمة. فما كان من الجنرال ويلسون إلا أن اقترح القيام بانسحاب جديد لمسافة مائة كيلومتر أخرى؛ عن طريق سهل تساليا، إلى التيرمو بيلز. وكان هذا الاقتراح يمثل تراجعاً عن دعم الحليف الذي جاء من أجل تقديم المساعدة له، والتخلي عنه؛ بعد أن كان هو ذاته قد ألح على تقديم هذه المساعدة. وعلى كل حال؛ فإن الهجوم الألماني العنيف والسريع، لم يترك للجنرال ويلسون على ما يظهر أي خيار آخر؛ غير خيار الانسحاب.

وفي الواقع؛ فإن الجنرال (ويفل) كان قد بدأ منذ يوم ١٣

نيسان ـ أبريـل ـ في بحث مسألـة الجلاء عن اليـونان، وفي اتخـاذ التدابير الضرورية لسحب القوات؛ وإعادتها إلى مصر، بأسرع ما يمكن.

وقد جاءت الأحداث لتسهم بدورها في دفع القوات البريطانية للانسحاب بسرعة من اليونان. فقد أقدم قائد فيلق يوناني ـ وبدون الحصول على موافقة قائد جيشه ـ على التفـاوض مع قـائد الجيش الألماني ٢١ من أجل الاستسلام. وتم التوقيع على اتفاق الاستسلام هذا يوم ٢١ نيسان ـ أبريل ـ، فيما كانت (مجموعة ويلسون) تتابع انسحابها بصورة مستمرة تحت حماية ثلاثة مواقع تأخيرية ـ تعطيلية ـ وتحت غارات الطيران الألماني الذي استطاع أن ينقـل قواعـده إلى مواقع متقدمة. وتعـرض الطيـران البريـطاني للخسائـر الفادحـة؛ واضطر للتخلي عن قواعده ومطاراته في (تساليا) والانسحاب إلى قرب (أثينا). وتعرضت القوافل البريطانية لهجوم الطائرات الألمانية بالقنابل والرشاشات، ثم عادت (مجموعة ويلسون) إلى التمركز في التيرمو بيلز يوم ١٩ نيسان ـ أبريل ـ ولم يبق هناك أي أمل في تحقيق نوع من التوازن مع الألمان سواء في عمل القوات البرية أو في عمل القوات الجوية.

وقام الجنرال اليوناني (باباغوس) بتقديم طلب إلى البريطانيـين بالجلاء عن اليونان يوم ١٩ نيسان ـ أبريل ـ، ووافق (ويڤل) على هذا الطلب. وبدأت عملية سحب القوات في ليل ٢٤ ـ ٢٥ منه، تحت حماية لواء نيوزيلاندي في كريتري، ومفرزة في مواجهة جزيرة

أوبيـة. وقامت مفـرزة صغيرة بحمـاية الجسر القـائم فـوق (قنـاة كورنيث). واضطرت القوات البريطانية لركوب البحر عند أقصى الجنوب من شبه جزيرة البيلو بونيز ـ نظراً لانعدام الحماية الجـوية البريطانية ـ. واستغرقت عملية الجلاء مدة سبع ليال أمكن خلالها إجلاء (٥٠,٧٣٢) جندياً؛ دون مقاومة كبرى من جانب الألمان؛ فيما عدا إنزال كتيبتي مظليين على ضفتي قناة كورنيث، في يوم ٢٦ نيسان ـ أبريل ـ بهدف المحافظة على الجسر لعبور القـوات البريـة الألمانية؛ ولكن القوة الإنكليزية نجحت في تدمير الجسر.

وقد جاء تنفيذ عملية إنزال المظليين متأخـراً جداً، لأن معـظم القوات البريطانية كانت قد تجاوزته، ولم يتمكن المظليون الألمان من قـطع طريق الانسحـاب إلا عـلى بعض الـوحـدات التي بقيت في شمال القناة. ومع ذلك، فقد نجحت كل هذه الوحدات تقريباً في الفرار إلى الشرق. غير أن وصول رتل مدرع ألماني إلى (كالامـاتا) بصورة مباغتة (يوم ٢٨ نيسان ـ أبريل)، وذلك أثناء ركوب بعض الوحدات البريطانية والأسترالية والنيوزيلاندية اضطر بعض هـذه الوحدات إلى الاستسلام بعد معركة ضارية، ولم يتجاوز عدد الذين استسلموا على كل حال (٧) آلاف جندي.

لقد وقع انسحاب القوات البريطانية من اليونان وقع الصاعقة على الحكومة البريطانية، فهذه هي المرة الثانية التي تجد فيها نفسها مرغمة على التخلي عن حلفائها. كـانت المرة الأولى في (دنكـرك) وكانت المرة الثانية في اليونان. واهتزت هيبة (الأسد البريطاني) في

العالم كله ولكن حدود هذه الكارثة لم تقف عند حدود اليونان.

كانت بريطانيا بعد انسحابها من اليونان قد دعمت وجودها في (كريت)، هذه الجزيرة الكبيرة التي تمتد بطول ٢٢٠ كيلومتراً تقريباً؛ ويبلغ عرضها الأقصى ٦٠ كيلومتراً، وتمتد فيها من الغرب إلى الشرق سلسلة من الجبال الوعرة التي يصل ارتفاعها إلى ألفي متر. وقد جرى حمايتها بأربعة ألوية ومجموعة مختلطة و٤ كتائب يونانية و٦٨ مدفعاً مضاداً للطائرات و٢٤ نواراً كشافاً و٧ طائرات. كما كان البريطانيون قد أقاموا قاعدة بحرية في خليج (سودابي) مع مهابط للطائرات في ماليم وهيراكليون، وذلك لمواجهة أي تهديدات بصورة فورية. ولم يكن باستطاعة (ويفل) زج قوات كبيرة؛ وتشتيتها؛ للدفاع عن هذه الجزيرة التي كان تفكير القيادة البريطانية مركزاً على حمايتها ضد عمليات قصف بحري أو جوي لا أكثر. ولو أن هذه القيادة لم تستبعد احتمال إقدام الألمان على إنزال جوي أو بحري على الساحل، إلا أنها اعتمدت على طبيعة الجزيرة الصعبة لمقاومة أي هجوم من هذا النوع. وهذا ما أشار إليه تشرشل عندما كتب متفائلاً: «إن هجوماً ألمانياً بالقوات المحمولة جواً هو ما يطلبه الجنود النيوزيلانديون الذين يجيدون قتال الالتحام، والصراع لرجل ضد رجل، دون أن يستطيع العدو الإفادة من تفوقه بالدبابات والمدفعية».

ولكن الأعداء - الألمان - كان لهم تفكيرهم الخاص بهم؛ فبعد انتصارهم الحاسم في اليونان، رغبوا في تتويج انتصارهم باحتلال

(جزيرة كريت). وأسندت هذه المهمة إلى القوات الجوية الألمانية في منتصف شهر نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤١ بعد أن وافق عليها هتلر. وقام قائد الفيلق الجوي الحادي عشر (الجنرال شتيودنت) بدراسة العملية؛ وتنسيق أعمال الاستطلاع، ونقل القوات بالطائرات الشراعية وإنزال المظليين، مع عملية نقل بحري لإعداد وتجهيز وزج قوة من ٢٢ ألف جندي.

لقد كان معروفاً أنه لا يمكن تأمين النجاح لعمليات الإنزال الجوي أو الإنزال البحري ما لم يتم دعمها بسرعة بوسائط الدعم وبالأسلحة الثقيلة وبالإمدادات المتنوعة وخاصة الوقود والذخائر. ولهذا كان لا بد من تأمين مهابط للطائرات منذ البداية؛ ومن قبل أن ينقل جنود الوحدات الجبلية بالطائرات ـ وعددهم تسعة آلاف جندي جبلي ـ ، فيما يتم نقل الدبابات والمدافع والذخائر والتموين عن طريق البحر.

وهكذا؛ وبينما لم يتمكن البريطانيون من حشد أكثر من عشرات الطائرات على الأراضي اليونانية؛ قام الألمان بحشد ٢٢٨ طائرة قاذفة؛ و٢٠٥ طائرات قتال انقضاضي؛ و٢٣٣ طائرة قتال و٥٠ طائرة استطلاع و٥٠٠ طائرة نقل و٧٢ طائرة شراعية. وكان من الضروري توزيع الأسراب على عشرات المناطق والمطارات وتأمين تزويدها بالذخائر والوقود؛ وتنسيق عمليات إقلاعها بحيث تلتقي في الجو، وتتخذ تشكيلها؛ قبل الوصول إلى الهدف بمسافة كافية. وكانت القيادة البريطانية تتابع أولاً بأول هذه التحضيرات التي تم

اتخاذها على عجل؛ وعرفوا أن الهدف المحتمل لهذه الاستعدادات سيكون إما الاستيلاء على كريت أو قبرص.

بدأ الألمان هجومهم على كريت في يوم ٢٠ أيار - مايو - ١٩٤١ حيث تم إنزال ثلاثة ألوية من المظليين. وكان مخطط العمليات - الأولي - يهدف إلى إنزال المظليين في أماكن غير محمية؛ ولا مدافع عنها بقوات بريطانية؛ ولكن الافتقار للمعلومات الدقيقة عن التنظيمات الدفاعية البريطانية، جعل من الصعب تحقيق هذا الهدف، فتم إنزال المظليين بين كانيه وماليم؛ حيث المواقع الدفاعية البريطانية القوية. فوقعت معارك ضارية دفع الطرفان المتصارعان، البريطاني والألماني؛ ثمنها غالياً جداً ونزلت بهما خسائر فادحة بالقوات؛ ولم يتمكن أحد الطرفين من حسم الصراع لمصلحته. فقامت الطائرات الألمانية للنقل بعملية جريئة في اليوم الثاني؛ إذ قامت بالهبوط بحمولتها من الجنود على أرض جرى احتلالها؛ ولكنها كانت تحت رحمة نيران المدفعية البريطانية.

كانت القوات الألمانية التي وصلت عن طريق الجو إلى جزيرة كريت، تتوقع أن تتلقى دعماً من القوات البحرية الألمانية - الإيطالية؛ غير أن قائد أسطول شرق البحر الأبيض المتوسط (الأميرال كاننغهام) قرر أن يقوم بعملية (جرف ليلي) قرب سواحل كريت؛ وذلك رغم افتقاره للدعم الجوي. وكلف لهذه الغاية ثلاث مجموعات من الطرادات والمدمرات فيما بقي هو ومعه قوة بحرية رابعة في وضع انتظار الأسطول الإيطالي. ولم تتمكن أية قافلة ألمانية - إيطالية من الوصول إلى الجزيرة. وكانت أول قافلة

منها قد اصطدمت بقوة بحرية بريطانية فخسرت ٨٠٠ جندي من أصل ٢٣٠٠ جندي (بين قتيل وغريق) ودفع الأسطول البريطاني بدوره ثمناً غالياً في هذا الاشتباك، فقد خسر خمس مدمرات أخذت طريقها إلى عمق البحر.

ظهر (للجنرال ويڤل) أن قضية الدفاع عن جزيرة كريت؛ لم تعد أكثر من قضية وقت، لا سيما في مواجهة تفوق السلاح الجوي الألماني ـ لوفتووف ـ ذلك التفوق الساحق. فتقدم إلى رئاسات هيئات الأركان المشتركة باقتراح للانسحاب من كريت في يوم ٢٧ أيار ـ مايو ـ ووافقت (الرئاسات) على اقتراح (ويڤل) بصورة فورية. وشرع الأميرال (كوننغهام) باتخاذ الترتيبات لإجلاء القوات عن كريت. وقد تم تنفيذ العملية وسط صعوبات كثيرة؛ مع التعرض لمجازفات خطيرة؛ ولم يكن بالمستطاع تنفيذ هذه العملية لولا ما توافر للقوات البحرية من التصميم والجرأة؛ ولولا ما أظهره الجنود البريطانيون من انضباط رائع.

كانت معركة كريت بمثابة (مذبحة حقيقية)، فقد خسر البريطانيون خلال الصراع العنيف الذي استمر عشرة أيام فقط ١٨٠٠ قتيل و١٢ ألف أسير. وكانت القوات البريطانية في الجزيرة قبل المعركة قد ضمت ٣٢ ألف جندي بريطاني و١٠ آلاف يوناني؛ وأمكن إخلاء (١٨) ألف منهم فقط كان بينهم ١٥٠٠ جريح. كما خسرت البحرية الملكية البريطانية (أسطول كوننغهام) ١٨٢٨ قتيلاً و١٨٣ جريحاً وحاملة طائرات واحدة وأصيبت ثلاثة مراكب حربية

بـأعطال منعتهـا من العمل بـالإضافـة إلى ثـلاثـة طـرادات وست مـدمرات وغـرقت ستة طرادات أخـرى، كـذلـك أصيبت سبـع مدمرات بأعطال وضعتها خارج القتال. وخسر سلاح الجو الملكي البريطاني ٥٦ طائرة.

لم تكن خسائر الجانب الألماني في هذا الصراع بأقل من خسـائر الجانب البريطاني؛ فقد سقط عـلى أرض جزيـرة كريت (١٩٩٠) قتيلاً و(٢١٣١) جريحاً و(١٩٥٩) مفقوداً كما أسقط البريطانيون لهم ٢١٠ طائرات وأصابوا ١٤٨ طائرة أخرى بأعطال.

لقد دوى نصر الألمان السريع والحاسم دوي الصاعقة التي هزت العالم. فقد وصلت القوات الألمانيـة إلى مسافـة قريبـة من مصر، وباتت تتهدد الـوجود البـريطاني في منـطقة العـالم العربي وشمـال أفريقيا تهديداً خطيراً.

ولم يكن (الجنـرال ويڤل) هـو المسؤول بدهيـاً عن نتائـج هـذه الكـارثة الجـديدة، غـير أن أعباءهـا ونتائجهـا وقعت على كـاهله بالدرجة الأولى. فقد بات لزاماً عليه وضع التهديد الجديد موضع الاعتبار في كل عمل من الأعمال السياسية والقتالية. ولم تكن هذه هي مشكلته؛ وإنما كانت المشكلة الأساسية هي في افتقاره للقوى والوسائط الضرورية لمجابهة هذه التحديات جميعها. ولقد ظهر له ذلـك بوضـوح تام من خـلال التطورات التي جـرت على مسـرح الأعمال القتالية في (ليبيا). فقـد أخذت ألمـانيا عـلى عاتقهـا ـ هنا أيضاً ـ أعباء إدارة الحرب وقيادتها وبات ميزان القوى يميل تدريجياً

لمصلحة دول المحور (ألمانيا ـ إيطاليا). وقد حاول (ويڤل) دعم قواته بكل ما هو متوافر لديه، كما تلقى وعداً من (تشرشل) بإمداده بما يحتاجه، غير أن عملية الإمداد أخذت شكلاً معقداً للغاية بسبب هيمنة ألمانيا ـ إيطاليا على وسط البحر الأبيض المتوسط. وكان لا بد لذلك كله من أن ينعكس على (ويڤل) وعلى نهج إدارته للحرب.

١٠ ـ وداعاً يا مصر

ما إن أوقف (ويڤل) عملياته في ليبيا، ونقل ثقل قواته إلى (اليونان)، وانصرف لمعالجة مشكلاته في القرن الأفريقي والعراق وسوريا، حتى بدأ التحول المضاد على مسرح عمليات ليبيا، فقد كان هجوم (ويڤل) في ليبيا؛ ووصوله إلى حدود (بن غازي) بمثابة تحد للمحور؛ وليس لإيطاليا وحدها.

وقرر هتلر قبول التحدي، فعين (رومل) قائداً للفيلق الأفريقي. الذي قرر إرساله إلى ليبيا في يوم ٦ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤١. ووصل رومل إلى طرابلس في يوم ١٢ شباط ـ فبراير ـ وشرع على الفور بدراسة الأسباب والعوامل التي أدت إلى هزيمة الإيطاليين مثل تلك الهزيمة البشعة. وقد كتب فيما بعد: «على القائد العسكري أن يطلب ـ بإصرار ـ أن يبذل الجميع أقصى جهد ممكن. وينبغي عليه أن يبعد ـ بلا رحمة ـ كل من يستلم منصباً حيوياً ولا يقدم الجهد المطلوب منه؛ ولا يملك فهماً لمشاكل العمليات ومسائل تنظيمها. وعلى القائد أن يعمل منذ البداية حتى يقدم هيئة أركانه أقصى مردود؛ وأن لا يسمح بأي تمهل أو إبطاء في العمل».

وعلى الرغم من أن روميل كان يهتم دائماً بالمشكلات التعبوية ـ التكتيكية ـ وإدارة العمليات إلا أنه لم يكن يهمل الشؤون الإدارية والفنية، ولكنه كان يرى بأن هذه الشؤون يجب لها ألا تشكل عقبة أبداً. وكان يجابه الضباط الإداريين الذين يبرزون العقبات والعراقيل «بدلاً من التصرف بامكاناتهم المتاحة ووسائطهم المتيسرة». وكان من رأيه أنه يجب على القائد تكوين فكرة شخصية واضحة عن الامكانات الحقيقية لأجهزة إمداده وتموينه؛ وأن يضع طلباته في العمليات بالاستناد إلى تقديره الشخصي.

لقد وصل روميل إلى طرابلس؛ وكان كل شيء غريباً عليه؛ مسرح العمليات؛ والقوات؛ وكانت قوات الفيلق الأفريقي (فرقة البانزر ١٥ والفرقة الخفيفة الخامسة) قد بدأت بالوصول إلى طرابلس منذ اليوم الأول من شهر شباط ـ فبراير ـ، فأخذ منذ يوم ١٦ شباط ـ فبراير ـ بدفع دورياته الاستطلاعية لارتياد الجبهة الواقعة على بعد خمسمائة كيلو متر إلى الشرق من طرابلس. وتمكن في مطلع آذار ـ مارس ـ من نقل قواته حتى مسافة ثلاثمائة كيلو متر نحو الشرق. ولم يلق مقاومة تذكر لأن (ويڤل) كان قد سحب الفرقة البريطانية السابعة إلى مصر ودفع مكانها نصف قوة الفرقة المدرعة الثانية التي كانت قد وصلت حديثاً من بريطانيا. كما حلت الفرقة التاسعة ووحدتان غير متمرستين بالحرب محل الفرقة الأسترالية السادسة. وكان ذلك من حسن حظ (روميل) الذي أصبح يمارس قيادته على قوات الفيلق الأفريقي بالإضافة إلى القوات الإيطالية المكونة من فرقة مدرعة غير كاملة وأربعة فرق من

المشاة المدعمة بالمدفعية. كما تم دعم روممل بالفيلق الجوي الألماني العاشر الذي ضم ٥٠ طائرة قاذفة منقضة ـ الشتوكا ـ و٢٠ طائرة قتال، بالإضافة إلى دعم الطيران المتمركز في صقليا؛ والذي كان يستخدم طائرات الجونكرز والهينكل ١١١.

كان الهجوم في الصحراء يتطلب دعماً إدارياً، وإقامة مستودعات متقدمة بالقرب من الخطوط الأمامية، ولكن (روممل ـ وهو القائد الاستراتيجي والتكتيكي) لم يشغل نفسه أكثر من اللازم بحل المسائل الإدارية؛ وكان في حاجة ملحة إلى تأمين الامدادات الضرورية في الأمكنة التي كان يريدها. غير أن جهل القادة في هيئة أركانه بنواياه ومخططاته؛ بصورة مستمرة؛ جعل مهمة المصالح والأجهزة الإدارية شاقة وصعبة للغاية.

كان (الجنرال ويڤل) قد تنكب مخاطر هائلة عندما أرسل بمعظم قواته إلى اليونان ولم يترك في برقة إلا فرقة مشاة ونصف فرقة مدرعة. وكانت كل القرارات التي اتخذت في تلك الحقبة مميزة بالمجازفة؛ فقد اعتقد (ويڤل) في شهر شباط ـ فبراير ـ أنه ما من خطر ألماني يستطيع تهديد المنطقة قبل شهر أيار ـ مايو ـ. وأدرك في شهر آذار ـ مارس ـ أنه كان مخطئاً في اعتقاده، غير أن عامل الوقت كان قد تجاوزه؛ فلم يتمكن من القيام بأي عمل لمواجهة الخطر الذي بات يقترب منه بسرعة مذهلة.

شن (روممل) أول عملية هجومية على الطريق الساحلي في اليوم الأول من شهر نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤١، وشعر فوراً بضعف

البريطانيين في (مرسى البريقة)، فزج بأربع مجموعات قتالية في برقة؛ وسرعان ما حصل على بعض النتائج الحاسمة. فقد تراجع البريطانيون عن (بن غازي) يوم ٣ نيسان - أبريل -، وتم أسر القائدين البريطانيين نيم وأكونور في يوم ٧ منه؛ وأمكن احتلال البردية والسلوم في يومي ١٠ و١١ نيسان - أبريل -. وكان رد الفعل الإيجابي الوحيد الذي قام به (ويفل) في يوم ٨ نيسان - أبريل - هو دعم الحامية المدافعة عن (طبرق) وتحويلها إلى مركز دفاعي حصين بجانب القوات الألمانية، مما يسمح له بكسب الوقت، وبحرمان الألمان مما هو متوافر في طبرق من مستودعات تموينية ضخمة ومن موارد مائية، ثم من الميناء الذي يمكن الإفادة منه لتأمين الإمدادات الإدارية.

ولقد برهنت الأحداث على صحة تقدير (ويفل) للموقف؛ فقد تمكنت الحامية المدافعة عن طبرق (وعدد أفرادها ٢٤ ألف مقاتل) ومعظمها من الأستراليين، من صد هجمات الفرقة الألمانية الخفيفة الخامسة؛ التي ظهر من خلال القتال أنها لم تكن قد فهمت بعد الخصائص المميزة لهذه الحرب، مثل البحث عن مركز الثقل في الدفاع، وزج كل القوى والوسائط ضده؛ والقيام باختراقه، ثم توسيع جبهة الخرق بصورة مباغتة وقبل أن تتاح للحامية المدافعة فرصة إعادة التوازن لجبهتها الدفاعية.

قدمت تجربة الحرب خلال هذه المرحلة مستجدات حديثة لأساليب (الحرب التقليدية) خالفت بها نهجها (التقليدي)،

وأصبح الهجوم فيها مرتجلاً. وقد كتب رومل في تلك الفترة ما يلي: «كان الهجوم يتطلب أقصى حد من المبادأة من الجميع. وكان بعض القادة يصرون على تجميد وحداتهم لإملاء خزانات وقود المركبات، وتأمين الإمداد بالذخائر. وتشكل المهلة الزمنية المخصصة لتنفيذ إحدى العمليات بالنسبة لقائد الوحدة عاملاً إلزامياً مطلقاً لتنفيذ الواجب. وغالباً ما تكون الحيوية التي يبرهن عليها قائد من القادة ذات أهمية أكبر من مواهبه الفكرية». وكان (رومل) قائداً يتدفق بالحيوية والقوة وعندما يتوطد مثل هذا الاتصال الإنساني بين القائد وقطعاته؛ فإن هذه القطعات تنفذ كل ما يطلب منها.

لقد ظهر للقيادة البريطانية العليا أنه من الضروري دعم (ويڤل) بالطائرات والدبابات مهما كان الثمن؛ ومهما بلغت التضحيات. فأرسلت قافلة حملت اسم النمر (تايغر) عملت على حراستها قوة غرب المتوسط البحرية (هـ) فيما تحرك أسطول شرق البحر الأبيض المتوسط من الاسكندرية لاستقبال هذه القافلة التي عبرت مضيق جبل طارق يوم ٦ أيار ـ مايو ـ ١٩٤١.

وتم اللقاء بين أسطولي الحراسة على بعد ثمانين كيلومتراً إلى الجنوب من (مالطا) في يوم ٩ أيار ـ مايو ـ ووصلت القافلة المكونة من أربع سفن تجارية وثلاث قطع حربية إلى الاسكندرية؛ وأنزلت فيها ٢٣٨ دبابة و٤٣ طائرة ـ هاريكان ـ. وأفاد (ويڤل) من هذا الدعم فزج ٥٣ دبابة عند (ممر حلفايا) يوم ١٥ أيار ـ مايو ـ غير أن القوات الألمانية هاجمت قواته وطردتها من (ممر حلفايا) يوم ٢٧ أيار ـ مايو ـ.

وقام رومل بعد ذلك بمجموعة من الهجمات الجبهية التشتيتية في الساعة ١٤٠٠ من يوم ٢٦ أيار ـ مايو، ونجح في تضليل البريطانيين عن نواياه وأهدافه، ففي هذا الوقت كانت هناك ٥٠٠ دبابة بانزر تنتظر هبوط الليل للقيام بحركة استدارة واسعة، لتصل عند الفجر إلى نقطة تقع على بعد ١٥ كم إلى الجنوب الشرقي من (بئر حكيم)، ثم لتعود في سيرها متجهة نحو الشمال؛ مما ساعدها على الالتفاف حول حقول الألغام، وحققت بذلك مباغتة تامة. غير أن الدبابات الألمانية المحرومة من دعم المدفعية، فقدت الاتصال فيما بينها، وتشتت هيئة أركان رومل، وقامت الوحدات الاحتياطية البريطانية بهجوم مضاد. واستطاعت أربع كتائب فرنسية من قوات فرنسا الحره (الديغوليين) أن تتمسك بالأرض المحيطة ببئر حكيم؛ وأن تدافع عنها بعناد، وفقد رومل سيطرته على العمليات لبعض الوقت. وظهرت صعوبة تفرق الوحدات في محيط الصحراء الواسع؛ حيث لا وجود للنقاط الموجهة، ولا وسائط للارتباط. وقام (رومل) بنشاط مذهل كاد يكون معجزة، وظهر له الموقف بشكل واضح في فجر يوم ٢٩ أيار ـ مايو ـ فأعاد جمع القسم الأكبر من قوات الفيلق الأفريقي. وتعرضت (بئر حكيم) لهجمات متتالية طوال عشرة أيام، غير أن القوات الفرنسية والبريطانية المدافعة عنها صمدت صموداً رائعاً، بفضل استخدامها للحفر الفردية ولمواقع الرشاشات؛ وللمدافع المضادة للدبابات والألغام استخداماً ماهراً؛ بحيث أنها لم تتأثر كثيراً بالهجمات المتواصلة للطيران الألماني.

لم تكن (بئر حكيم) أكثر من حبة رمل في تلك الصحراء المترامية الأطراف، ولكن القوات البريطانية قاتلت بعناد مماثل أيضاً في كل الأمكنة الأخرى، فتبدد حلم روميل بإمكان حسم الصراع خلال أربعة أيام. ونجحت القوات الألمانية باقتحام دفاعات (طبرق)، وتطويقها اعتباراً من يوم ٢٩ أيار - مايو(*) وتبع ذلك انسحاب القوات البريطانية من (بئر حكيم) في ليل ١٠ - ١١ حزيران - يونيو - ولم يحصل الألمان على أكثر من (٥٠٠) أسير. كما ساعدت تدابير الانتشار والإخفاء والتمويه في أكثر من (١٢٠٠) موضع قتالي، على حماية القوات، بحيث إنها لم تفقد خلال هذا الصراع المرير أكثر من ٧٦ قتيلاً أثناء الحصار، بالإضافة إلى ٤١ قتيلاً سقطوا أثناء الانسحاب النهائي.

(*) تمت عملية احتلال طبرق - بإيجاز - على النحو التالي: قام روميل بتنظيم مجموعة من المناورات والتحركات على خطوط المواصلات بين القسم الأكبر من القوات البريطانية القائمة على حماية نطاق الدفاع الخارجي لطبرق، وتمكن من تطويق بعض الوحدات؛ إلا أن هذه الوحدات نجحت في اختراق دائرة الحصار والتطويق. ثم أجرى (روميل) التحضيرات للهجوم الشامل، بعد تنفيذ عدد من الأعمال الخداعية والتضليلية، وشن هجومه في يوم ٢٠ حزيران - يونيو - ١٩٤١ على القطاع الجنوبي - الشرقي من جبهة طبرق، ودعم الهجوم المركز بمئات من قاذفات القنابل، وأمكن إحداث ثغرة بعد ساعتين من القتال العنيف. وتم الاستيلاء على المدينة والمرفأ في مساء اليوم ذاته، وأسرت الحامية البريطانية بكاملها وقد ضمت ٤٥ ألف أسير، بالإضافة إلى الاستيلاء على ألف مركبة مدرعة و٤٠٠ قطعة مدفعية، وكميات ضخمة من الأعتدة والمواد التموينية. وقد رفع (روميل) في اليوم التالي لهذا النصر الكبير إلى رتبة (فيلد مارشال).

لقد أصيبت القطعات الألمانية بالإنهاك والتعب الشديد؛ بعد تلك المسيرات الطويلة؛ والأعمال القتالية الشاقة؛ وكان رومل يفتقر للدبابات؛ ويعاني من أزمة الوقود التي كانت تتهدد مركباته بالشلل، فيما كانت ٥٦٠ طائرة بريطانية تشن هجماتها باستمرار على قواته. وبالرغم من ذلك كله؛ فقد أمر قواته بمتابعة التقدم؛ لمطاردة القوات البريطانية بعنف وبدون هوادة. غير أن هذه المطاردة لم تحقق ما كان يريده رومل، إذ لم تتمكن قواته أبداً من تطويق قوات بريطانية كبيرة؛ وتمكنت قوات المشاة البريطانية من اجتياز الخطوط الألمانية المتتالية، إلى أن وصلت إلى الخط الدفاعي الذي جهزه (ويڤل) مسبقاً على ارتفاع (العلمين).

وهناك؛ وعلى بعد ٤٨٠ كيلومتراً إلى الشرق من طبرق، وعلى بعد تسعين كيلو متراً فقط إلى الغرب من مدينة (الاسكندرية)، دارت أعنف المعارك وأشدها ضراوة - اعتباراً من يوم ٢٧ حزيران - يونيو - فقد أخذ الصراع بين الطرفين شكل (الصراع المصيري). وكانت مدينة الإسكندرية تشكل إغراء مثيراً بالنسبة لرومل وقواته؛ فيما كانت تعني مصير الأمبراطورية البريطانية بالنسبة للجنرال (ويڤل). ولهذا لم يكن غريباً أن يصل الصراع إلى ذروة عنفه وقمة شدته. ولقد حاول (رومل) اختراق النطاق الدفاعي للعلمين مستفيداً من قوة اندفاعه، غير أن الشؤون الإدارية والمواد التموينية أحبطت محاولته. وأسهمت العطالة الغريبة للبحرية الإيطالية إسهاماً كبيراً بهذا الاحباط؛ وذلك بسبب تمهلها الكبير بنقل الامدادات، حتى أن ما وصله من الامدادات في شهر حزيران

ـ يونيو ـ بكامله، لم يتجاوز ٣ الآف طن؛ في حين كانت احتياجاته الحقيقية ومتطلبات قواته تتجاوز (٦٠) ألف طن.

وبالرغم من ذلك؛ أطلق رومل هجوماً جديداً في يوم ١ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤١ ،ودارت المعركة في جنوب ـ شرقي العلمين . وتمكن النيوزيلانديون من مباغتة الفرقة الإيطالية (آرييت) التي لم تلبث أن فقدت ٢٨ مدفعاً من أصل مدافعها البالغ عددها ٣٠ مدفعاً . ولم يكن لدى كل فرقة البانزر أكثر من ٥٠ دبابة. ولم تعد قوة فوج المشاة تزيد على ٣٠٠ رجل ـ أي إن كل فوج قد فقد في القتال نصف قوته ـ ومع ذلك فقد تجدد الهجوم في ليل ٨ ـ ٩ تموز ـ يوليو ـ على الجناح الجنوبي للموقع . ثم تجدد أيضاً بعد هجوم مضاد بريطاني على امتداد الطريق الساحلي بتاريخ ١٣ و١٤ أيضاً . وكانت جهود (ويفل) مركزة على إيقاف تقدم (رومل) بأي ثمن.

وتم الوصول إلى هذا الهدف أخيراً يوم ٢٢ تموز ـ يوليو ـ وكان الثمن الذي دفعه البريطانيون فيما بين ٢٦ أيار ـ مايو ـ و٣٠ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤١ قد زاد على ٦٠ ألف أسير وألفي دبابة أو مركبة مدرعة مدمرة، علاوة على آلاف المركبات التي استولى عليها الألمان وهي في حالة جيدة. وخسر الألمان مقابل ذلك ٢٣٠٠ قتيل و٧٥٠٠ جريح و٢٧٠٠ أسير.

وهكذا توقفت الأعمال القتالية، غير بعيد عن مشارف دلتا النيل. وانصرف كل طرف من الطرفين لتضميد جراحه وإعادة تنظيم قواته؛ والاستعداد للجولة القادمة.

لقد بذل (ويڤل) كل جهد ممكن لإيقاف المد الألماني المتعاظم على جبهة الشرق؛ سواء في اليونان أو في جزيرة كريت أو في ليبيا. وقاد المعركة الدفاعية على كافة الجبهات بكفاءة عالية، وأمكن له تحقيق نوع من التوازن في القوى على جبهة العلمين. ولكن (تشرشل) اتخذ قراراً حاسماً بإجراء تغيير شامل في الموقف بما في ذلك نقل القادة ـ فنقل (ويڤل) إلى الهند، وحل محله القائد الأعلى للقوات البريطانية في الهند (الجنرال أوكنلك)، في ١ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤١. ولم يكن ذلك نتيجة لقصور في كفاءة (ويڤل) أو تقصير منه في أداء الواجب ـ على نحو ما سبقت الإشارة إليه في المقدمة (مما قيل في الفيلد مارشال ويڤل) ـ. وقد رافق هذا التغيير دعم جبهة مصر بالجيش الثامن وبقوات ووسائط متفوقة؛ مما حمل تشرشل بعد ذلك على القول:

«لقد أنشأنا من جديد وبعثنا جيشاً مهزوماً؛ عندما وضعنا جيشاً جديداً إلى جانبه. ولقد ظلمنا هذا الجيش وقادته؛ الذين تعاقبوا على قيادته في الأوقات العصيبة».

وغادر (ويڤل) مقر قيادته في القاهرة، ولا ريب أنه كان وقتها يشعر بالحزن لهذا الفراق. لقد عاش طويلاً في هذه المنطقة، وعرفها حق المعرفة؛ وحقق فيها أمجاداً عسكرية ضخمة لم تنتقص من قيمتها أو أهميتها ما تبعها من الهزائم. فوداعاً يا (أم الدنيا) وداعاً لا لقاء بعده، تماماً كما قالها ملك الروم قبل خمسة عشر قرناً تقريباً عندما خرج من بلاد الشام مهزوماً مدحوراً مذموماً.

١١ ـ العودة إلى الهند

وعاد (ويڤل) إلى الهند؛ وشتان بين الهند بالأمس، يوم كانت بريطانية قليلة في عددها؛ متفوقة بوسائطها القتالية؛ أن تفرض وجودها على القارة الكبيرة، وبين اليوم حيث اهتزت الأرض بعنف تحت أقدام البريطانيين في كل مكان؛ وإذا كان من نصيب (ويڤل) أن يجابه التوسع الألماني ـ الإيطالي في منطقة العالم العربي، فقد بات لزاماً عليه أن يواجه التوسع الياباني في آسيا.

ولقد كان دفاعه ضد دول المحور (الألمان والإيطاليين) هو في جانب من جوانبه من أجل الدفاع عن الهند، أما الأن؛ وبعد أن عين قائداً عاماً للقوات البريطانية في الهند؛ فقد بات لزاماً عليه الدفاع عن الهند ذاتها. ولم يكن ذلك بالأمر السهل بعد أن فرض اليابانيون وجودهم بقوة على أقاليم واسعة في آسيا؛ وبعد أن أكدوا مرة أخرى أنهم مقاتلون أشداء، توافرت لهم قيادة على درجة عالية من الكفاءة.

كانت القوات اليابانية قد هيمنت على (منشوريا)[١] واجتاحت

---

(١) منشوريا: (MANDCHOURIE) إقليم جبلي في أقصى أقاليم الشرق الأقصى في آسيا ـ في شمال الصين ـ وهو يشكل إقليماً من أقاليم الصين. وتبلغ مساحته مليون و٥٥ ألف كيلومتر مربع (١,٠٥٥,٠٠٠) ومن مدنه الرئيسة موكدن (أوشن يانغ) و(تشانغ تشون). ويتوافر في منشوريا موارد زراعية هامة وموارد زراعية ـ صناعية والغابات والثروة الباطنية (كالبترول والذهب والنحاس والحديد والفضة والرصاص). ولهذا نهضت بها صناعات ضخمة. =

مساحات شاسعة من الصين ، والغريب في الأمر أن بريطانيا لم تشعر منذ ذلك الوقت بدق جرس الانذار المبكر الذي قرعته اليابان في أقاصي الشرق. فقد احتلت منشوريا منذ سنة ١٩٣١ ، ثم أخذت في التوسع على حساب الصين فاستولت على غيهول سنة ١٩٣٣ وشاهار وسويان سنة ١٩٣٦ . وقد ظهر وقتها أن الصين قد استسلمت لليابان، غير أن (تشانغ كاي شيك) القائد الصيني الشهير كان قد أخذ في إعداد العدة لمثل هذه المجابهة؛ وما لبث أن أعلن الحرب على اليابان في سنة ١٩٣٧ ، وكان لديه يومها أكثر من ٢٠٠ فرقة وفي كل منها ١٢٦٠ بندقية، بالإضافة إلى جيش الكومنتانغ الذي ضم ٣٠٠ ألف جندي. وهذا يعني ببساطة أن الحرب على جبهة الشرق؛ قد سبقت الحرب على جبهة الغرب بفترة عقد من الزمن؛ كانت آلة الحرب اليابانية تتطور خلالها باستمرار؛ تحت سمع العالم الغربي وبصره. ولكن كانت السياسة الاستراتيجية البريطانية لا تجد مانعاً من هذا التطور، طالما أنه لم يتجاوز الحدود التي تهدد مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية.

ولكن اليابان مدفوعة بعامل البحث عن (المجال الحيوي)

= ولقد اجتاحت الصين إقليم منشوريا في القرن السابع عشر؛ ونصبت على عرش الإقليم أحد أفراد عائلة (تسينغ) التي بقيت تحكم حتى القرن العشرين حيث طالب الإقليم بمنحه الاستقلال، وحصل عليه سنة ١٩٣٢ . واجتاحته القوات اليابانية في بداية الحرب العالمية الثانية؛ ثم عاد إلى الصين بعد انتهاء هذه الحرب. وحصلت روسيا على بعض القواعد الهامة سنة ١٩٤٥ .

لمعالجة التفجر السكاني الفائض في بلادها؛ ومدفوعة أيضاً بعامل (تعاظم القدرة العسكرية) تجاوزت الحدود المتوقعة لتوسعها؛ وأخذت بتوجيه تهديداتها إلى المصالح البريطانية خاصة؛ وإلى المصالح الغربية عامة؛ من خلال الشعار الذي أطلقته؛ وأخذت في العمل لتحقيقه وهو (آسيا للآسيويين)، وذلك من أجل طرد الأوروبيين واحتلال مكانهم في مجال التوسع الاستعماري.

وقد أفادت اليابان من انضمامها للمحور؛ ومن تبعية (الهند الصينية)[1] لحكومة فيشي؛ فاتفقت مع حاكمها لاستثمار موقع الهند الصينية والتعاون معه. وباتت مستعدة وجاهزة لغزو أقاليم جنوب شرقي آسيا وطرد الدول الاستعمارية منها؛: وهي بريطانيا والولايات المتحدة والبلاد المنخفضة ـ هولندا ـ والبرتغال. وكان بوسعها أن تهدد (ماليزيا)[2] مباشرة كما باتت (الفيليبين) تحت

---

(١) الهند الصينية: (INDOCHINE) هي شبه جزيرة كبرى في جنوب شرق آسيا ـ بين الهند والصين ـ. يحدها من الشمال خليج البنغال؛ ومضيق ملكا MALACCA وبحر الصين. وكانت فرنسا هي التي أطلقت اسم الهند الصينية منذ سنة ١٨٨٨ على اتحاد المستعمرات والمحميات التي أخضعتها لاستعمارها وهي كوشينشين COCHINCHINE وكامبوديا CAMBODGE وأنام ANNAM وتونكين TONKIN ثم ألحقت بها في سنة ١٨٩٣ إقليم لاوس LAOS ـ ثم إقليم كوانغ تشيو وان KOUANG - TCHEO - WAN سنة ١٩٠٠. وقد اجتاحتها اليابان سنة ١٩٤١، ثم استعادت فرنسا السيطرة عليها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥، إلى أن قامت الثورة الڤييتنامية فحررتها وأصبحت تحمل اسم (ڤييتنام).

(٢) ماليزيا: (MALAISIE) دولة تقع في شبه جزيرة ملكا MALACCA ـ في آسيا الاستوائية ـ وتتبع لها جزر سوند ومولوك MOLUQUES ـ وسيليبس CELEBES =

قبضتهـا بفضل سيـطرتها عـلى (فورمـوزا). وكانت اليـابان تمتلك قواعد في الجزر التي حصلت عليها في أعقاب الحرب العالمية الأولى وهي جزر (ماريان والكارولين ومارشال) في قلب المحيط الهادي. وبذلك وجدت القوات اليـابانيـة نفسها عـلى مقربـة من القواعـد البديلة الوحيدة التي كانت تمتلكها الولايات المتحدة الأمريكية وهي جـزر (غـوام؛ وويـك؛ وميـدواي؛ وغينيـا الجـديـدة؛ وأرخبيـل سليمان). وبذلك كانت اليابان تمتلك إمكانات استراتيجية واسعة جداً، وتمتلك أيضاً الوسائل الكافية: فعلى مستوى القوات البحرية كان لدى اليابان ١١ دارعة (اثنتان منها بحمولة ٦٣ ألف طن) و١٨ طـراداً ثقيلاً؛ و١٨ طـراداً خفيفاً؛ و١٠ حـاملات طـائرات و١٣ مدمرة و٦٣ غـواصة. وكـانت الولايـات المتحدة تحشـد في المحيط الهادي ٩ دارعات و١٣ طراداً ثقيلاً و١١ طراداً خفيفاً و٣ حاملات طائرات و٨٠ مدمرة و٥٦ غواصة. ولم تكن الفـوارق بين القـوتين كبيرة.

ولكن؛ ومقابل ذلك؛ فإن التوازن مع بريطانيـا العظمى كـان مفقوداً؛ إذ لم يكن لدى بريطانيا في المحيط الهادي إلا دارعتان تم إرسـالهما من بـريطانيـا في وقت متأخـر وهما: (بـرنس أوف ويلز) و(ريبولس).

= وبورنيو والفيليبين. وقد أقـامت ماليـزيا نـظاماً اتحـادياً سنـة ١٩٤٦ تحت اسم INSULINDE ضم الدول الماليزية التسعة التي باتت مساحتها تبلغ ١٣٢ ألف كيلو متر مربع وعاصمتها كوالا لامبور. وكانت بريطانيا قد استعمرت شبه جزيرة ملكا وبورنيو وجزيرة لابوان، وأخضعت بقية الجزر لهيمنتها.

وكذلك الأمر بالنسبة للبلاد المنخفضة ـ هولندا ـ التي كان لديها هناك ٣ طرادات خفيفة و٧ مدمرات و١٣ غواصة.

وكان العامل الأكثر أهمية هو أن القوات اليابانية كانت تعمل تحت قيادة واحدة؛ فيما كانت كل من القوى الأمريكية والبريطانية والهولندية مستقلة كل عن الأخرى استقلالاً تاماً، ولا تخضع إلا لقيادتها. فكان من المحال تجميع هذه القوات؛ وحملها على العمل المشترك.

وكان الوضع مماثلاً بالنسبة للقوات الجوية ـ الطيران ـ. فقد كانت اليابان تمتلك أربعة آلاف طائرة مقابل أربعمائة طائرة أمريكية في (هاواي)[1] و١٨٠ طائرة في الفيليبين و٢٠٠ طائرة تقريباً على متن حاملات الطائرات. وكان هناك ٤٠٠ طائرة بريطانية و١٠٠ هولندية. أما في القوات البرية فكان ميزان القوى لمصلحة اليابان متفوقاً بمعدل عشرة إلى واحد.

واستناداً لهذا التفوق الساحق؛ وضعت اليابان خطتها التوسعية؛ غير أنها كانت تخشى الاصطدام بالقوات الأميركية في وقت غير مناسب. فقد كان معروفاً أن الولايات المتحدة الأمريكية قد شرعت في تقديم دعم غير محدود لبريطانيا؛ رغم أنها لم تعلن

---

(١) هاواي: (HAWAII) أو ساندويش: (SANDWICH) جزيرة في الأرخبيل البولينيزي (POLYNESIE) وتقع عند الحدود القصوى ـ الخارجية ـ للولايات المتحدة الأميركية منذ سنة ١٨٩٨ وتبلغ مساحتها (١٦,٧٠٠) كيلومتراً مربعاً وعاصمتها هونولولو (HONOLULU) في جزيرة أواهو: (OAHU)

الحرب على دول المحور؛ ولهذا بادرت بتوجيه ضربتها إلى الأسطول الأمريكي في (بيرل هاربور)[1] يوم الأحد ٧ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١، حيث هاجمت بين الساعة ٧,٥٥ والساعة ٩,٤٥ بقوة جوية ضخمة بلغ عدد طائراتها ٣٦٠ طائرة، أقلعت من ست حاملات طائرات انتشرت على بعد ٣٠٠ كيلو متر تقريباً من الهدف، وكانت النتيجة إغراق ٨ دارعات أمريكية و٨ طرادات وعدد من السفن البحرية الأمريكية، مقابل خسارة ٣٠ طائرة يابانية و٦ غواصات.

وكان من الصدف الغريبة أن حاملات الطائرات الأمريكية التي كانت هي هدف الهجوم لم تصب بأي أذى بسبب وجودها بعيداً عن الميناء عند وقوع الهجوم ـ حيث كانت تجري مناورات بحرية ـ. وليس من المعروف ما إذا كان غيابها مجرد مصادفة أم كان نتيجة معلومات توافرت للقيادة الأميركية، فسحبت القسم الأول من قواتها البحرية، وأبقت بعض القطع عن عمد حتى تستثير بها الرأي العام الأميركي، وحتى تدفعه إلى الحرب. وهكذا كانت الضربة اليابانية قاسية إلا أنها لم تكن قاضية.

لم تلبث يد اليابانيين أن وصلت إلى الدارعتين البريطانيتين (ريبولس والبرنس أوف ويلز) اللتين تم اغراقهما في يوم ١٠ كانون

---

(١) بيرل هاربور: خليج في جزر هاواي (PEARL - HARBOR) اكتسب شهرته الكبرى بسبب هجوم الطائرات اليابانية على الأسطول الأميركي في يوم ٧ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١.

الأول ـ ديسمبر ـ وتبع ذلك قيام القوات اليابانية باجتياح (سيام)[١].

وتتابعت الكوارث بسرعة مذهلة؛ فقد سقطت جزيرة غوام في قبضة اليابانيين، الذين ما لبثوا أن أنزلوا قواتهم في (لوزون)[٢] يوم ١٠ كانون الأول ـ ديسمبر أيضاً. ثم تبع ذلك إنزال آخر في شمال (بورنيو)[٣] في يوم ١٦ كانون الأول ـ ديسمبر ـ واستولت القوات اليابانية على جزيرة (ووك) يوم ٢٤ منه ثم هونغ كونغ يوم ٢٥ منه[٤]. **فماذا يستطيع الجنرال ويڤل أن يفعله في مواجهة مثل هذا**

---

(١) سيام: (SIAM) اسم قديم لمملكة آسيوية استوائية في القسم الغربي من شبه جزيرة الهند الصينية، ومساحتها ٥١٤ ألف كيلو متر مربع. وقد استعادت هذه المملكة بعد استقلالها في سنة ١٩٤٥ اسمها القديم وهو تايلاند **THAILANDE** وعاصمتها بانكوك.

(٢) لوزون: (**LUZON = LUÇON**) أكبر جزر الفيليبين. عاصمتها مانيلا **MANILLE** ومساحتها ١٠٠ ألف كيلومتر مربع. احتلها اليابانيون سنة ١٩٤١ وحررها الحلفاء ١٩٤٥.

(٣) بورنيو: (**BORNÉO**) جزيرة كبرى في أرخبيل الهند ـ الماليزية. وتقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول هو بورنيو الغربية ومساحته ١٤٦,٧٠٠ كيلومتر مربع وعاصمته بونتياناك (**PONTIANAK**)، وبورنيو الشرقية ومساحته ٣٩٢,٧٠٠ كيلومتر مربع وعاصمته بندرماسان **BANDJERMASIN** ويشكل قسماً من الجمهورية الأندونوسية. وشمال بورنيو ـ ومساحته ٨٠ ألف كيلومتر مربع، وعاصمته سانداكان: **SANDAKAN**، وقد أخضعته بريطانيا لحكمها بسبب توافر البترول فيه.

(٤) هونغ كونغ **HONG - KONG** جزيرة صغرى (ومدينة) تقع في خليج كانتون في الصين. احتلها البريطانيون سنة ١٨٤١، وأقاموا فيها منطقة حرة. وقد اتفقت بريطانيا مع الصين على تسليمها للصين في نهاية القرن الحالي (سنة ٢٠٠٠).

الموقف؟ إن القضية لم تكن يومها هي قضية كفاءة في إدارة الحرب أو في ممارسة القيادة على مستوى العمليات أو جبهات القتال؛ وإنما كانت قضية سياسة استراتيجية على مستوى الحرب الشاملة في كل أرجاء الكرة الأرضية.

لقد كانت الأطراف المتحاربة في الحرب العالمية الأولى تمتلك المستعمرات أو نقاط الاستناد في كل مكان من العالم تقريباً. ولكن بالرغم من ذلك؛ فقد تمت إدارة الحرب بشكل فردي؛ على كل مسرح من مسارح العمليات، وبدون توافر رابطة حقيقية بين جميع مسارح العمليات. لكن الموقف تغير بصورة أساسية في الحرب العالمية الثانية؛ وبات من الضروري أن تحل (السياسة الاستراتيجية أو الاستراتيجية العليا) محل السياسات الفردية بهدف تنسيق التعاون على مستوى الكرة الأرضية؛ بعد أن أصبح كل شيء مترابطاً. وكانت بريطانيا العظمى هي الدولة الأكثر استعداداً والأوفر قدرة على ممارسة هذا التنسيق في التعاون؛ ليس لأن فرنسا قد انهارت فحسب، بل لأنها كانت قد نظمت منذ القرن الثامن عشر حلقات الطريق الأمبراطوري إلى الهند؛ حلقة إثر حلقة؛ وكان أُسطولها وهو أقوى الأساطيل؛ يؤمن ويضمن وحدتها. ولهذا فقد اتجهت كل السياسة الاستراتيجية البريطانية إلى حماية هذا الطريق ضد التهديدات المحتملة للأمبراطورية العثمانية - قبل تمزيق وحدة العالم الإسلامي - وروسيا القيصرية التي كانت طامعة أبداً في التوسع نحو الشرق، وفرنسا الدولة المنافسة لها. ولهذا لم يكن أمراً مباغتاً لعاصمة الأمبراطورية البريطانية (لندن) أن تجد

نفسها أمام تهديد خطير مثل التهديد الياباني. وكان توزيع أعضاء الرفاه المشترك (الكومنولث) يؤمن لها القواعد الضرورية في كل مكان من العالم تقريباً.

ولقد شعرت بريطانيا بالضربة المؤلمة التي وجهتها إليها اليابان في شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١ غير أنها لم تكن قادرة على إعادة تكوين قوة لها في آسيا؛ في حين كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعيد بناء أسطولها على موانىء الساحل الغربي من الولايات المتحدة.

ولهذا عملت بريطانيا على دعم دفاعها عن (سيلان)[١] وحولتها إلى مركز استراتيجي جوي ـ وبحري. ثم سافر (تشرشل) إلى واشنطن للعمل من أجل تنسيق التعاون الاستراتيجي للمرحلة الطويلة القادمة. وأثمرت جهوده عن توحيد قيادة الأساطيل الأمريكية والانكليزية والهولندية والأسترالية في المحيط الهادي[٢] وأسندت إلى (ويڤل) قيادة هذه القوات.

وقد عمل (ويڤل) على اتخاذ (جاوا)[٣] مقراً لقيادته؛ وقاعدة

---

(١) سيلان: (CEYLAN) جزيرة في جنوب الهند؛ تبلغ مساحتها ٦٦ ألف كيلو متر مربع وعاصمتها كولومبو COLOMBO ـ ويفصلها عن الهند مضيق بالك PALK.

(٢) أطلق على هذه القيادة المشتركة اسم (أبدا ـ ABDA) وهي الأحرف الأولى للدول المشتركة في هذه القيادة وهي: (AMERICAN; BRITISH, DUTCH; AUSTRALIAN).

(٣) جاوا: (JAVA) جزيرة في أرخبيل السوند LA SONDE في جمهورية أندونيسيا مساحتها ١٤١ ألف كيلو متر مربع؛ وعاصمتها جاكرتا DJAKARTA.

لعملياته. وبقيت (سنغافورة)[1] هي القاعدة الوحيدة ـ من بين كل القواعد البريطانية ـ التي حصلت على كل ما هو ضروري لتتحول إلى مركز دفاعي حصين يقع في جزيرة منيعة في وسط المحيط.

ولم يفكر أحد؛ تفكيراً جدياً؛ بامكانية تعرض الجزيرة لهجوم بري، لا سيما وأن الدفاع عن سنغافورة كان يمتد لمسافة تبعد عن الجزيرة بأكثر من ٩٠٠ كم.

ولكن استبعاد القيادة البريطانية لاحتمالات الهجوم الياباني على سنغافورة، لم يكن أمراً واقعياً؛ لأن القيادة اليابانية كان لها تفكيرها أيضاً وكان لها أسلوبها في العمل.

١٢ ـ في مواجهة الهجمات اليابانية

لقد كان من الصعب؛ بل من المحال؛ على (ويفل) إيقاف موج التدفق الياباني؛ وهو في ذروة قوته واندفاعه؛ فلقد تميزت الحرب هنا؛ على مسرح عمليات الشرق الأقصى، بمثل ما تميزت به الحرب على جبهة الغرب؛ من حيث السرعة المذهلة في تطوير الأعمال القتالية؛ وتوسيع نطاقها.

فخلال أربعة أشهر تقريباً اجتاحت القوات اليابانية من أقاليم

---

(١) سنغافورة: (SINGAPOUR) جزيرة تقع عند نهاية شبه جزيرة ملكا. تبلغ مساحتها ٥٣٤ كيلو متراً مربعاً. احتلها البريطانيون منذ سنة ١٨١٩. وقد أصبحت مستعمرة تابعة للتاج البريطاني. وتعتمد عليها بريطانيا باعتبارها قاعدة جوية وبحرية هامة في شبكة مواصلاتها العالمية.

جنوب ـ شرق آسيا ما زادت مساحته على مليوني كيلو متر مربع؛ ضمت ما زاد على المئة والثلاثين مليوناً من البشر. وقد تم لها ذلك بفضل الاعتماد على مخططات استراتيجية جريئة، تم فيها نقل عدد محدود نسبياً من الوحدات الأرضية عن طريق البحر؛ وقد بلغ حجم القوات بكاملها إحدى عشرة فرقة. كما اشترك في تنفيذ تلك الهجمات؛ قوات منقولة جواً؛ تم فيها استخدام ألف ومئتي طائرة نقل.

وقد استطاعت وحدات المظليين اليابانيين أن تشترك في تنفيذ مهمات ثانوية جداً(*) سواء للقيام بأعمال التدمير داخل البلاد التي تحتلها قوات الحلفاء أو لاحتلال مناطق محدودة وإعدادها لهبوط الطائرات الناقلة للجند، أو لاحتلال منطقة هامة ريثما تصل القوات البرية.

(*) كانت اليابان قد استعانت بمائة مدرب ألماني لتنظيم قوات المظليين اليابانيين وتدريبها، وذلك منذ نهاية سنة ١٩٤٠. فتم تشكيل تنظيمين أولهما تابع للقوات البرية ـ الجيش ـ وهو بقوة لواء من المظليين ويضم جهاز قيادة ووحدات إشارة ومهندسين، وثلاث كتائب وسرية مدافع رشاشة. وقد خصص له لواء من طائرات النقل يرتبط عضوياً بلواء المظليين ويتكون من أربعة أسراب من طائرات النقل (ميتسوبيشي) ذات الثلاث محركات ويبلغ مجموع هذه الطائرات ١١٢ طائرة.

أما التنظيم الثاني فقد حمل اسم (القوات الخاصة للإنزال البحري) وهو تابع للقيادة البحرية، وضم ٣ سرايا مشاة؛ عدد أفراد السرية ١٩٠ جندياً ومعهم ٩٠ بارودة آلية و١٨ مدفعاً رشاشاً مضاداً للمدرعات و١٢ مدفعاً رشاشاً و١٩ جهازاً لاسلكياً. وجرى استخدام هذه التنظيمات في التجارب والمناورات في شهر كانون الثاني ـ يناير ـ ٤٢ تمهيداً لزجها في الأعمال القتالية.

ولقد كان من المحال تنفيذ مثل هذه العمليات على تلك الجبهات الواسعة لو لم يتوافر لليابانيين قدرة نقل بحري ضخمة تستطيع نقل ٦ ملايين طن دفعة واحدة؛ ولو لم تتوافر كفاءة عالية في تنظيم التحرك والانتقال مع تأمين دعم جوي كاف لحماية هذه التحركات، وهذا ما أبرزته العمليات المتتالية - على سبيل المثال - لاحتلال (مانادو - أوسيليبس - وسومطرة وتيمور)، وهي الجزر الاستوائية المحيطة بالهند الصينية..

ولم يكن باستطاعة اليابانيين تنفيذ مثل هذه المخططات المعقدة لولا ما توافر أيضاً لقواتهم من الخبرة؛ ومن التخصص في أعمال الإنزال البرمائي وأعمال قتال الغابات؛ والمهارة في التسلل بين القوات المعادية وتطويقها؛ وشل قدرتها عن العمل.

كان الجيش الهولندي المنتشر في الأراضي المنخفضة من شرقي الهند - في كانون الثاني - يناير - ١٩٤١ - يتجاوز (٨٥) ألف مقاتل. وكان هذا الجيش قد تجمع بتركيز على أرض جيش (جاوا). كما عمل (ويڤل) بعد أن اتخذ من جاوا مقراً لقيادته على دعم الجيش الهولندي بقوات جوية وبحرية من القوات الأمريكية والأسترالية والبريطانية.

وكانت المهمة الأساسية التي حددها (ويڤل) لقواته هي تنظيم الدفاع بصلابة عن محور (ملايو؛ وسومطرة؛ وجاوا؛ وشمال أستراليا)، وتحويل الملايو خاصة إلى حصن قوي للدفاع عن هذا المحور.

ولقد بدأ اليابانيون هجومهم على الأراضي المنخفضة من شرقي الهند في يوم ١١ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٢، وقاموا بتوجيه ضربة مزدوجة وفي وقت واحد إلى كل من (بورنيو) و(سيليبس). وقد نظم الهجوم على (سيليبس) في إطار عملية إنزال برمائي حدد مكانه على سواحل (ماندو ـ وكيما) على أن يبدأ قبل الشفق.

وفي الساعة (١٠,٠٠) من صباح ذلك اليوم؛ أقلعت ٢٨ طائرة نقل من مطار (دافاو)، وقامت بإنزال ٣٣٤ مظلياً من قوات (اليوكوسكا)، وهي المجموعة البحرية الأولى. وقد تم إنزال هؤلاء المظليين على أرض المطار الواقع إلى الجنوب من (ماندو) وبوغتت الحامية الهولندية بإنزال المظليين اليابانيين مباغتة كاملة، مما ساعد المظليين على احتلال المطار بسرعة، وأزالوا كافة المقاومات في المنطقة المحيطة بالمطار. وتم انزال بقية أفراد المجموعة (١٨٥ مظلياً) في صباح اليوم التالي ـ ١٢ كانون الثاني ـ يناير ـ وما إن أقبل المساء حتى فرضت القوات اليابانية سيطرتها على الجزيرة. وانتقلت الطائرات اليابانية إلى هذا المطار مباشرة؛ وبدأت باستخدامه؛ وأصبح باستطاعتها توسيع نطاق عملياتها على اتجاه الجنوب لمسافة تزيد على أربعمائة كيلو متر.

استمر التقدم الياباني على اتجاهين في وقت واحد؛ الأول نحو الغرب على امتداد ساحل (بورنيو) والثاني نحو الشرق عبر بحر ملكا.

وأخذت دفاعات الحلفاء النموذجية في التداعي والسقوط واحداً

بعد الآخر أمام حشد القوات البرمائية وأمام الضربات القوية للمظليين. وكانت الاجراءات المدروسة والتحضيرات الدقيقة كفيلة بضمان النجاح للضربات الحاسمة.

بدأ هجوم اليابانيين على (سومطرة) يوم ١٤ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٢، بانزال المظليين لاحتلال المطارين الموجودين في (باليمبانغ) والموجودين على بعد مائة كيلو متر تقريباً داخل الجزيرة.

وشملت مهمة المظليين أيضاً احتلال مصفاة البترول الموجودة في المنطقة ومنع الحامية المدافعة عنها من تدميرها. وفي اليوم التالي (١٥ شباط ـ فبراير) قامت فرقة المشاة ٣٨ بإجراء إنزال برمائي على أرض الشاطىء؛ إلى الشمال من باليمبانغ، ثم الإبحار إلى تيلانغ وموووسي ونهر سالم بواسطة زوارق الانقضاض للاتصال مع المظليين. وقد بدأت بعد إنزال المظليين مباشرة؛ معركة غامضة جداً؛ فوق أرض مطار (ب ـ ١) الواقع في وسط الغابات. وبقيت طائرات الحلفاء تتابع إقلاعها وهبوطها تحت نيران القوات اليابانية. ونجح المظليون في نهاية اليوم في احتلال المطار؛ وبدأت قوات الحلفاء المدافعة عن المطار في التراجع والانسحاب نحو باليمبانغ ـ. وفي الوقت ذاته؛ كانت مفرزة المظليين الثانية قد نجحت في احتلال مصفاة البترول؛ وتمكنت من صد هجوم مضاد قامت به قوات الحلفاء، كما استطاعت إعاقة قوات الحلفاء عن تدمير المصفاة الثانية، وذلك على الرغم من أن نصف قوة مفرزة المظليين هذه كانوا قد هبطوا في مستنقع طيني ـ موحل ـ.

وكانت مفرزتا المظليين تعملان؛ كل منهما؛ في طرف من باليمبانغ، وكان يفصل بينهما مسافة عشرين كيلو متراً تقريباً. ولهذا فقد كانتا في مأزق حرج؛ لا سيما وأنه كان لدى الحلفاء عدد من الطائرات المقاتلة التي تستطيع العمل من مطار (ب ـ ٢). ولكن ومع فجر يوم ١٥ شباط ـ فبراير ـ بدأت قوات الإنزال البرمائي في الانتشار على أرض الشاطىء.

وكان للتفوق الجوي الياباني؛ ولتناقص الذخائر في أيدي قوات الحلفاء؛ دورهما في عدم ظهور أي نوع من أنواع المقاومة الضارية. وبالإضافة إلى ذلك؛ فقد تم إنزال قوة ثالثة من المظليين (مائة مظلي) بالهبوط على أرض مطار (ب ـ ١) في الساعة ١٣,٣٠ تقريباً. وبدأ المظليون بالتقدم نحو ـ باليمبانغ ـ بفضل هذا الدعم؛ وأمكن لهم احتلالها في المساء؛ وذلك في الوقت الذي كانت فيه المفرزة الأخرى قد أنجزت عملية احتلال مصافي البترول جميعها.

اتخذ (ويڤل) قراره بسحب قواته نحو الجنوب ـ الشرقي من الجزيرة في ليل ١٥ / ١٦ شباط ـ فبراير ـ. وتم في صباح يوم ١٦ منه الاتصال بين المظليين اليابانيين وبين العناصر المتقدمة من قوات فرقة المشاة ٣٨ التي كانت تتقدم مستخدمة زوارق الهجوم على مياه النهر.

تابع اليابانيون تقدمهم عبر بحر (ملكا) فهاجموا جزيرة (تيمور) يوم ٢٥ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٢، والتي كان يدافع عنها عدد من سرايا القوات الهولندية والأسترالية، ولقد نزلت قوة يابانية مكونة

من فوجين تدعمهما بعض الدبابات الخفيفة، مع شفق يوم ٢٥ شباط، فبراير، على أرض الساحل، وعلى بعد ٢٥ كلم تقريباً إلى الجنوب الشرقي من إقليم كوبانغ. ثم هبطت مجموعة من المظليين ضمت (٣١٠) جنود ـ من المجموعة البحرية الخاصة (اليوكوزاكا) وذلك في الساعة (١٠,٠٠) على أرض مطار (بينغوا)، وكان هذا المطار يقع على بعد ٢٥ كلم إلى الشرق من الإقليم. وتبع ذلك إنزال (٣٥٠) مظلياً في صباح يوم ٢٦ شباط ـ فبراير ـ لدعم المجموعة السابقة. وتم في صباح اليوم التالي (٢٧ منه) الاتصال بقوات الإنزال البرمائي. وقد حاولت القوات الهولندية والأسترالية الانسحاب إلى داخل الجزيرة؛ غير أن طريق الانسحاب الرئيسي كان بأيدي المظليين، فوقعت هذه القوات في الأسر. وقد أكملت القوات اليابانية تطويق الأراضي المنخفضة من شرق الهند، وضاعت كل أهمية النطاق الدفاعي الذي نظمه (الجنرال ويفل)، وأصبحت بريطانيا منعزلة جغرافياً عن أمريكا. وخسر الحلفاء في هذه العمليات ما زاد على (٢٥٠) ألف جندي ولم تتجاوز خسارة اليابانيين نسبة واحد إلى عشرة من خسارة الحلفاء.

لقد ظهر من خلال هذه العمليات أن القيادة الهولندية في (سيليبس وسومطرة وتيمور) لم تتعلم شيئاً من غزو الألمان لهولندا في ١٠ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠ عندما استخدموا كل وسائط حرب الحركة الحديثة ـ البحرية والبرية والجوية ـ لحسم الصراع بسرعة مذهلة.

جاء بعد ذلك دور (سنغافورة)، والتي كانت نقطة ارتكاز

بريطانيا العظمى وقاعدتها للهيمنة على آسيا، والبوابة الشرقية للدفاع عن الهند؛ والبوابة الشمالية للدفاع عن أستراليا، والتي تقع على طريق مرور البواخر والقطع البحرية ما بين أوروبا والشرق؛ وإلى الشمال من (هونغ كونغ)، ومن خلالها إلى (شانغهاي) حيث كنوز هولندا في الهند الشرقية.

وهكذا؛ ومن خلال الشريانين المذكورين وحدهما بقيت بريطانيا مهيمنة لحقبة طويلة من الزمن على المحيط الهادي، بحيث كانت سنغافورة هي بحق قلب المنطقة بكاملها.

كانت سنغافورة من الأقطار الإسلامية التي استعمرتها بريطانيا، منذ (٢٩ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٨١٩) عندما قاد السير ستامفورد رافل، وهو أحد الرواد الأوائل للاستعمار، مجموعة من الجنود، ونزل بهم على ساحل سنغافورة، ورفع على أرضها العلم الإنكليزي؛ ولما كانت القوات التي رافقته لا تزيد عن قوة مجموعة استطلاعية؛ فقد عمل على استخدام الدهاء لإغراء السلطان جوهر ـ حاكم الجزيرة ـ بتأجيره أرض الجزيرة مقابل (٦٥٠) ألف دولار تقريباً.

وفي سنة ١٨٢٤، وضعت الجزيرة كلها ـ وليست المنطقة المستأجرة من الساحل فقط ـ تحت إدارة شركة الهند الشرقية البريطانية، وانصرفت بريطانيا لتحصينها حتى جعلت منها واحدة من أكبر قلاع العالم الأربع وأقواها وهي: جبل طارق ومالطا وبيرل هاربور وسنغافورة.

وعندما احتفلت بريطانيا سنة ١٩٣٨ بافتتاح القاعدة البحرية الكبرى والأرصفة الضخمة(*) كان ذلك بمثابة تتويج للجهود التي استمرت طوال عشرة أعوام، وكلفت عشرة ملايين جنيه استرليني، حتى تصبح سنغافورة قادرة على مجابهة كل الاحتمالات.

لقد كانت القيادة البريطانية العليا ـ ووزارة الحرب في انكلترا ـ تثق ثقة مطلقة بقدرة الدفاع البريطاني في انكلترا؛ فقد دعمت الحامية المدافعة عن الجزيرة بالوسائط القتالية الحديثة للدفاع عن جبهة البحر. فقد تم وضع بطارية مدفعية من عيار ١٥ إنشاً لحماية الفتحة الشرقية لواجهة قصر جوهر (الميناء) ولحماية المنشآت العسكرية في (شانغي). كما كانت التحصينات الدفاعية مصنوعة من الفولاذ والإسمنت المسلح، بالإضافة إلى أن أضخم مدفعية عرفها العالم حتى ذلك الوقت؛ كانت قد وجهت فوهاتها في مواجهة الجبهة البحرية. وكانت المطارات العسكرية في كل من تينغا

(*) شيدت بريطانيا ما بين سنة ١٩٢٨ ـ ١٩٣٨، وفي إطار تحصين سنغافورة وتطويرها، حوضاً صخرياً حمل اسم الملك جورج السادس. وكان هذا الحوض يمتد بطول ألف قدم وبعرض ١٣٠ قدماً؛ وبعمق ٣٥ قدماً؛ واستخدم في تشييده (٩٠٠) ألف يارد مكعب من الإسمنت. هذا بالإضافة إلى الحوض العائم الذي صُنع في انكلترا من قطعتين منفصلتين، ثم جرى سحبهما إلى سنغافورة. وكان الطول الكامل للرصيف العائم ألف قدم وعرضه ٣٠٠ قدم. وكان باستطاعة كل من الحوضين استقبال القطع البحرية ـ الحربية التي يصل وزنها حتى ٥٠ ألف طن. وبالإضافة إلى ذلك فقد شيدت المستودعات والخزانات الضخمة التي تتسع لكمية مليون ونصف المليون طن من البترول ـ أي ما يكفي للأسطول البريطاني بكامله في حالة الحرب.

وكالانج وسيليتار وسيمباوانغ؛ هي قواعد جوية جيدة لعمليات قوات كبرى.

وكانت الحامية البريطانية المدافعة عن (سنغافورة) يوم تعرضت للهجوم الياباني؛ قد ضمت أكثر من (٢٥٠) ألف جندي من القوات البريطانية والأسترالية والهندية(*) ولكن؛ وعلى الرغم من قوة الحامية البريطانية، ومنعة تحصيناتها المواجهة للبحر، فقد كانت هناك نقطة ضعف خطيرة وهي عدم توافر الوسائط والقوى للدفاع عن الجبهة البرية. فقد وضعت القيادة البريطانية في تقديرها، أن الإنزال البحري في جنوب تايلاند؛ والسير حتى مسافة (١١٠٠) كيلومتر وسط الغابات الاستوائية الصعبة؛ وفي ذلك المناخ اللاهب؛ سيرغم القوات اليابانية على قضاء سنة على الأقل للوصول من جنوب تايلاند وحتى سنغافورة ـ بسبب طول المسافة وانعدام الطرق الأرضية مما سيتيح لبريطانيا وقتاً كافياً لدعم تحصيناتها في هذه الجبهة.

ولكن هذه النقطة من الضعف كانت واضحة للجنرال ـ ويفل ـ الذي بعث منذ ١٩ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١ ببرقية إلى رئيس الوزراء ـ ونستون تشرشل ـ أعلمه فيها للمرة الأولى: «بأن القضية ليست هي قضية تنظيم أو دعم التحصينات المتصلة للدفاع

(*) كانت هذه القوات قد ضمت الفرقة الهندية التاسعة ـ لواءين ـ والفرقة الإنكليزية الثامنة عشرة ـ ثلاثة ألوية ـ ومجموعة الألوية الهندية المستقلة ١٢ و٢٨ و٤٤ و٤٥ فكان مجموع الألوية هو ١٣ لواءً، بالإضافة إلى لواءين ماليزيين.

القريب عن سنغافورة؛ بل إن القضية هي عدم وجود ولو مجرد اقتراح لبناء تحصينات وتنظيمات دفاعية للقتال، في حين كان اليابانيون ينظمون قوتهم في القسم الجنوبي من الهند الصينية».

لقد عرف قائد الجيش الياباني (ياماشيتا) نقطة الضعف هذه؛ واستثمرها بشكل رائع. وأمكن له خلال ٥٥ يوماً فقط ـ وليس خلال سنة كاملة كما اعتقد البريطانيون ـ أن يدفع قواته عبر الملايو، وأن يصل إلى سنغافورة؛ ويبدأ هجومه عليها يوم ٨ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٢ ـ . وفي يوم ١٥ شباط ـ فبراير ـ سقطت سنغافورة في قبضة اليابانيين واستسلم (١٣٠) ألف جندي أسير وإصابة (١٣٨,٧٠٨) بجراح مختلفة.

لقد دوى سقوط سنغافورة في قبضة اليابانيين؛ في أرجاء العالم؛ دوياً هائلاً؛ لم يماثله أي انتصار تم تحقيقه ضد البريطانيين في أي جبهة من الجبهات.

لقد سقط الأسد البريطاني في مستنقعات الملايو وغاباتها. وكانت التعليقات كثيرة منها هذا التعليق: «لم يعرف التاريخ العسكري البريطاني على امتداده فصلاً محزناً وكئيباً مثل فصل ـ سقوط سنغافورة ـ . إنها أسوأ قصة عرفها التاريخ العسكري البريطاني، لأنها تمثل الغرور؛ والاعتداد، وإهمال الاستعداد؛ والضعف.

وقد يكون من العدل عدم إهمال تلك الأعمال البطولية التي برهنت عليها القوات خلال القتال. ولكن الجنرال الياباني ـ ياماشيتا ـ نجح في ضرب حلقات من الحصار حول المدافعين.

وبهذا أمكن خلال هذه الحرب التغلب مرة أخرى على عامل (التوازن في القوى)؛ إذ كان الجنود اليابانيون هم الأقل عدداً؛ وهم الذين يقومون بالهجوم على عدد متفوق في مواقعه وعلى أرضه. وحدث ما لم يحدث إلا نادراً ـ وهو استسلام جيش بكامله إلى جيش آخر».

لقد اعتبرت القيادة البريطانية أن الغابات الاستوائية الغربية تشكل درعاً وقائياً طبيعياً على درجة كافية من القوة والصلابة. ولكن القيادة اليابانية التي عرفت هذا الوضع على حقيقته؛ دربت قطعاتها تدريباً شاقاً؛ وهي قطعات صلبة بطبيعتها وتتحمل شظف العيش وكره القتال، فباتت تمتلك الكفاءة والقدرة لاختراق هذه الغابات، والتعايش مع مناخها؛ وخوض القتال فيها.

وقد قامت القوات اليابانية بالتحرك بمهارة تحسد عليها، وتمكنت بمناوراتها من خداع خصومها؛ وأرغمتهم على القيام بتراجعات متعاقبة؛ وانسحابات متتالية؛ وهي تتقدم باستمرار على ثلاثة أرتال ـ قولات ـ على امتداد الساحلين وفي الداخل؛ وتسللت حتى وصلت إلى مؤخراتهم.

ولم تكن الحملة اليابانية حملة (حرب خاطفة) ، فقد انسحبت آخر الوحدات البريطانية من تايلاند إلى سنغافورة في ليل ٣٠ ـ ٣١ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٢؛ تحت حماية أربع كتائب ضحت بنفسها لحماية انسحاب بقية القوات. وأحرقت القاعدة البحرية فيها يوم ٤ شباط ـ فبراير ـ وأخليت يوم ٨ منه؛ وهو يوم الإنزال

الياباني في الجزء الشمالي الغربي من جزيرة سنغافورة.

لقد كان أمراً مثيراً حقاً للدهشة ذلك التنسيق الشامل للهجوم الياباني على كافة الجبهات؛ إذ بينما كانت هذه الأعمال تسير سيرها الطبيعي ما بين تايلاند وسنغافورة؛ كانت جيوش يابانية أخرى قد انطلقت في يوم ٢٠ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٢ لاجتياح أندونيسيا، مبتدئة هجومها من الساحل الغربي لشبه جزيرة ماليزيا. وقد وصلت هذه الهجمات إلى نهايتها في مطلع شهر نيسان ـ أبريل؛ عندما تمت السيطرة على (سومطرة) سيطرة تامة. وتم لليابانيين أثناء ذلك تدمير أسطول مشترك للحلفاء ـ كان يعمل بقيادة الأميرال الهولندي دومان ـ وذلك في بحر (جاوا) يوم ٢٧ شباط ـ فبراير ـ .

وتوسع الغزو الياباني؛ وانتشر بإيقاع متسارع كبقعة الزيت، فمن جزيرة (تيمور ـ البرتغالية) إلى السواحل الشمالية الشرقية من غينيا الجديدة؛ ثم إلى أرخبيل جزيرة سليمان. ولم تصمد في وسط المحيط الهادي إلا (جزيرة ميدواي)(*).

واجتاح اليابانيون (بورما) في منتصف شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ مستفيدين من موقعهم المتوسط في سيام وماليزيا. وكان

(*) جزر ميدواي (MIDWAY) مجموعة من الجزر الصغرى في المحيط الهادي. وقد اشتهرت بالمعركة البحرية الكبرى التي وقعت بالقرب منها يوم ٣ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٢ وخسر فيها اليابانيون أربع حاملات طائرات، وخسر الأميركيون حاملة طائرات واحدة (يوركتاون) و١٤٧ طائرة. وقد اعتبرت هذه النتيجة أكبر كارثة واجهتها اليابان، ونقطة تحول حاسمة في الحرب على جبهة (المحيط الهادي).

الدفاع فيها يعتمد على أربع فرق صغيرة وفرقتي فرسان ـ خيالـة ـ دمجتا معاً، وفوج الدبابات الملكي البريطاني. ولم يكن مجموع هذه الفرق يتجاوز بضعة آلاف من المقاتلين، بالإضافـة إلى أن موقفهم كان ضعيفاً: إذ لم يكن هناك أي خط مواصـلات بري يصـل بين الهند وبورما؛ وكان الجهد الجوي المتوافر ـ الـطيران ـ ضعيفـاً إلى درجة كبيرة، كما كانت حركة الفـرق الميكانيكيـة ـ الآلية ـ مقيـدة بالطرق. ولم تكن القطعات مدربة على قتال الغـابات والحـرب في الأدغال، ولم يكن وسط البلاد ـ بين وادي سيتانغ ووادي إيرا ـ أكثر من امتداد لتلك الغابات الاستوائية.

وقد تم تعيين (الجنرال سليم)[١] قائداً للفيلق الذي ضم الفرقة

---

(١) الجنـــرال سليم (SIR WILLIAM JOSEPH SLIM - 1ST. VISCOUNT) فيلد مارشال بريطاني (١٨٩١ ـ ١٩٧٠) اشترك في الحرب العالمية الأولى؛ وخدم بعدها في السودان وسوريا وذلك قبل أن يتم نقله إلى بورما مع بـداية الحـرب العالميـة الثانية، حيث أسندت إليه قيادة الفيالق البورمية في شهر آذار ـ مارس ـ ١٩٤٢، وذلك خلال المرحلة الأولى من الهجوم الياباني، فأمكن له سحب قواته من المعارك بكفاءة عالية خلال شهر أيار ـ مايو ـ ثم أسندت إليه في سنة ١٩٤٣ قيادة الفرقة الهندية الرابعة عشرة ـ تحت قيادة الجنرال ويڤل ـ ثـم جمعت كل قوات الحلفـاء البرية ونظمت في إطار الجيش الهندي الرابع عشر بقيادة سليم الذي أصبح يعمل منذ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٣ تحت قيادة الأميرال (مونتباتن) القائد الأعلى لقوات الحلفاء في جنوب شرق آسيا.

وانحصرت مهمة الجنرال سليم بالهجوم على اتجاه بورما، فأمكن لـه تحقيق نصره الحاسم ضد اليابانيين في معركة إيمفال (IMPHAL) في نهاية سنة ١٩٤٤ ثم تابع جهده وحقق انتصارات كبرى في إيرا ـ وادي مندلاي ـ ثم شغل منصب القائد الأعلى والحاكم العام لأستراليا حتى سنة ١٩٦٠.

البورمية الأولى والفرقة الهندية السابعة عشرة وفرقة صينية وذلك لإيقاف تقدم اليابانيين. غير أن قوات هذا الفيلق لم تعرف سوى الهزائم اليومية المتتالية (ما بين كانون الثاني ـ يناير ـ وحزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٢).

وضاعت (رانغون) في يوم ٨ آذار ـ مارس ـ ، وانتقل الأسطول الياباني للعمل في المحيط الهندي؛ فأغرق حاملة للطائرات وطرادين أمام كولومبو.

وكان اليابانيون يتسللون بين وحدات الحلفاء المنتشرة على جبهة واسعة جداً، ويلتفون حول أجنحتها، ويقيمون السدود على طرق الانسحاب، ويتشبثون بعناد في المواقع التي يحتلونها.

وكان البريطانيون والهنود والفوركيون والبورميون والصينيون يجدون أنفسهم يوماً بعد يوم وهم عرضة للمزيد من التمزق والتشتت، وقد أضعفتهم الخسائر ضمن الشروط المنهكة للحرب الاستوائية.

وكان قائدهم الجديد (الجنرال ويڤل) الذي اكتسب شهرته الواسعة في الحبشة وفي العراق وسوريا؛ قد عرف كيف يتلاءم أو يتكيف مع هذا الجو الجديد؛ بعد أن وقع في عدد من الأخطاء التي كان ثمنها باهظاً جداً، والتي اعترف بها بجرأة نادرة وصراحة رائعة، ووجد الأعذار للدفاع عن المنفذين، واستخلص بلا كلل ولا ملل الدروس من كل الظروف لإنقاذ أوضاع يائسة بدت وكأنه لا مخرج منها. وقد تكوّن هنا فكر عسكري عملي تماماً؛ أزال

عن طريقه كافة المبادىء التكتيكية التي ظهر أنه من الصعوبة بمكان تطبيقها.

لقد حاول (ويڤل) بذل كل جهد مستطاع لإنقاذ الهند؛ واعتمد في ذلك على الإفادة من الطبيعة الجغرافية للأقاليم؛ وأولها سلاسل الجبال الواقعة على الحدود، مع الإفادة في الوقت ذاته من المناخ؛ حيث أمطار الصيف الموسمية الوشيكة بفيضاناتها الجارفة.

لهذا لم يكن غريباً أن يتعجل (ويڤل) قدوم شهر أيار ـ مايو ـ وأن ينتظره بصبر نافذ. وقد ركز جهده للإشراف على أعمال (الجنرال سليم) الذي برهن على امتلاك عزيمة صادقة، وتصميم عنيد؛ لا يعرف الشفقة أو الرحمة طالما دعت الضرورة إلى ذلك. ولقد كانت ملحمة التراجع والانسحاب التي استمرت طوال خمسة أشهر، قد تطلبت مثل هذا التصميم. وكان من الواجب بعد ذلك أن يفرض على الجميع تدريباً عسكرياً شاقاً؛ بهدف تحقيق فعالية شاملة؛ فشكل قيادته العامة الجديدة، التي تحولت بعدئذ إلى (قيادة الجيش الهندي الرابع عشر)، واستطاع أن يعيد تماسك القوات، وأن يرتفع بروحها المعنوية. ولم يكن ذلك إلا بداية للتحول المادي والمعنوي الذي مهد بدوره للانتقال من مرحلة الدفاع الاستراتيجي إلى مرحلة الهجوم الاستراتيجي.

لقد بذل (ويڤل) ما يستطيعه من الجهد لإيقاف الكارثة؛ فلما فقد كل إمكانات الدفاع عن جنوب شرقي آسيا، عاد (في سنة ١٩٤٣) لممارسة عمله الأساسي وهو نائب ملك بريطانيا في الهند، حيث انصرف لحشد القوى؛ وتنظيم الموارد؛ وإمداد الحرب

بمتطلباتها. وكان هذا العمل الإداري أكثر أهمية في تلك الفترة من أي عمل آخر على جبهات القتال.

ولكن (ويڤل) لم يفقد اتصاله رغم ذلك بالقوات المقاتلة، فاستمر بإجراء اتصالاته مع القادة؛ وعمل على توجيههم ودعمهم. وقد ترافق ذلك مع التحول الحاسم عندما قرر الحلفاء جعل مسرح عمليات جنوب شرقي ـ آسيا، مسرحاً رئيساً وليس مسرحاً ثانوياً كما كان من قبل. وتم تعيين الأميرال (مونتباتن)[1] خلفاً لويڤل في قيادة القوات المشتركة للحلفاء.

وأخذ ميزان القوى في التحول لمصلحة الحلفاء بصورة تدريجية، غير أن الطريق للنصر النهائي ما زال طويلاً وشاقاً، وعلى هذا الطريق سار الجنرال ويڤل في حدود عمله الإداري لدعم (الجهد الحربي) الذي توافر في الهند.

---

(١) الأميرال مونتباتن: (LOUIS 1ST EARL - MOUNTBATTEN) أميرال بحري بريطاني. ولد سنة ١٩٠٠، وهو الابن الأكبر للملكة فيكتوريا، وابن الأمير لويس أوف باتنبرغ BATTENBERG. انتسب إلى البحرية الملكية سنة ١٩١٣، وعمل في سفينة القيادة سنة ١٩١٦ (السفينة ليون). وأصبح سنة ١٩٤١ مستشاراً في مكتب العمليات المشتركة. وبقي في هذا العمل حتى تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٣ ـ بالإضافة إلى عمله رئيساً للعمليات المشتركة منذ آذار ـ مارس ـ ١٩٤٢ وعضواً في هيئة الأركان المشتركة. وأصبح بعدها خلفاً للجنرال ويڤل، حيث عين قائداً لقوات الحلفاء المشتركة في جنوب شرقي آسيا. وقد بقي في هذا المنصب حتى سنة ١٩٤٦، حيث كان من واجبه استعادة (بورما). وتم تعيينه بعد ذلك خلفاً لويڤل أيضاً في منصب (نائب ملك بريطانيا في الهند)، ثم حاكماً عاماً للهند (١٩٤٧ ـ ١٩٤٨) وأصبح رئيساً لهيئة أركان الدفاع البريطانية (١٩٥٩ ـ ١٩٦٥).

«تشمل خفة الحركة
المقدرة على المناورة؛ والعمل بسرعة؛
وهي أفضل الوسائل لتحقيق المباغتة»
(ويڤل)

الفصل الثاني

١٣ ـ تلميذ الحرب؛ واستاذها

كانت حياته العسكرية؛ وعلى امتداد نصف قرن من عمر الزمن تقريباً؛ بمثابة صفحة متصلة من الجهد المستمر الذي لا يعرف التعب أو الكلل، ومن العمل الدؤوب الذي لا يعرف اليأس أو الاستكانة؛ رغم العوامل المحبطة والعقبات الصعبة.

لقد كان من قدره في مرات كثيرة أن يجابه المواقف التي تبدو مستعصية على الحل؛ في جنوب أفريقيا كما في فلسطين؛ في ليبيا كما في اليونان وكريت، في أثيوبيا كما في (جاوة). ولقد تعقدت الأمور أحياناً إلى درجة مثيرة للدهشة بسبب تفجر المواقف في عدد من المناطق في وقت واحد. وبالرغم من ذلك؛ وفي وسط الغيوم السوداء الداكنة؛ وفي وسط الضباب الكثيف الذي تضيع فيه معالم الطريق، كان ويظل ينتصب شامخاً؛ مسيطراً على الأحداث؛ لا تضيع عنه الرؤية الواضحة للأمور، ولا تغيب عن بصره الصورة الإجمالية لما يجابهه، أو التفاصيل الدقيقة لتلك الصورة للموقف

المعقد، ولم يكن ذلك إلا نتيجة للمعرفة العميقة التي اكتسبها (ويڤل) عبر تجاربه المستمرة؛ وإلا نتيجة للخبرة العملية المكتسبة من خلال ممارسة القيادة ومعاناتها .

لقد كان (ويڤل) يقف دائماً موقف التلميذ المتعلم من التجارب التي يعيشها؛ ومن الأمور التي تقع تحت سمعه وبصره. ولم يكن موقفه في التعلم سلبياً؛ وإنما كان إيجابياً؛ فهو يلتقط التجربة (أو الحدث) ويدقق في تفاصيلها وجزئياتها ويبحث في ظروفها العامة والخاصة، ويستخلص منها دروسها السلبية والإيجابية ويرجع هذه الدروس إلى أسبابها الحقيقية والواقعية؛ مما يساعده على تقويمها تقويماً عملياً صحيحاً.

ولقد كانت أول تجربة تعلم منها كثيراً هي تجربة (الجنرال اللنبي في فلسطين). وكان موقف (ويڤل) هنا هو موقف الباحث المراقب، فهو لم يشترك في الحملة، ولم يمارس فيها قيادة فعلية؛ ولم يضع لها مخططات عملياتها؛ ولم يكن له دور فيها من قريب أو بعيد. ولعل ما صدمه فيها هو ذلك التباين الشاسع بين إدارة حربها وبين ما عاشه من تجربة الحرب على جبهة الغرب؛ حيث الجمود القاتل في (حرب الخنادق) وحيث المواقع الثابتة التي تحد من حرية العمل العسكري ومن حرية التحرك والمناورة.

ولقد أذهله ما فرضته حرب الحركة في فلسطين من المباداءات المستمرة، ومن المباغتات المتتالية؛ ومن المواقف المتجددة باستمرار مع ما تتطلبه مواجهتها من الإبداع والابتكار، مما يتيح للقائد فرصة

استنفاد كافة القدرات القيادية واستخدام كافة الكفاءات المتوافرة والقدرات الكامنة في أعماق النفس الإنسانية. ولهذا لم يكن غريباً على عقل متفتح، ونفس متحفزة، مثل عقلية (ويڤل) ونفسيته، أن تعكف على دراسة هذه التجربة الفردة والبحث في جوانبها المختلفة؛ رغم أنه لم تتح له ظروف العمل فيها.

لقد كانت الحملات الحربية بفلسطين في الحقيقة مورداً هاماً للنظريات العسكرية الحديثة؛ سواء في مجال (حرب الحركة) أو في أساليب (الحرب الثورية) المقترنة بعمليات القوات في (الحرب النظامية). ولقد نهل من هذا المورد كثير من الكتاب العسكريين في العالم، من أمثال الكاتبين العسكريين الإنكليزيين (فوللر - وليدل هارت) واللذين استندا بصورة أساسية لتجربتي (لورنس) و(اللنبي).

ولقد كانت تجارب الحروب الاستعمارية عامة مورداً لمفكري المدرسة الاستعمارية العسكرية في العالم. ولما كانت التجربة البريطانية أكثر اتساعاً وأكثر شمولاً من بقية التجارب الاستعمارية العالمية؛ فقد كان طبيعياً أن يفيد من هذه التجارب القادة الإنكليز ومنظروهم وكتابهم العسكريون.

ولقد تميز (ويڤل) عن سواه من الذين تعرضوا لهذه التجارب؛ ونهلوا من موردها؛ وأفادوا منها، بأنه اطلع على هذه التجارب عن قرب؛ وعاش ظروفها الجغرافية والسياسية علاوة على ظروفها القتالية. فلا غرابة إن جاءت الدروس التي استخلصها منها وهي

أكثر شمولاً وعمقاً مما استخلصه الآخرون وأفادوا منه.

وعلى الرغم من التركيز الشديد في أبحاث ويڤل ودراساته، على التجارب المعاصرة التي عاشها؛ فإنه قد يكون من المحال تحقيق ما أنجزه في مجال الفكر العسكري؛ لو لم تتوافر له أرضية صلبة من المعرفة العسكرية ومن العلم العسكري؛ علاوة على أرضيته القوية والثابتة في معرفة التاريخ العسكري.

وبذلك توافرت للجنرال ويڤل الشروط الأساسية المطلوب توافرها لمن يريد أن يكون (كاتباً عسكرياً).

ولقد كان الجنرال ويڤل في الحقيقة من أفضل الكتاب العسكريين؛ رغم أن انتاجه كان محدوداً؛ ورغم أن هذا الانتاج قد تركز على ما يفيد الفكر العسكري البريطاني ـ بصورة خاصة ـ.

لقد كانت (النظرية الاستعمارية البريطانية) مثلها كمثل بقية النظريات الاستعمارية الغربية؛ تعتمد في أول معطياتها على النظرية العرقية (تفوق الإنسان الأبيض ـ الأوروبي)، وتفوق (العرق الأنكلو ساكسوني) منه بصورة خاصة، ولهذا فقد كان أمراً طبيعياً أن يتم التركيز على النوع أكثر من تركيزه على (الكم ـ أو العدد).

ولقد جاءت التجربة العملية والممارسة الواقعية مطابقة للنظرية. فقد استعمر البريطانيون أمبراطورية لا تغرب عنها الشمس؛ بالاعتماد على قوات لا تكاد تذكر بالمقارنة مع المحيط

الواسع الذي استعمرته؛ وبالمقارنة أيضاً مع ملايين وعشرات الملايين من البشر ممن أخضعتهم بريطانيا لاستعمارها. وإذن فلا غرابة إن أظهر (ويڤل) اهتماماً خاصاً بالعامل البشري - الإنساني في معظم أبحاثه ودراسته. وليس كتابه عن (القائد والقيادة) إلا توجيهاً نحو العناية بالفرد ليكون قائداً ناجحاً، مع التعرض بداهة للفضائل التي يجب أن تتوافر للقائد؛ وكذلك ما يجب على القائد تجنبه والحذر منه. ولقد كان (ويڤل) ذاته نموذجاً لهذا القائد البريطاني؛ في سلوكه وممارسته؛ في قيادته للقوات وفي إدارته للحرب وفي مفاهيمه للسياسة - الاستراتيجية على مستوى القيادة العليا.

من المحتمل هنا القول بأن (ويڤل) لم يكن إلا نموذجاً للضابط الإنكليزي التقليدي - المحافظ - وإلا نموذجاً للمدرسة العسكرية التقليدية - الكلاسيكية - فهو لم يبلغ شهرة ألكسندر أومونتغومري؛ ولم يحقق لنفسه مجداً برّاقاً في ميادين الحروب كمثل أمجاد روميل أو غودريان، وهوبالتالي قائد ناجح غير أنه يفتقر إلى الإبداع. وقد يكون في مثل هذا القول بعض المجافاة للحقيقة وكثير من التنكر لها. فأما أن (ويڤل) هو ضابط إنكليزي تقليدي؛ وأنه نموذج للمدرسة العسكرية التقليدية فتلك هي حقيقة لا تقبل الجدل أو النقاش. وأما أنه يفتقر إلى الإبداع فتلك هي التي تفتقر للحجة والبرهان، ذلك أن استعراض سيرة ويڤل - في حياته العسكرية - تظهر وتؤكد - المرة بعد المرة - أنه ما كاد يمر بتجربة حتى يقف لاستخلاص الدروس منها؛ ثم ليعمل بعدها على تعميم هذه

الدروس ونشرها حتى يفيد منها كل من أراد الحصول على الفائدة.
وعلى هذا فإنه كان مبدعاً في نقل التجربة العملية إلى نظرية، وكان في الوقت ذاته يحاول الإفادة من النظرية للتوجه في مجابهة المشكلات العسكرية التي يصطدم بها، حتى إذا ما تطابقت النظرية مع الممارسة العملية؛ اقتنع عندها بصحة النظرية، أما إذا ظهر هناك تباين بين النظرية والممارسة العملية، فإنه يدرك عندها أن هناك قصوراً في النظرية، فيسرع إلى تعديل النظرية أو تطويرها؛ أو حتى هجرها والتخلي عنها في سبيل صياغة نظرية جديدة يمكن الاعتماد عليها في مجابهة المستجدات.

فهل يمكن اعتبار (ويڤل) بعد ذلك محروماً من الإبداع؟

أليس الإبداع دائماً هو في التكيف مع الواقع على أسس ثابتة ومبادىء واضحة؟

أليس التجديد في النظرية هو إبداع وابتكار لا يصل إليه إلا من توافرت له موهبة الإبداع؟

أليس التعلم من التجربة الذاتية، ومن تجارب الآخرين، ثم نقل حصالة التعلم وتعميمها وتدريسها هو إبداع حقاً؟

لقد أمضى (ويڤل) حياته متعلماً ومعلماً؛ متدرباً ومدرباً؛ تلميذاً وأستاذاً؛ بل لعله لم يتوافر في منتصف القرن العشرين الأول - لبريطانيا العظمى - قائد آخر مثل (ويڤل) حاول دائماً التجديد في الفكر العسكري، من خلال تحقيق التطابق بين النظرية وبين

الواقع العملي. فلقد أنجبت بريطانيا عدداً كبيراً من القادة البارزين، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لدولة عظمى أقامت أمبراطوريتها على أسنة الحراب؛ كما أنجبت أيضاً عدداً من الكتاب العسكريين والباحثين؛ وهذا بدوره أمر طبيعي ومتوقع في دولة عظمى، غير أنهم أقل من القلة هم أولئك الذين عملوا (كتاباً عسكريين) واضطلعوا في الوقت ذاته بممارسة قيادة ميدانية وقيادة عليا ـ على مستوى السياسة الاستراتيجية ـ؛ ولعل هذا ما يفسر انتاجه القليل في مجال (الكتابة العسكرية). فهو لم يتفرغ للعمل الدراسي (مثل ليدل هارت)؛ ولم تترك له فسحة من الوقت للبحث (مثل جون فوللر)، ولم يكن عمله في مجال (الكاتب العسكري) إلا استجابة لما لاحظه من النقص في المعرفة؛ أو القصور في النظرية، فبادر إلى سد الثغرات التي أمكن له اكتشافها.

وهنا أيضاً لا بد من التوقف قليلاً عند ظاهرة مثيرة في المعرفة البريطانية ـ وحتى غير البريطانية ـ فالمعروف أن الكاتب العسكري البريطاني ليدل هارت هو صاحب نظرية (حرب الحركة)، وأن كبار القادة الألمان من أمثال (غودريان ورومل) قد أفادوا من نظريته في (حرب الحركة) وطوروها.

والمعروف أيضاً أن هناك قادة وكتاباً عسكريين آخرين قد تعرضوا لقضية (حرب الحركة) في مجاليها النظري والعملي من أمثال الجنرال الإنكليزي (فوللر)، ولكن لم يشتهر أحد بنشر النظرية مثلما اشتهر بها (ليدل هارت) الذي استند في نظريته إلى (تجربة لورنس

في القتـال مع القـوات العربيـة ـ أو الفيلق العربي ـ الـذي مارس قيادته الشريف الملك فيصل)؛ بالإضافة إلى تجارب حروب المغول ـ التتار ـ. ولكن الواقع يظهر أن (الكاتب العسكري ويڤل) وليس (الجنرال ويڤل) هو الذي وضع أساس هذه النظريـة. فقد صـدر كتابه (الحملات الحربية بفلسطين) منذ سنة ١٩٢٨ . والمعروف أن (الحرب الصاعقة) و(قوات المشاة الميكانيكية) لم تكن قد ظهرت في الغـرب على نـطاق تنظيم القـوات المسلحة. وصحيـح أن انتـاج الدبابات والمركبات المدرعة قد ظـهر منذ الحرب العالمية الأولى، غير أن نظرية استخـدام هذه القـوات وفق نظريـة محددة، لم تكن قـد ظهرت بعد في كافة جيوش العالم. ويظهر أن استقراء مراحـل تطور السـلاح المدرع والقـوات الميكانيكيـة قد بقي في حـالـة من عـدم الوضوح حتى سنة ١٩٣٥ .

وكان الجدل العنيف مثيراً حقاً؛ سواء في الاتحاد السـوفياتي أو في بريطانيا ذاتها؛ بين إلغاء الاعتماد على الفرسان الخيـالة وبين الاعتماد على المولود الحديث ـ السلاح المـدرع ـ مع محـاولات التوفيق في تشكيـل القوات وتنظيمها اعتماداً على الأسلحة الحديثة، بينما تظهـر دراسات (ويڤل) أنه قد قرر مسبقاً؛ ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى، حقيقة أن الحرب الحديثة لن تكون إلا حرباً ميكانيكية ـ آلية ـ ليس ذلك فحسب؛ بل إنه أشار في أكثر من منـاسبة إلى مـا يجب أن يتوافـر للقوات الميكانيكية من الميزات؛ وما يجب أن يكون عليه تنظيمهـا وتسليحها.

ولا ريب أن (ليـدل هارت) وسـواه قد أفـادوا من محـاضـرات

(الجنرال ويڤل) ونظرياته، ولو أنهم غبنوه حقه في هذا المضمار، وتجاوزوه في الشهرة؛ ولعل وفرة ما كتبه (ليدل هارت) عن نظريته؛ ومعالجته لها المرة بعد المرة؛ قد أكسبه الشهرة التي لم يصلها الجنرال ويڤل رغم أنه هو أول من وضع النظرية في إطار من التكامل النسبي ـ وليس المطلق ـ إذ كان لا بد من مضي وقت طويل قبل تحقيق التوافق ـ أو التطابق ـ بين النظرية وبين تطبيقاتها العملية.

لقد برز دور (ويڤل) في مجال (التعلم والتعليم) من خلال اهتمامه بالتدريب والعمل على تطويره، سواء عندما عمل في قيادة الفرقة الثانية في ألدرشوت (سنة ١٩٣٢)، أو عندما جابه الأعمال القتالية ضد القوات الإيطالية (١٩٤٠ ـ ١٩٤١)، أو عندما تولى قيادة القوات في الهند (١٩٤٢ ـ ١٩٤٣). ففي هذه الحالات جمعيها؛ كان (ويڤل) يركز جهوده لتكييف التدريب وتطويره حتى يكون أقرب ما يمكن من الواقعية؛ وحتى يمكن عن طريق التدريب الشاق توفير الدماء في الحرب؛ وهذا ما يحقق في الوقت ذاته الارتفاع (بنوع المقاتل) من أجل التغلب على مشكلة (النقص العددي أو الكمي). ولقد استطاع (ويڤل) أن يقطف ثمار الجهد المبذول في التدريب من خلال ما حققه من انتصارات في ميادين ليبيا والحبشة والعراق وسوريا.

وإذا كانت هذه الانتصارات التي تألقت لبعض الوقت، لم تلبث أن أصيبت بالكسوف الجزئي بسبب الانتصارات التي حققها الألمان في اليونان وكريت وليبيا، ثم بسبب انتصارات اليابانيين في جنوب ـ

شرقي آسيا؛ فإن ذلك لم يكن إلا نتيجة طبيعية للتحولات الكبرى على مستوى السياسات الاستراتيجية للكتل الدولية المتصارعة (المحور ضد الحلفاء). ولم يكن (ويڤل) في هذا المضمار إلا جزئية صغرى في الأجهزة القتالية الضخمة التي زج بها على مختلف مسارح الأعمال القتالية، ولم يكن ذلك قصوراً في (نظرية ويڤل) أو تقصيراً في تطبيقها.

لقد كان (ويڤل) واحداً من الرواد البريطانيين في تطوير الفكر العسكري البريطاني - بل لعله في الطليعة الريادية - ولم يكن بلوغ هذه المرتبة بالأمر السهل؛ في مناخ المنافسة التقليدية بين قاعدة واسعة من أجيال القادة لدولة عظمى، ولعل ما وصل إليه (ويڤل) من التفوق في مجال الفكر العسكري؛ يعتبر برهاناً على أهمية ارتياد التاريخ العام-والتاريخ العسكري بصورة خاصة - بالنسبة للقائد الطموح الباحث عن المستقبل.

فلقد أفاد (ويڤل) فائدة كبرى من المعرفة التاريخية؛ لإجراء المقارنات بين التجارب التاريخية وبين متطلبات الواقع العملي؛ واستخلاص الأسس والمبادىء التي يمكن اعتبارها بمثابة الثوابت في الصراع المسلح (مبادىء الحرب). وهل نظرية (حرب الحركة) و(القدرة الحركية للقوات) و(أمن القوات) و(العامل النفسي أو المعنوي) إلا مبادىء الحرب الثابتة التي أخذت بها جميع الجيوش في دول العالم المختلفة؟..

ولقد تميز (ويڤل) في الواقع بتطبيقه لمبادىء الحرب بكفاءة

عالية. فلقد احتلت المباغتة عنده مرتبة مميزة، ومثلها أيضاً الإمساك (بالمبادأة) و(الحرص على أمن القوات). ولعل الأهم من ذلك؛ هو تطبيق كل مبدأ من المبادىء بحسب الظروف المحيطة بميدان المعركة؛ ووفقاً لمتطلبات القتال في إطار الحوار بين (الإرادات المتصارعة) فالقضية ليست قضية معرفة المبادىء ـ التي يعرفها الجميع ـ وإنما هي قضية اختيار المبادىء الصحيحة في المواقف المناسبة.

١٤ ـ التوازن على مسارح العمليات

يبرز من خلال مجموعة (مبادىء الحرب) التي طبقها (ويڤل) بكفاءة عالية مبدأ (تحقيق التوازن على مسارح العمليات)، وهو مبدأ يدخل في الواقع ضمن إطار (الأسس الاستراتيجية) التي طبقتها الأمبراطورية البريطانية في كافة حروبها الاستعمارية ـ منذ القرن الخامس عشر ـ.

فقد كان من المحال على بريطانيا وهي تسير في بناء أمبراطوريتها العظمى أن تشتبك في آن واحد بأكثر من حرب واحدة؛ وكان من المحال عليها أن تزج بكامل ثقلها في مسرح من مسارح العمليات؛ أو على أكثر من مسرح واحد. وكذلك أيضاً كان من الصعب عليها، إن لم يكن من المحال؛ الاعتماد على القدرة الحربية وحدها؛ فكان كل عمل قتالي؛ على أي مسرح من مسارح العمليات، يسير في إطار دقيق تمتزج فيه السياسة الاستراتيجية بمتطلبات الأعمال القتالية، ويتم في إطار هذه السياسة

الاستراتيجية تنسيق كافة الجهود وعلى كافة الصعد والمستويات (السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية)، مما كان يتطلب تنظيم جهاز استخبارات ـ جاسوسية ـ تتوافر له قدرة عالية من الكفاءة والخبرة.

ولم تكن (إنكلترا) وهي تسير على طريق بناء أمبراطوريتها العظمى في عجلة من أمرها؛ فكان لديها ما يكفي من الوقت لوضع المخططات المحكمة والدقيقة والمتكاملة؛ حتى إذا ما نضجت كافة العوامل؛ جاءت الضربة العسكرية لتكون تتويجاً لهذه الجهود كلها؛ وأداة لحسم الموقف حسماً نهائياً. ولعل قصة (القضاء على ثورة المهدي في السودان ١٨٨٣ ـ ١٨٩٨) تعطي صورة واضحة عن هذه السياسة ـ الاستراتيجية بعيدة المدى؛ والتي تعمل بصبر وطول أناة وجهد مستمر حتى تصل إلى غاياتها.

ولقد عاش (ويڤل) هذه التجربة، ودرس في رحاب المدرسة الاستعمارية البريطانية؛ وخاض حروبها منذ بداية حياته العسكرية (حرب البوير)، ثم تنقل بين أرجاء الأمبراطورية الواسعة (ما بين الهند والعالم العربي وأفريقيا)، وعرف ما هو متناثر في أرجاء الأمبراطورية من إمكانات ضخمة؛ يمكن حشدها في المكان والزمان المناسبين. وضمن هذا الإطار كان من المحال على (ويڤل) التفكير في أي مسرح من مسارح العمليات بمعزل عن بقية مسارح العمليات. وبذلك كان قادراً على متابعة أي تطور على مستوى السياسة ـ الاستراتيجية؛ مع إجراء تقدير صحيح لكل موقف على مسارح العمليات في إطار هذه السياسة ـ الاستراتيجية الشاملة.

لقد اتبع (ويڤل) أسلوباً كاد يكون واحداً في الحالات جميعها لتحقيق التوازن الاستراتيجي والتوازن على مستوى العمليات. وبالمستطاع تحديد هذا الأسلوب بما يلي:

١ ـ الالتزام بالدفاع واستنزاف قدرة الخصم بواسطة مختلف طرق الاستنزاف: الحرب الثورية؛ الإغارات والكمائن والعمليات الصغرى؛ الهجمات بالطائرات، إحباط إرادة القتال لدى الخصم وتدمير قواه المعنوية وعزله عن مصادر قوته المادية والمعنوية؛ ضرب مؤخراته وقواعد تموينه؛ وضعه دائماً في موضع التهديد بالخطر.

٢ ـ الاستعداد للهجوم المضاد بحشد كل القوى المتوافرة وزجها في المكان والزمان المناسبين لإحراز التفوق المادي بالقوى والوسائط على العدو؛ مع الارتفاع بمستوى التدريب لمجابهة الظروف المحتملة؛ والارتفاع بالروح المعنوية لقواته.

٣ ـ نقل ثقل العمليات من مسرح إلى مسرح آخر في مسارح الأعمال القتالية؛ اختيار كافة السبل المتاحة لضمان النجاح بحيث يتم هذا الثقل في الزمن والمكان المناسبين، سواء بالتحرك البحري أو الجوي أو البري أو بكل وسائط التحرك.

٤ ـ البحث عن الحسم بأشد عنف وأقصى سرعة، بفضل الإعداد الدقيق؛ والتمهيد المسبق؛ وجمع المعلومات الدقيقة عن تطورات الموقف.

٥ ـ اختيار الوقت المناسب لنقل ثقل العمليات من مسرح إلى مسرح آخر وتحديد الأفضلية ـ أو الأسبقية ـ لمعالجة المواقف في إطار سياسة استراتيجية متكاملة.

تظهر الحرب في القرن الأفريقي ـ الحبشة أو أثيوبيا ـ الأسلوب الكامل للجنرال (ويڤل) في معالجته لإدارة الحرب. فلقد شرع منذ إعلان الحرب في الإعداد للتدخل العسكري. وبذلت جهود مذهلة في أفق الصراع السياسي، وفي مجال عمل الاستخبارات ـ أو الجاسوسية ـ وفي استنزاف قدرة القوات الإيطالية المتفوقة بالقوى والوسائط، وحرمانها من حرية العمل العسكري ـ تجميدها في مواقعها ـ وعندما حان الوقت المناسب للعمل بعد أكثر من سنة ونصف السنة من التمهيد للتدخل العسكري، جاء هذا التدخل على شكل ضربة سريعة وحاسمة لم يستغرق تنفيذها ـ رغم الاتساع الكبير لمسرح العمليات ـ سوى الشهر وبعض الشهر، وأمكن لويڤل بذلك تحقيق مبدأ (الاقتصاد بالقوى)، فكانت الأعمال القتالية ـ باستثناء بعض المعارك الضارية على أبواب أديس أبابا ـ بمثابة مسيرة عادية للقوات في ظروف توافر فيها الأمن المطلق تقريباً للقوات.

والأمر مماثل على الجبهة الغربية ـ ليبيا ـ فقد استنزف (ويڤل) قدرة القوات الإيطالية على أبواب مصر، وتمكن من توجيه ضربته الحاسمة بعد أن شل القوات المعادية شللاً كاد يكون تاماً وكاملاً؛ وهذا ما يفسر حصوله على الأسرى ليس بالعشرات أو المئات أو الآلاف، بل بعشرات الآلاف ومئات الآلاف.

وتظهر الحرب هنا قدرة (ويڤل) على هجر الأسلوب التقليدي الإنكليزي في الإعداد الطويل للمعركة؛ فعندما وجد أن تطوير

الأعمال القتالية يتطلب منه السرعة في العمل للإفادة من مبدأي المباغتة والإمساك بالمبادأة، تخلى عن طريقته التقليدية في إدارة الحرب، وأخذ في مجابهة المواقف بحزم؛ واتخاذ القرارات وتنفيذها بسرعة مذهلة، فانطلقت قواته من السلوم حتى أبواب (بن غازي) بما يشبه السهم. وكان قراره بتحصين (طبرق) ودعم دفاعاتها؛ باعتراف القيادات المعادية ذاتها (الألمانية ـ الإيطالية) من القرارات التي ظهرت أهميتها بعد ذلك؛ والتي أفاد منها القادة الذين خلفوا (ويڤل) في قيادته، بداية من أوكلنك ونهاية بمونتغومري .

يظهر هنا وبشكل واضح التزام (ويڤل) الكامل بأسس الحرب للمدرسة الاستعمارية البريطانية؛ فهو تلميذ هذه المدرسة؛ ولقد عبر عن ذلك صراحة عندما وصف الحرب الأثيوبية بأنها حرب على الطريقة الإنكليزية من حيث الإعداد والتنفيذ. ولكن ومع هذا الالتزام؛ يظهر جانب الإبداع في نهج القيادة عند مجابهة المستجدات على ميادين القتال.

فالجنرال (ويڤل) لم يقف جامداً ولا حائراً أو متردداً؛ عندما تطلبت المواقف استنفار جميع موارد الإبداع والمبادهة، ووقف على الجبهة الليبية ذات الموقف الذي اكتسب فيه خلفه (مونتغومري) شهرته الواسعة.

لقد تعرض (ويڤل) لضغوط كبرى ـ داخلية وخارجية ـ خلال إداراته للحرب من أجل تعديل مخططاته؛ وعلى سبيل المثال؛ فقد عمل رئيس الوزراء البريطاني ـ ونستون تشرشل ـ على ممارسة

ضغط قوي على (ويڤل) من أجل نقل ثقل عملياته إلى اليونان؛ فيما كان الخطر الإيطالي يتهدد أبواب مصر. ولكن (ويڤل) قاوم هذا الضغط بعناد، وحشد ما أمكن له حشده من القوى والوسائط؛ لمجابهة الخطر المباشر، حتى إذا ما تم له إبعاد هذا الخطر ـ نسبياً ـ بادر إلى نقل ثقل قواته إلى اليونان في وقت لم يكن الصراع على جبهة ليبيا قد وصل إلى نهايته، وهذا ما حرمه من فرصة الوصول إلى (بن غازي) والقضاء على الوجود الإيطالي في (برقة وبنغازي) مرة واحدة. ومن المحتمل تفسير ذلك بأنه (خطأ استراتيجي فادح) إذ لو تمكن (ويڤل) من تحقيق هذا الهدف لحرم هتلر من فرصة زج الفيلق الأفريقي بقيادة رومل على المسرح الليبي.. ولكن كان على (ويڤل)، في الحالات كلها، تحقيق التوازن بين متطلبات مسارح العمليات والمتطلبات الاستراتيجية. وكان الدفاع عن اليونان يشكل هدفاً استراتيجياً. وإذن فقد بات باستطاعة (ويڤل) نقل ثقل عملياته طالما أنه أبعد الخطر المباشر الذي كان يتهدد قاعدة عملياته في مصر.

وهنا وفي إطار تحقيق التوازن الاستراتيجي على مسارح العمليات؛ يظهر دور (ويڤل) في إعطاء الأفضلية ـ أو الأولوية ـ لأمن قاعدة عملياته. فقد كانت مصر تمثل القاعدة الأساسية لكل توازن في المنطقة العربية وفيما حولها بداية من اليونان ومروراً بأفريقيا ونهاية بالعراق ومنطقة الخليج العربي. ولهذا فقد خصص جهده الكامل لحماية قاعدة عملياته الأساسية ضد كل الأخطار التي كانت تتهددها ـ بحراً وبراً وجواً ـ فكانت حربه، في ليبيا

والحبشة، هي من أجل ضمان الأمن لقاعدة عملياته، حتى إذا ما أمكن له تحقيق ذلك، انطلق وهو يتمتع بحرية العمل العسكري بكاملها، لنقل مركز ثقل عملياته من مسرح إلى مسرح آخر؛ من مسارح الأعمال القتالية.

وهنا أيضاً؛ يظهر نجاح (ويڤل) في تحقيق التوازن بين المتطلبات المختلفة لمسارح العمليات؛ وبين متطلبات السياسة الاستراتيجية (أو السياسة العليا). فقد كان من المحال على (ويڤل) ضمان الاستقرار على مسارح العمليات، ما لم تتوافر له القدرة على إبقاء قنوات الاتصال مفتوحة على مصاريعها لتأمين متطلبات مسارح العمليات بالقوى والوسائط. وبوضوح أكبر؛ فقد كان من المحال على (ويڤل) معالجة مشكلات الصراع المسلح على جبهتي مصر وحدهما (في ليبيا والحبشة)، وهو يعاني من الاختناق في قنوات إمداده بالقوى والوسائط؛ أو عندما يصبح معزولاً عن بقية مسارح العمليات. ولقد كان خطر المحور (الألماني - الإيطالي) يتهدده بالعزل سواء في البحر الأبيض المتوسط أو في المحيط الهندي والبحر الأحمر. فكان هدفه الأول هو ضمان الاتصال بقواعد بلاده الاستراتيجية وبمصادر إمداداته وتموينه. فلما تم له ذلك؛ أمكن له التحرك للانطلاق من (**قاعدته القوية والمأمونة**) لمعالجة المواقف على بقية مسارح العمليات.

ولقد استطاع (ويڤل) وهو يعالج هذا الموقف الصعب، أن ينتظر قدر المستطاع تطور الأحداث على بقية الجبهات. فقد كان

الموقف على جبهة العراق يتدهور يوماً بعد يوم ، وكان من الصعب على بريطانيا فقد السيطرة على هذا الإقليم العربي في ظروف الحرب الشاملة. غير أن التدخل العسكري ـ على هذه الجبهة بالذات ـ يتطلب تمهيداً مناسباً ـ بعمل سياسي شاق وبعمل أجهزة الاستخبارات وشبكات الاستعلام أو الجاسوسية ـ فيما كان ويفل لم يفرغ بعد من معالجة مشكلات الحرب على مسرح اليونان وعلى مسرح جبهتي مصر. وعندما شعر أن قاعدته ـ مصر ـ باتت بعيدة عن كل تهديد ـ ولو بصورة مؤقتة ـ أسرع إلى نقل ثقل عملياته إلى العراق.

ويعتبر التدخل ضد ثورة العراق في الواقع النموذج الكامل لأساليب (حرب الحركة) المتقدمة. ففي هذا التدخل تم تحريك رتل من القوات البرية(من فلسطين)، مع إجراء تحرك بحري في الوقت ذاته لنقل القوات عبر الخليج إلى البصرة؛ في وقت كانت هناك قوات أخرى تتحرك عن طريق الجو. ولقد تم تنسيق تحرك القوات في إطار جدول زمني محكم بحيث التقت كافة القوات على أبواب بغداد محققة التفوق الكامل بالقوى والوسائط. ولا ريب أن هذا التحرك ـ المركب ـ قد ترك أثراً معنوياً محبطاً ضد الثورة التي وجدت ـ وهي معزولة عن كل دعم خارجي ـ أنها باتت تحت ثقل (الجهاز الحربي البريطاني) بكامله.

ولقد جاءت عملية اجتياح سوريا بعد ذلك مباشرة بمثابة استثمار للنصر الذي تم إحرازه على جبهة العراق؛ وفي إطار

المبادىء ذاتها - عمل سياسي، وانتظار طويل، وتدخل في الوقت والمكان المناسبين.

غير أن هناك ظاهرة جديدة برزت على مسرح العمليات السوري؛ وهي الإفادة من انقسام الفرنسيين بعضهم ضد بعض؛ وضربهم بعضهم ببعض. وقد اعتبر ذلك بمثابة (مأساة بالنسبة لفرنسا) إذا استخدم الفرنسيون السلاح في حل صراعاتهم السياسية، وهو ما كان ديغول يحرص على تجنبه؛ وكذلك الفيشيون؛ غير أن السياسة البريطانية التي مارست بتفوق لعبة (فرق تسد) استطاعت أن تصل إلى هدفها عبر إثارة التناقضات وتعميقها.

ولقد كان من الضروري في الواقع، الخروج من الموقف غير الواضح للصراع بين الفرنسيين؛ ووضع التحالف مع الديغوليين - أو الأحرار - موضع الاختبار؛ وجاء نهج (ويڤل) تطبيقاً عملياً لهذا الاختبار على الأرض السورية، وهو الاختبار الذي ترك جرحاً عميقاً في الجسد الفرنسي؛ ظهر أثره حتى بعد انتهاء الحرب.

والمهم في الأمر؛ من وجهة نظر السياسة الاستراتيجية البريطانية؛ هو تكوين القاعدة القوية والصلبة في منطقة العالم العربي؛ والقضاء على نقطة الضعف التي كان باستطاعة المحور (ألمانيا خاصة) الإفادة منها واستثمارها.

أما بالنسبة لويڤل، فقد كان يهمه التكامل على مسرح العمليات المتصل لضمان الأمن لقاعدته الأساسية في مصر. ولا

ريب أن نجاح (ويڤل) في تحقيق هذا التكامل؛ وإخضاع العالم العربي بكامله للهيمنة البريطانية، هو الذي مهد بعد ذلك لتطوير العمل السياسي؛ وتطوير العمل العسكري؛ وهو العمل الذي وجد له تعبيراً في التحرك العربي نحو إقامة (الجامعة العربية) ووجد له تطبيقاً على المستوى العسكري بتوافر الإمكانات لبذل كل الجهود من أجل مجابهة قوات المحور المتعاظمة على جبهة مصر الغربية (ليبيا). وبذلك كان عمل (ويڤل) في المجالين السياسي والعسكري هو الذي مهد السبيل أمام الانتصارات اللاحقة التي أنجزتها القوات البريطانية.

لقد كان من المحال تحقيق التوازن على مسارح العمليات المتباعدة والتي شكلت مسرحاً قتالياً واحداً تحت قيادة واحدة، لو لم تتوافر للقوات العاملة على هذا المسرح قدرة حركية عالية. ولقد حافظت بريطانيا طوال عهدها الاستعماري على تفوقها البحري، مما ساعدها دائماً على الإفادة من هذا التفوق للتنقل بين مسارح العمليات؛ ولتأمين قدرة حركية عالية للقوات. ولقد جاء تطور وسائط الحرب البرية الميكانيكية ـ البرية ـ وتطوير وسائط النقل الجوي، لتسهم بدورها في زيادة القدرة الحركية للقوات المتنقلة.

ولقد لاحظ (ويڤل) أهمية القدرة الحركية منذ أن اجتاح (اللنبي) بلاد الشام. وأفاد بعد ذلك من تطورات القدرة الحركية في البر والجو؛ لتحقيق التوازن على مسرح عملياته الواحد، وكان ذلك بمثابة التجربة الرائدة والمبكرة بالنسبة للعالم العربي؛ فالتحديات

المفروضة على أفكار العربي في الأزمنة الحديثة، قد أظهرت مدى الحاجة لسياسة استراتيجية واحدة. وقد يكون من الصعب التفكير بمثل هذه السياسة الاستراتيجية إن لم تتوافر القوات القادرة على فرضها وتنفيذها. فلا غرابة إذن في أن تتجه كافة الأقطار العربية نحو زيادة الاعتماد على قوات تتوافر لها قدرة حركية عالية (على غرار قوات التدخل السريع).

وتتأكد هنا مرة أخرى حقيقة أن (الحاجة هي أم الاختراع). فلقد كانت الحاجة لتحقيق التكامل على مسرح العمليات العربي وضمان التوازن، هي التي دفعت (ويڤل) للتفكير منذ البداية بزيادة القدرة الحركية للقوات؛ واستخدام كافة الوسائل المتاحة أو المتوافرة. ولم يكن (ويڤل) يفتقر للإبداع من أجل اختيار الوسائل التي تلبي حاجة قواته في كل موقف من المواقف.

١٥ ـ بذراع واحدة وعين واحدة

فقد القدرة على تحريك ذراعه اليسرى منذ أيام (حرب البوير ـ ١٩٠٢) وفقد عينه اليسرى أيضاً في الحرب على الجبهة الغربية (١٩١٥). ولعل فقده لبصره في إحدى عينيه علاوة على العاهة المستديمة في ذراعه هي التي دفعت وزارة الحرب البريطانية إلى إرسال (ويڤل) إلى روسيا ليعمل على (تعلم اللغة الروسية) وبالتالي تنظيم شبكات الجاسوسية ـ الاستخبارات ـ في روسيا القيصرية. غير أن قيام الثورة الروسية، وخروج روسيا من الحرب، قد غير من مجرى الحياة التي أرادتها له وزارة الحرب؛ ولكن ما من ريب في أن

عمل (ويڤل) في الاستخبارات طوال سنوات متتالية قد أفاده كثيراً في معرفة أساليب عمل هذا الجهاز الخطير.

ثم جاءت تجربة (ويڤل) مع اللنبي ، فأبصر بعينه الواحدة ما لم يقع تحت أبصار الآخرين.

لقد رأى بداية تحول جديد وحاسم في إدارة الحرب؛ وفي تقنيات التسلح؛ واقتحم أفقاً جديداً عندما عاش (تجربة المؤامرة الكبرى لتدمير الأمبراطورية العثمانية واقتسام أرثها). وقد أشار إلى ذلك بصورة عارضة عندما قال:

«صدرت الأوامر للفرقة ستين والمدفعية الإضافية بالتحرك من ـ سالونيك ـ. ووصلت قوات من الهند وعدن فانضمت إلى القوات بمصر، وأضيفت إليها قوات فرنسية وإيطالية تم إرسالها لأهداف سياسية. فقد كانت للفرنسيين مطالب خاصة بفلسطين وسوريا، ولهذا لم يقبلوا أن تحتل هذه الأراضي قوات إنكليزية فقط. وقد استقر الرأي في الطريقة التي سيتم اتباعها في فلسطين وسوريا بعد تخليصهما من الأتراك في معاهدة ـ سايكس بيكو ـ بعد مخابرات سياسية. أما الإيطاليون فكانوا يطالبون بامتيازات دينية وراثية تخص كنائس القدس وبيت لحم ـ ولهذا أرسلت فصيلة البرساغليري».

وفي حديثه عن القدس يذكر ما قاله رئيس الوزراء البريطاني ـ لويد جورج ـ إلى الجنرال اللنبي؛ وهو يستحثه للإسراع في الاستيلاء على القدس:

«أريد أن تكون القدس هي هدية عيد الميلاد للأمة البريطانية ـ في سنة ١٩١٧».

وفي حديث (ويڤل) عن استيلاء الإنكليز على القدس كتب ما يلي:

«انسحب الأتراك آسفين من القدس في ليل ٨ / ٩ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩١٧. وخرج آخر تركي قبل الصباح المبكر وانتهى بذلك حكم الأتراك الذي دام أربعة قرون. وخرج عمدة القدس فسلم مفاتيح البلدة للجنرال... ونالت الأمة البريطانية هدية عيد الميلاد... وأخيراً؛ وبالرغم من أنه ليست للقدس أهمية استراتيجية؛ إلا أن احتلالها له أهمية معنوية عظيمة. إذ أن استعادة لأماكن المقدسة قد سر المسيحيين وأبهجهم، واعتبر ذلك خطوة خرى في امتهان تركيا ـ الدولة المسلمة ـ والتي سبق أن تم طردها من مدينتين مقدستين هما مكة وبغداد»(*)

وكذلك فإن في حديث (ويڤل) عن فلسطين، يعيد الربط بتاريخ فلسطين القديم في كثير من المواضع ـ مثل قوله: «كان الطريق العام يمر بوادي عجلون الشهير الذي مرت به هجمات عديدة، وجهت على قلاع ـ يهوذا ـ ومنها، منذ اليوم الذي أمر فيه يوشع الشمس أن تثبت حتى يتم دمار آل كنعان»...

هذا ما شاهده (ويڤل) بعينه الواحدة في فلسطين، فلما رجع إلى

(*) الحملات الحربية بفلسطين. ص ٨٤ و١١٠ ـ ١١١.

بلاده، وأُرسل منها إلى (فرساي) شاهد بالعين ذاتها بقية فصول المؤامرة التي دارت بين الكواليس لتجزئة العالم العربي ـ الإسلامي وتفتيته وتمزيقه. فلا غرابة إن هو سار مع المؤامرة حتى نهايتها؛ ولا غرابة أيضاً إن هو أسهم ـ قدر استطاعته ـ في القضاء على الثورة العربية الفلسطينية (١٩٣٧ ـ ١٩٣٨)، وعمل قدر استطاعته أيضاً؛ وتحت إشرافه، على تسليح اليهود وتنظيمهم (في الفصائل الليلية ثم تنظيم الأرغون زفاي ليؤومي) . وأفاد من ذلك عندما استخدمهم للعمل ضد الثورة العراقية ؛ وفي أعمال التجسس داخل مصر وفي اليونان وإيطاليا. ولقد فعل ذلك كله، في إطار السياسة ـ الاستراتيجية للاستعمار البريطاني. وكان طبيعياً أن يفعل ذلك؛ فهو تلميذ المدرسة الاستعمارية البريطانية؛ وهو منفذ سياستها؛ ولو لم يكن كذلك لاعتبر خائناً لبلاده؛ ولما وصل إلى ما وصل إليه من المجد والشهرة.

لقد كان من المتوقع أن ينصرف (ويڤل) وقد فقد القدرة على العمل بإحدى ذراعيه، ثم فقد البصر بإحدى عينيه؛ إلى ممارسة عمل مكتبي (بيروقراطي) يقضي فيه بقية حياته الجندية؛ غارقاً بين المشكلات الإدارية أو الفنية؛ مستسلماً للإجراءات الرتيبة ـ الروتينية ـ مقيماً في مكتب مظلم من مكاتب وزارة الحرب في عاصمة الضباب ـ لندن ـ ولعل هذا ما أرادته له وزارة الحرب عندما أوفدته إلى موسكو؛ ثم عندما أرسلته بمهمة ذات علاقة بعمله ـ الاستخبارات ـ سواء في فلسطين أو في عاصمة فرنسا ـ فرساي ـ. لكن إمكانات ويڤل وقدراته بقيت على ما يظهر أكبر

من أن تتسع لها حجرة منزوية يعيش فيها من يعيش إلى أن يغادرها بإحالته إلى المعاش ـ التقاعد ـ دون أن يصيب حظاً من الشهرة؛ ودون أن ينال شيئاً من (المجد العسكري). فغادر (وزارة الدفاع) وانتقل إلى (ألدرشوت) ليمارس قيادة قوة مقاتلة (لواء ـ ثم فرقة) وليختبر فيها نظرياته وآرائه عن تطوير التدريب وعن الحرب الميكانيكية. ولقد كان النجاح الذي حققه في هذا المضمار كافياً لإقناع وزارة الحرب أن فقد (ويڤل) لذراعه وعينه لا يشكل عائقاً يمنعه من ممارسة القيادة، فتم إرساله إلى (فلسطين)، ليطبق فيها أساليبه (السياسية ـ العسكرية) التي أتقنها. وجاء نجاحه الجديد ليضعه على رأس قيادة القوات في العالم العربي المحتل (الشرق الأوسط).

وعندما حقق ذلك النجاح الكبير في تحقيق التوازن لمسرح عملياته، وعندما وصل الصراع إلى مرحلة التحول الحاسم من أجل إحراز النصر الكامل؛ نقل إلى الهند، ليبدأ من جديد؛ ومن نقطة الانطلاق التي بدأ بها في مصر ـ وهي نقطة الانهيار شبه الكامل ـ

وبدأ (ويڤل) عمله؛ دون يأس ولا قنوط؛ دون كلل أو ملل، عمل مستمر، في مواجهة (طوفان الكوارث المتتالية). ولم يكن خطر الطوفان يتهدد شخص (الفيلد مارشال ويڤل) وإنما بات يتهدد الأمبراطورية التي عمل من أجلها طوال حياته.

لقد تطلب العمل على جبهة الهند تطبيق أساليب تكتيكية

ـ تعبوية ـ جديدة، مع إجراء تطوير في العمليات القتاليـة؛ بهدف استنزاف قدرة اليابانيين من جهة؛ ولزيادة القـدرة القتاليـة لقوات الحلفاء من جهة ثانية.

واستقـدم (ويڤل) للعمـل هنا أيضـاً قائـد الأعمال الثـورية في الحبشة ـ ومدرب عصـابات اليهـود (وينغيت) الذي استـطاع في عمليات (إيمفال) و(شينديت) تحقيق نجاحات مذهلة.

ولجأ (ويڤل) من جـديد إلى استخـدام وسائط النقـل الجـوي لتشكيـل قواعـد في وسط مناطق احتـلال اليابـانيين؛ وكـان لهـذا الأسلوب دوره في إشغال اليابانيين وصرف جهودهم عن الهند؛ مما أتاح للقائد الأعلى (ويڤل) الفرصة الزمنية التي يحتاجها لإعادة بناء القوات المسلحة؛ والارتفـاع بمستوى تـدريبها، وزيـادة رصيدهـا المعنوي. وأمكن بعد جهود مضنية تحقيق التوازن الاستراتيجي على مسرح العمليات وعندما تم الوصول إلى هذه المرحلة؛ جاء أميرال البحر (مونتباتن) ليبدأ المرحلة الجديدة والحاسمة في حرب المحيط الهادي وفي جنوب شرق آسيا.

هـل كان من قـدر (ويڤل) أن يعمـل دائماً لإنقـاذ المواقف من الانهيار؛ وأن يجري التحولات الحاسمة، ممهداً الطريق أمام غيره من القادة لقطف ثمار جهوده وإحراز النصر الحاسم؟.

وبكلمة أخرى: هل كان (الفيلد مارشال ويڤـل) سلماً يصعد عليه الصاعـدون؛ وليس عليه إلا بـذل الجهد والإبـداع ومجابهـة الأزمات؟...

إنه رجل الأزمات؛ ما في ذلك شك أو ريبة؛ وهو رجل المواقف الصعبة والمآزق الحرجة، ولكنه لم يكن سلماً للصعود، ولو كان ذلك لما حمل لقب (سير) و(فيلد مارشال) و(نائب ملك بريطانيا في الهند).

لقد كان (ويڤل) جندياً حقاً؛ وحياة الجندية هي حياة العطاء للأمة التي ينتمي إليها الجندي ويضع سيفه وفكره في خدمتها والدفاع عنها. وليس مهماً بالنسبة للجندي أن يحصل على الثمن المقابل من امتيازات ومناصب وترفيعات، وإن كانت هذه ضرورة حتمية للتعويض عن بعض ما يقدمه الجندي لوطنه وأمته. ولقد قدرت بريطانيا لقائدها ويڤل جهوده وخدماته، ومنحته ما يستحقه. أما بالنسبة لحرمانه من فرصة قطاف ثمار جهوده؛ فهي مسألة ثانوية بالنسبة لبناء الأمم؛ وبالنسبة للهدف النبيل الذي يعمل من أجله الجندي، وليس بالمستطاع هنا تقويم هذا (الهدف النبيل).

فالهدف النبيل بالنسبة للجندي الإنكليزي خلال مرحلة الاستعمار الغربي هو هدف بغيض ومقيت ومحروم من كل الفضائل النبيلة والقيم الإنسانية بالنسبة للشعوب التي عمل هذا الجندي ضدها. وعلى هذا، وكما أن (للهدف) قيمتين متباينتين؛ فكذلك الأمر بالنسبة للجندي الذي يخدم هذا الهدف، فهو بطل وطني وقومي؛ وهو رجل الفضائل بالنسبة لأمته ووطنه؛ وهو رجل النذالة والغدر والخيانة (وأحياناً مجرم الحرب) بالنسبة لمن يقفون

ضد أمته. وهكذا كان ويفل، بطل بريطانيا العظمى ومنقذها في أزماتها؛ عدو الشعوب وقاهرها ومجرم حربها (في العالم العربي والهند).

لقد استطاع الجنرال الياباني (ياماشيتا) قهر الاستعمار الأوروبي في جنوب شرق - آسيا؛ واحتلت قواته بورما وسنغافورة، واعتبرته اليابان بطلها القومي. فلما انتصر الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، تم اعتقال (ياماشيتا) وحوكم وأعدم (سنة ١٩٤٥) واعتبر مجرماً من مجرمي الحرب. وانتقمت بريطانيا - بإعدامه - لما نزل بها من الهزائم على يديه، في سنغافورة خاصة، في حين بقي (ويفل) نائباً لملك بريطانيا في الهند، لأنه خدم بلده الذي حقق الانتصار في النهاية - والويل للمهزوم.

فالقادة الألمان الذين أذهلوا العالم بإبداعهم في (فن الحرب) ما لبثوا بدورهم أن تحولوا إلى (مجرمي حرب)، وتم إعدام عدد كبير منهم (في محاكمات نورمبرغ) بينما بقيت أكاليل الغار والأمجاد تزين كاهل المنتصرين من أمثال جوكوف وأيزنهاور وفاسيليفسكي وماك آرثر وسواهم.

لقد أثار (ويفل) ضجة كبرى في طريقته في (إدارة الحرب). فقد أمكن له بقوات قليلة جداً تحقيق انتصارات مذهلة، واعتمد في نجاحه اعتماداً كبيراً على المخططات الخداعية. فقد أقام تحصينات هيكلية، ومطارات هيكلية، ونظم مناورات خداعية وأمكن له دائماً إخفاء نواياه وأهدافه على نحو ما سبق عرضه. فهل

كان لجوء (ويڤل) إلى المخططات الخداعية، وتطويرها؛ هو ميزة انفرد بها ويڤل؟. وبكلمة أخرى هل كان (ويڤل) هو مبدع المخططات الخداعية الملازمة لمخططات الأعمال القتالية الحقيقية؟..

لقد عرف تاريخ (فن الحرب) خطط الخداع؛ منذ أقدم عصور التاريخ؛ فالحوار بين الإرادات المتصارعة؛ والبحث عن الحسم في الصراع المسلح؛ وتغطية نقاط الضعف مقابل البحث عن الوسائل للتغلب على نقاط القوة لدى الخصم؛ كل ذلك أرغم قادة الحرب لاستخدام كل الوسائل المتاحة لتضليل الخصم وخداعه. ولقد اختلفت هذه الوسائل وتباينت على امتداد العصور. وكان العقل المبدع للإنسان قادراً أبداً على استخدام الوسائل المناسبة للتضليل والخداع. وهل هناك بين العرب من يجهل خداع أذينة للزبّاء عندما استطاع أذينة تحميل الجمال بالرجال المدججين بالسلاح، على شكل قافلة تجارية أمكن الوصول بها إلى عاصمة الزباء؟ ثم هل هناك من يجهل قصة (حصان طروادة) التي تدل - إن كانت حقيقة أو أسطورة - على أهمية الخداع في الحرب؟ لكن مخططات الحرب تطورت تطوراً كبيراً في الأزمنة الحديثة؛ وتزايدت تعقيداً، بحيث بات من المحال اعتماد وسيلة واحدة أو طريقة معينة؛ بل بات لزاماً استخدام مجموعة متكاملة من السبل والوسائل - على جبهتي الصراع - في إطار مخطط دقيق ومحكم؛ يسبق تنفيذ المخطط الحقيقي للأعمال القتالية، ويرافق تنفيذه وقد يمتد إلى ما بعده، إمعاناً في الخداع والتضليل؛ وترميماً وإصلاحاً لما تم كشفه من هذا

المخطط الخداعي؛ حتى يغطي المرحلة التالية من الأعمال القتالية، والتي تتصل فيها دائماً الأعمال القتالية بالأعمال الخداعية.

لقد تميزت المدرسة الاستعمارية البريطانية بإتقانها المحكم للمخططات الخداعية؛ ليس على مستوى السياسة ـ الاستراتيجية فحسب، وإنما على مستوى العمليات وعلى المستوى التعبوي ـ التكتيكي ـ أيضاً. ولقد كان (ويڤل) تلميذاً لهذه المدرسة وأستاذاً لها في آن واحد. فلا غرابة إن تمثلت فيه ـ وفي أعماله ـ ملامح المدرسة البريطانية وأولها وأبرزها ـ الخطط الخداعية.

هذا من ناحية؛ ومن ناحية ثانية؛ فقد عاش (ويڤل) تجربة اللنبي، في الحملات الحربية بفلسطين.. وكان اللنبي من القادة الذين يعتمدون اعتماداً كبيراً على الخطط الخداعية. وقد اقتبس (ويڤل) عن اللنبي كثيراً من أساليبه وطرائقه. وكان من المتوقع لعقل مبدع؛ وفكر باحث؛ مثل عقل ويڤل وفكره، أن يعمل باستمرار على تطوير مخططاته الخداعية؛ واضعاً في اعتباره قدرة الخصم على التضليل والخداع أيضاً؛ ولهذا تميزت مخططات (ويڤل) الخداعية بشدة تركيبها وتعقيدها.

ولم يكن (ويڤل) على كل حال؛ هو أول من أبدع المخططات الخداعية، وليس هو آخر من عمل فيها؛ ولكنه استنفر كل مواهب العقل والخيال لإبداع مخططاته الخداعية بحيث ظهرت وكأنها امتياز خاص بالجنرال (ويڤل).

اشتهر (ويڤل)، فيما اشتهر به أيضاً، باهتمامه الكبير بالتأمين

الإداري للقوات؛ والتنظيم (بالإمداد الفني). وقد يكون ذلك أمراً طبيعياً ومتوقعاً من كل قائد ناجح؛ ولم يكن (ويڤل) بالقائد الفاشل يقيناً. ولهذا فإن اهتمامه بأمر الجندي، وتأمين متطلباتـه، وضمان الحد الضروري من الإمدادات بالذخائر والوقـود والمواد التمـوينية والمياه وسواها هو في جملة العوامل المساعدة على تحقيق المهمة بنجاح - إن لم يكن في طليعة تلك العوامل - . ولقد اكتسب هذا العامل أهمية متعاظمة في الجيوش الحـديثة؛ نـظراً لارتفاع مستـوى الحياة الطبيعي.

هذا من ناحية؛ ومن ناحية ثانية؛ فإن (طبيعة حرب الحركة) قد أضافت أعباءً جديدة عـلى كاهـل الأجهزة الإداريـة؛ إذ بات من المحال دعم القدرة الحركية للقوات بدون تأمين متطلباتها الإدارية والفنية. كما إن المعركة الحديثةباتت تستهلك من الأسلحة والذخائر كميات مذهلة مما فرض بالضرورة بذل المزيد من الاهتمام في تنظيم خطة الإمداد الإداري والخطة الفنية. ولقد تنبأ (ويڤل) مسبقاً بكل هذه المتطلبات، ثم رافق تطورات القوات الميكانيكية في تنظيمهـا وتسليحهـا وأعمالهـا القتاليـة، فكـان لـزامـاً تجنب كـل فشـل في العمليات وذلك ببذل أقصى جهد لتأمين القوات إدارياً وفنياً.

هذا من ناحية أيضاً؛ ومن ناحية ثانية؛ فقد توافرت (لبريطانيا العظمى) موارد لا نهاية لها تساعدها على دعم احتياجات قواتها، ولم تبق إلا قضية (التنظيم الإداري والفني).

وكان (ويڤل) بحق منظماً إدارياً رائعاً؛ وضابـطاً فنياً ممتـازاً، مما

أبـرز دوره في هذا المضمـار بتفوق، وكـان ذلك في جملة عـوامـل النجاح التي ارتفعت بالقائد (ويڤل) إلى مستوى القادة العالميين في إدارة الحرب.

بذراع واحدة، وبعين واحدة، مضى على درب الحياة الشـاق، ووقف دائماً صامداً وسط الزوابع والأعاصـير، لم تلن له قنـاة؛ ولم يداخله اليأس في وسط الظلمة الحالكة التي طـالما أذهلت العقـول وزاغت لها الأبصار.

وقف دائماً صامداً كما يجب للجندي أن يقف دفاعاً عن مصالح شعبه ووطنه.

إنـه مثال للجنـدي؛ ولما يجب أن تكـون عليه حيـاة الجندي؛ تضحيـة وإخلاص؛ وعمـل دؤوب ومستمـر لا يعـرف الـوهن أو التخاذل، وعقل متفتح أبداً للتعلم والتطور، واستعداد للتجديد؛ فالحياة لا تقف أبداً؛ وتيار التطور يتدفق باستمرار؛ فمن استطاع السير مع تطور الحياة، ومن أمكن له سبق هذا التيار؛ فاز وانتصر، ومن تمهل وتباطأ، تجاوزه التيار وأغرقه.

ولقد عاش (ويڤل) حياة شـاقة فعـلاً، بدأهـا بحرب البـوير، وأنهاها بحرب الهند. ولكل قائد كبير حياتـه المثيرة والشـاقة في آن واحد، غير أن العناء والمشقة تغلبا على حياة (ويڤل) المثيرة . . فهو قد عاش حياته بالحرب ومن أجل الحرب ولا شيء غير الحرب. فيا لها من حياة شاقة ؟. وكان عطاء ويڤـل (لفن الحرب) كبيـراً وقد يكـون لهـذا العـطاء (خصـوصيتـه) الإنكليـزيـة، غـير أن هــذه

الخصوصية لا تحد من فائدته الشاملة. وهناك ما يمكن تعلمه دائماً من التجارب الخاصة ـ المحدودة ـ والتجارب العامة ـ الشاملة ـ.

لقد عرف عن (ويڤل) رغبته في تجنب (الأضواء) بخلاف مواطنه (مونتغومري). وكان يحرص دائماً على البقاء في الظل؛ والانصراف إلى العمل بهدوء وصمت. وهو إذا ما أثار ضجيجاً -في بعض ظروف الحرب- فليس ذلك إلا بهدف مرسوم وغاية معينة تصب في تيار الحرب ذاته، وفي إطار مخطط الحرب ذاته، لا أكثر أو أقل.

عاش (ويڤل) في ظل أمبراطورية لا تغرب عنها الشمس؛ وبذل جهده طوال حياته جندياً مخلصاً لتثبيت دعائم هذه الأمبراطورية؛ حتى إذا ما تجاوز الستين من عمره وأصبح نائباً لملك بريطانيا في الهند، نظر فيما حوله؛ فوجد أن هذه الأمبراطورية التي أفنى حياته من أجلها قد تخلفت عن الزمن؛ ونهضت مكانها دولتان عظميان هما الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأميركية. ولقد هزت الحرب العالمية الثانية دعائم أمبراطوريته بقوة وعنف، فليغمض عينيه ـ أو عينه الباقية له ـ مرة واحدة وإلى الأبد، قبل أن يشهد انهيار تلك الدعائم.

بسام العسلي

قراءات

قراءات
١

رأي (ويڤل) في القائد والقيادة

يجب أن يكون القائد قوياً في جسمه وعقله؛ ومن المفضل أن يكون صغير السن؛ ولعل أفضل سنوات العمر للقائد هي بين الأربعين والخامسة والأربعين؛ أو أقل من ذلك بعشر سنوات في زمن الحرب: ويجب أن يعنى بتدريبه ـ في بداية الأمر ـ على الطريقة الكشفية (*) حتى يتم تنمية موهبة المبادأة لديه، وحتى يستطيع التفكير بنفسه.

(*) الطريقة الكشفية (أو طريقة بادن باول) رائد الكشفية؛ ويظهر هنا تأثر (ويڤل) بحرب البوير التي عاشها (ويڤل) مع بداية حياته العسكرية. وبادن باول هو جنرال بريطاني: BARON - BADEN - POWELL, ROBERT STEPHEN-SON SMYTH. (١٨٥٧ ـ ١٩٤١) خدم في الهند ١٨٧٨ ثم في جنوب أفريقيا ١٨٩٥، حيث قام بادن باول في هذه السنة بقيادة حملة استكشافية ـ استطلاعية ـ في غربي أفريقيا. ثم عين رئيساً لهيئة أركان القوات البريطانية في جنوبي أفريقيا. وعين قائداً لقوة حرس الدراغون الخامس في الهند (١٨٩٧ ـ ١٨٩٩) عاد بعدها إلى جنوب أفريقيا، قائداً أعلى للجبهة الشمالية ـ الغربية، فخاض حرب البوير؛ ونظم قوات خاصة من (البوير) لم يتجاوز عدد أفرادها ستة آلاف رجل، غير أنها كانت ذات فعالية كبيرة. وعندما انتهت الحرب سنة ١٩٠٣ عين مفتشاً عاماً =

ويجب أن يحصل الضابط على قسط وافر من المعلومات العامة؛ وأن تكون نظرته للحياة واسعة وشاملة، علاوة على ما هو مطلوب توافره فيه من المعرفة والكفاءة القيادية. وإنه لأمر ضروري تعميم نظام تبادل الضباط في جميع أسلحة الجيش وفروعه.

وعلى الضابط أن يبقى أبداً نشط الجسم متوثب العقل، فالضابط المثالي لا يخشى شيئاً ولا يخاف أحداً.

وكذلك على الضابط في مجال التدريب أن يعرف المستوى الأعلى منه والمستوى الأقل؛ فتمرين اللواء يجب ألا ينتهي (بمؤتمر اللواء) وإنما يجب أن يناقش على مستوى الفرقة وأن يناقش أيضاً على مستوى الكتائب.

إن الوسائط القتالية في تغيير مستمر؛ ويتبعها تغيير في القتال والأساليب التكتيكية، غير أن هناك ثمة صفات ثابتة ودائمة ستبقى ضرورية للقائد مهما تغيرت الظروف؛ ومهما تبدل الزمن. فالقائد هو الذي يحرص على تأمين الطعام لجنوده وإمدادهم بكافة ما يحتاجونه من الأعتدة المتنوعة. وهو الرجل ذو الخيال الواسع الذي يستطيع وضع المخططات العملية ويشرف على تنفيذها؛ قوي الملاحظة؛ صبور لا يعرف الملل أو السأم، حاذق، رؤوف قاس؛ أمين محتال؛ مبذر شحيح؛ بخيل كريم؛ متأن عجول؛ على معرفة

= للخيالة. وفي سنة ١٩٠٨، ترك الجيش ليتفرغ لتنظيم الحركة الكشفية وتدريبها. ولم تلبث هذه الحركة أن أصبحت عالمية؛ وعنها اشتقت (حركة الطلائع) في النظام الاشتراكي.

جيدة بالأسس التعبوية ـ التكتيكية ـ ، مقداماً جريئاً؛ يمتلك روح المغامرة ويقدرها حق قدرها؛ على اعتبار أنها وحدها هي التي تقدم له أفضل النتائج. ويمكن اعتبار دراسة طبيعة الأرض؛ والقدرة على تأمين الحركة للقوات وإمدادها بمتطلباتها على تلك الأرض هي البرهان على ما يتوافر للقائد من اليقظة ومن الوعي العسكري.

إن الشجاعة هي فضيلة يجب أن يتحلى بها جميع الجنود: شجاعة في القلوب لمجابهة رصاص الأعداء؛ وشجاعة في العقول لمجابهة المستجدات والتطورات المستحدثة. وأنصح للقادة أن يبذلوا اهتماماً أكبر من سابقيهم بالتطورات الفنية للوسائط القتالية؛ وأن يعرفوا معرفة تامة ميزات الطائرات وطرق استخدامها؛ والدبابات وقدرتها؛ وكذا المركبات المدرعة ووسائط الاتصالات والأجهزة اللاسلكية، واستخدام الدخان، ووسائط الحرب الكيميائية وطرائق استخدامها؛ وتنظيم الإمداد والتموين؛ وهندسة الميدان؛ والحرب النفسية؛ والأهم من ذلك كله المعرفة التامة بطبيعة الرجال.

إن باستطاعة القائد الوصول إلى أفضل النتائج، وتحقيق أكبر الأهداف؛ إذا ما منح مرؤوسيه القدر الكافي من حرية العمل العسكري بما يتناسب وقدرة كل واحد؛ وفي حدود استطاعته. ومن المهم المحافظة على أمن الجنود وراحتهم؛ ولا ريب أن الجنود يعجبون؛ ويبتهجون؛ للقائد الصلب عندما يرون أن قسوته وصلابته إنما هي لمصلحتهم، ولما فيه خيرهم.

قراءات
٢

ويڤل وحرب الحركة

يعتبر نجاح الاقتحام ثمرة من ثمار خفة الحركة والقوة في الهجوم؛ مما يبرز أهمية السرعة وثبات العزيمة؛ حتى لو لم تتوافر نيران الدعم؛ ولو لم تتحقق المباغتة التامة. وقد حدث في إحدى عمليات الاقتحام؛ أن تم الهجوم بصورة مباغتة لم يكن العدو يتوقعها؛ إلا أن العدو اكتشف رغم ذلك انطلاقة الهجوم خلال الألف وخمسمائة متر الأخيرة؛ بحيث أصبحت قوات الهجوم معرضة كل التعرض لنيران أسلحة المشاة الفردية ـ بواريدهم ـ ومدافعهم الرشاشة وحتى القذائف المدفعية؛ وبالرغم من ذلك؛ أمكن لقوات الهجوم أن تصل إلى أهدافها. ولم تكن قوات العدو بالقوات المهزومة أو المشتتة الضعيفة؛ أو المنهارة معنوياً؛ بل كانت قوات ثابتة؛ وصلبة؛ وتدافع عن مواقع حصينة.

يجب عند البحث في استخدام فرسان المستقبل ـ وهي السيارات المدرعة الخفيفة ـ ألا ننسى الدروس المستخلصة من كافة الحروب؛ وهي أن السرعة ستبقى أكثر أهمية من الدروع في حماية القوات ووقايتها. فقد كان الفارس منذ أكثر من ستمائة سنة وهو

يتمتع بحماية دروعه من المقذوفات، ولهذا لم يكن في حاجة للسرعة في ميدان القتال، حتى أصابته السهام التي تخترق الدروع. ولو أن الفرسان الذين أصابتهم السهام قد ساروا بخطوات أسرع من تلك التي ساروا بها، لما تمكن أقوى رماة السهام من الاحتفاظ بصفوفهم سليمة ومتراصة.

لقد قيل بأن حملات فلسطين (١٩١٧ ـ ١٩١٨) كانت خير برهان لأهمية الفرسان الخيالة، ودورهم في الحروب الحديثة. ولكن حقيقة الدرس ليست في فائدة الفارس بل في قيمة خفة الحركة وقوتها. وتبرز تلك الحملات هذه الحقيقة بشكل واضح تماماً؛ وهي من أجل ذلك تستحق أن تدرس دراسة دقيقة؛ إذ أن الهدف الأسمى للفكر العسكري في الوقت الحاضر هو في استعادة القدرة الحركية والمناورة بعد أن ضاعت هذه القدرة في العمليات الأساسية على جبهة أوروبا الغربية (فماتت حرب الحركة وماتت معها المناورة في حرب الخنادق).

لننظر الآن بإيجاز إلى الأعمال الاستراتيجية والتكتيكية الرائعة التي قامت بها القوات الراكبة في هذه الحملات. ففي المغضبة سارت فرقة راكبة سيراً ليلياً لمسافة ثلاثين كيلومتراً وباغتت قوة تركية منعزلة في موقع حصين؛ وطوقتها؛ ثم عادت لقاعدتها وسارت مسافة الثلاثين كيلومتراً للمرة الثانية ـ في طريق إيابها ـ وقد تم ذلك كله في أقل من ثلاثين ساعة.

وتم في عملية (رفح) تنفيذ مهمة مماثلة؛ من حيث المسافة

والوقت ومن حيث تحقيق النجاح أيضاً. وتمكنت القوات الراكبة في موقعة (غزة) الأولى؛ ثم في (بئر السبع)، من الوصول إلى مؤخرة المواقع التركية، ومهاجمتها من الاتجاه الذي لم يكن من المتوقع الانطلاق منه للهجوم؛ ولم يكن بالمستطاع أن تتمكن القوات المهاجمة من تنفيذ واجبها الهجومي لو لم تتوافر لها القدرة الحركية والمرونة العالية.

ولقد ظهرت أهمية المرونة وخفة الحركة في أعمال المطاردة، إذ أنها أرغمت الجيش التركي في أعقاب معركة غزة على التراجع لمسافة زادت على المائة كيلومتر؛ مع ما رافق ذلك من إنزال الخسائر الفادحة في القوات التركية وتشتيتها. ولقد برهنت هذه الأعمال القتالية أيضاً أن الصعوبات الجغرافية ـ وعورة الطرق والمرتفعات ـ وكذلك الأحوال الجوية السيئة ـ الأمطار والضباب ـ لا تشكل عوائق أمام المناورة وخفة الحركة.

ويمكن اعتبار وقائع (عمليات المجيد) هي أوضح مثال عن قوة الفرسان في تاريخ الحرب عامة. ففي المرحلة الأولى من هذه العمليات قطعت فرقة واحدة أكثر من مائة كيلومتر في (٣٤) ساعة. ولقد كانت المطاردة المستمرة إلى دمشق ثم إلى حلب مدهشة حقاً، فقد سارت فرقة الفرسان الخامسة لمسافة ألف كيلومتر تقريباً في مدة (٣٨) يوماً متتالياً.

ولعل أفضل وسيلة لإبراز القوة التي تمنحها خفة الحركة للعمليات هي في إجراء مقارنة للوقت الذي تحتاجه قوة من المشاة

للقيام بالعمل الذي تقوم به الفرسان. فالمشاة تحتاج من أجل الوصول إلى (المغضبة) أو (رفح) إلى يوم كامل تسير فيه سيراً مرهقاً فوق صحراء سيناء التي يصعب السير عليها، ثم تحتاج إلى ساعتين أو أكثر بعد وصولها لتطويق موقع العدو تمهيداً للهجوم عليه. وقد قامت الفرسان بذلك العمل في أقصر وقت. كما تفقد المشاة خلال المسير الطويل جزءاً كبيراً من قوتها التي تحتاجها للقتال العنيف. وقد يكون من المحال عليها السير للعودة ـ الإياب ـ إن لم تسترح يوماً على الأقل.

والأمثلة كثيرة بعد ذلك عن الاستخدام الاستراتيجي للسلاح الراكب؛ أما عن الاستخدام التعبوي ـ التكتيكي ـ فوق أرض المعركة، ففي الحملات الحربية بفلسطين أيضاً الكثير من الأمثلة الجيدة. فالاقتحام عند (بئر السبع) أو عند (المغار) وغيرهما كان بياناً عملياً واضحاً لصدق المثل القائل: «**بأن السرعة هي درع واق للقوات**». وقد ظهر بوضوح أن الهجوم الراكب قد يصل إلى هدفه بشرط ألا يصطدم بمانع طبيعي يوقفه. ويمكن بفضل السرعة وحدها تحقيق هذا الهدف، بينما يكون هجوم المشاة بطيئاً وكثير التكاليف.

هذا من جهة؛ ومن جهة ثانية فقد برهنت التجارب في هذه الحملات؛ على أن خفة الحركة قد تفقد الكثير من قيمتها وأهميتها ما لم تقترن بدعم نيران كافية، وكاد ضعف تشكيلات الفرسان في قوة النيران، يشكل خطراً كبيراً على القوات عند هجومها عند

المغضبة وبئر السبع ورفح ؛ حيث كاد التأخير الطويل بسبب المقاومة عند تل السبع ؛ يعطي الحامية التركية وقتاً كافياً لتخريب الآبار ثم الانسحاب.

يمكن ؛ على ضوء ما سبق ؛ البحث فيما إذا كان باستطاعة القوات الميكانيكية - الآلية - أن تقوم بما اضطلعت به قوات الفرسان في الحملات الحربية بفلسطين، وتنفيذ ذلك بسرعة أكبر وبخسائر أقل.

وقد يكون من غير المفيد التفكير في محاربة أو مقاومة حقائق التجارب الماضية؛ أو الحملات العسكرية القادمة؛ بحجة أن امتلاك أحد الجانبين لأسلحة أحدث؛ معناه تعديل الجانب الآخر لأسس استراتيجيته وأساليبه التعبوية - التكتيكية - لإدخال الإجراءات المضادة. ومن هنا تظهر الفائدة في بحث ما قد تمتلكه القوة المحمولة على عربات ميكانيكية من القوة النسبية والمرونة الحركية؛ بالمقارنة مع ما عرفته هذه الحملات؛ والتي اعتبرت من أكثر حملات الحرب العظمى - العالمية الأولى - خفة في الحركة.

لقد بات واضحاً كل الوضوح أن القوات الميكانيكية تمتاز كثيراً على قوات الفرسان في قوة النيران وفي الوقاية. ولا ريب أن استخدام عربات القتال المدرعة سيضمن نصراً مؤكداً، بشرط أن يتم زج القوات الميكانيكية في الوقت والمكان المناسبين. ولو توافرت بعض الدبابات في عمليات المغضبة أو رفح أو بئر السبع ؛ أو لو سمح التجهيز الميكانيكي بتوافر مدفعية مناسبة لمساعدة

القوات الراكبة، لمضت القوات الميكانيكية في مطاردتها دون أن تعبأ بنقص المياه ـ على نحو ما كان عليه الأمر مع القوات الراكبة؛ الفرسان ـ ولأمكن بذلك القضاء على الجيوش التركية في سنة ١٩١٧، بدلاً من سنة ١٩١٨، ولم تكن نتيجة القتال لتبقى معلقة؛ وغير أكيدة؛ طوال تلك الفترة.

هناك ثلاثة عوامل قد تساعد على زيادة القدرة الحركية للقوات الميكانيكية، أو قد تحد من فائدتها، هذه العوامل هي: طبيعة الأرض، والتنظيم الإداري والفني، والإخلاء للجرحى والأسرى.

لقد كانت الأرض مناسبة جداً للحملات الحربية بفلسطين؛ فصحراء سيناء لم تكن لتسمح وقتئذ بسير أي نوع من أنواع الحملات الميكانيكية التي كانت متوافرة. ولكن معظم فلسطين وسوريا هي مناسبة تماماً؛ في معظم مناطقها؛ لاستخدام القوات الميكانيكية. فهناك السهول الممتدة المنبسطة التي لا تتوافر فيها إلا الموانع القليلة. فالسهول الساحلية بفلسطين والشعرون؛ والأرض بين درعا ودمشق؛ والهضبة المسطحة ما بين حمص وحماه وحلب، كل هذه ميادين مناسبة لتحركات العربات الميكانيكية ـ الآلية ـ ومناوراتها. وقد قامت المركبات المدرعة؛ ودوريات السيارات الخفيفة التي اشتغلت مع القوات الراكبة بأعمال قيمة في هذه الأراضي؛ وبالمقابل؛ فإن تلال يهوذا وجبال مؤاب هي مناطق غير صالحة أبداً لعمل القوات الميكانيكية.

والعامل الثاني؛ والذي قد يحد من عمل القوات الميكانيكية في تطورها الحالي هو مسألة التنظيم الإداري والفني؛ ولقد تمكنت قوة الفرسان من مطاردة القوات التركية ما بين دمشق وحلب، اعتماداً ـ تقريباً ـ على الموارد المحلية . أي إنها موَّنت نفسها بما هو متوافر في البلاد والأراضي؛ وكانت الخسائر في الخيول بسيطة نسبياً. وقد يكون تموين القوة الميكانيكية بما يلزمها من الوقود ـ البترول ـ وتغيير الآلات وإصلاحها؛ مشكلة أكثر تعقيداً؛ ويتطلب تنظيماً دقيقاً جداً، وإلا فقد تضطر القوة للوقوف قبل وصولها إلى حلب بمسافة طويلة.

ومن المهم جداً ألا ينسى القادة إلى أي مدى تتوقف خفة الحركة على كفاءة طرق المواصلات. . . وقد يكون بالمستطاع في المستقبل تأمين الإمداد بالوقود والذخائر والمواد التموينية الأخرى من الجو، ولكن مسألة إصلاح العربات الميكانيكية وهي على مسافة بعيدة من قاعدتها، ستكون على الدوام من المسائل الصعبة.

لقد أظهرت الحملات الحربية بفلسطين القوة الكبيرة التي أفادت منها قوات الفرسان بفضل خفة حركتها. فما هي القوة العظمى التي ستستفيد منها القوات الميكانيكية بعد الزيادة الكبيرة في النيران؛ وزيادة مداها أو مجال عملها؛ وكذلك زيادة سرعتها؛ مع تزويدها بالدروع التي تخلى عنها الفرسان وهجروها منذ أربعمائة سنة؟ . . .

لقد بعث اختراع الدبابات من جديد تلك المبارزة القديمة بين

الأسلحة والدروع. وقد يكون بالمستطاع أن نتوقع بأن يصبح ثقل الدروع الضرورية لمقاومة الأسلحة التي يحملها جندي المشاة ثقيلاً جداً لدرجة تضطر معها مركبات القتال الميكانيكية إلى الاعتماد على السرعة أكثر من اعتمادها على قوة الدروع. وعند الوصول إلى هذه النتيجة تظهر أهمية الحملات الحربية بفلسطين من خلال ما تبرزه من قيمة السرعة في ميدان القتال في تحقيق النتائج وفي الإقلال من الخسائر.

ستصبح القوة الميكانيكية ـ الآلية ـ على الدوام أكثر تأثراً بالأرض عن الفرسان؛ كما أن هذه ستصبح أكثر تأثراً من المشاة. وسيكون للهيئات الأرضية التي تشكل عائقاً ومانعاً؛ أو مضيقاً؛ أهمية تعبوية ـ تكتيكية ـ عظمى في المسارح التي تعمل عليها القوات الميكانيكية. ونتيجة لذلك فستكثر حاجة القوات الميكانيكية للتعاون مع القوات القادرة على القتال وهي مترجلة ـ المشاة ـ، لأنها أكثر قدرة على احتلال الهيئات الأرضية المنيعة التي تحرم القوات الميكانيكية من حرية الحركة والمناورة؛ وأكثر قدرة على الاحتفاظ بها، وسيحل هذا أيضاً مشكلة التصرف بمجموع الأسرى. وستقرر تجارب الحرب في المستقبل ما إذا كان يجب لهذه القوات أن تكون من الفرسان الخيالة أو من المشاة الميكانيكية؛ ولا ريب أن الجمع بين الفرسان والقوات الميكانيكية سيكون أمراً مريعاً حقاً في حملاتنا هذه، ولكن توازن القوات الميكانيكية والفرسان والمشاة ـ أو تحديد النسب فيما بينها ـ سيشكل مسألة صعبة بنوع خاص في الجيش الانكليزي الذي يجب عليه أن يكون مستعداً ليجعل تنظيمه وتسليحه موافقاً لمسارح

الحرب المختلفة وميادينها المتنوعة، سواء كانت على التلال الصخرية عند الحدود الشمالية الغربية للهند، أو في السهول الزراعية في أوروبا الغربية المكتظة بالطرق. وأخيراً، ومهما كان شكل تنظيم القوة الميكانيكية أو تسليحها؛ فإنه لا بد من توافر عنصرين ضروريين لزيادة خفة الحركة وهما: إعداد تنظيم للإمداد والتموين؛ وتوافر التصميم للقائد من أجل إعطاء القوة الميكانيكية قدرة دافعة.

المراجع الرئيسة للبحث

١ ـ العمليات الحربية في شمال أفريقيا ـ في الحرب العالمية الثانية (١ ـ ٤) مطبعة القوات المسلحة ١٩٥٧ ـ الجيش المصري ـ وزارة الحربية.

٢ ـ الحملات الحربية بفلسطين ـ المطبعة الأميرية ببولاق ـ الكولونيل أ. ب ـ ويڤل ـ القاهرة ـ ١٩٣٨.

٣ ـ أشهر قادة الحرب العالمية الثانية ـ بكباشي أ ـ ح ـ عبد الفتاح حسن. بكباشي أ. ح ـ منقريوس نظمي ـ أحمد الأورفلي ـ شركة فن الطباعة ـ القاهرة ـ ١٩٤٩.

٤ ـ حرب المباغتة ـ العقيد ألبرت ميرغلن ـ ترجمة المقدم بسام العسلي ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٨٢.

٥ ـ المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية ـ الإدارة السياسية ـ دمشق ١٣٩٢ هـ ـ١٩٧٣ تأليف بيتر يانغ ـ ترجمة المقدم بسام العسلي.

٦ ـ إدارة الحرب ـ ج ـ ف ـ س ـ فوللر. ترجمة أكرم ديري ـ دار اليقظة العربية للتأليف والتـرجمة والنشر ـ بيروت ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م.

٧ ـ سنوات المصير ـ هـ ـ ج ـ فون ايزيبيك ـ ترجمة الملازم الأول رضا استنبولي ـ دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية ـ دمشق ـ ١٩٥٥.

The decisive battles of the western-word.
J.F.C. FULLER.PALADIN.
(GRANADA Publishing Limited)
LONDON 1975.

الفهرس

مشاهير قادة
الحرب العالمية الثانية

الحرب العالمية الثانية، التي ما زالت كابوساً يؤرق حياة الناس، وعقلاء القادة، حتى يومنا هذا، أبرزت قادة عظاماً يجدر بعسكريينا ومثقفينا وجميع شبابنا أن يدرسوها، ويستفيدوا من خبراتها...
فقديماً قيل: «إذا أردت أن تكون عظيماً فاقرأ حياة العظماء».
لقد اختار مؤلف هذه السلسلة الجديدة، وهو المحلل العسكري الشهير والكاتب المبدع، أشهر قادة هذه الحرب، فكتب عن كل واحد منهم كتاباً، حلل فيه شخصية القائد موضوع البحث، وشرح المعارك التي خاضها، في إطار بحث شائق للظروف التي أحاطت بكل معركة من تلك المعارك وأدت إلى النصر أو الهزيمة.

الناشر



